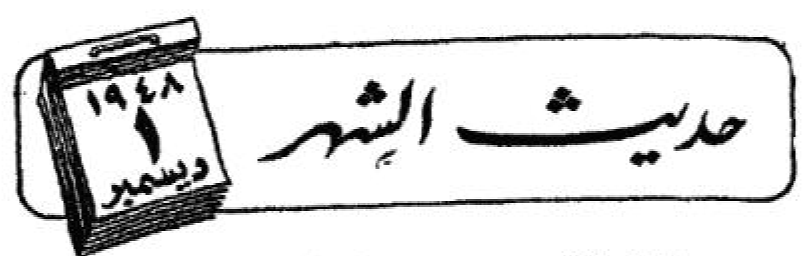


الراى العام

ويقصدون به راى الناس كافة ، او راى الاكثرية الغالبة فيهم . والراى العام أكثرما يكون فى سياسة ، ولكن لايمنع هذا ان يكون لأمة راى عام فيما تأكل وما لاتأكل ، وفيما تلبس وما لاتلبس ، وفيما يصنع الرجل وما تصنع المرأةعلى قارعة الطريق وما لاتصنع ، وفيما يؤخذ على رجل المجتمع من اجرام وما لايؤخذ . مجالات الراى العام كثيرة ، والراى العام فيها يتغير وهو يتغير تدرجا ، ويجرى على تغيره فى اتجاه واحد، فمن تزمت الى تحرر، ومن ضيق الى سعة . الا فى السياسة ، فهو يتغير ليتقلب . ان الراى العام فى السياسة اذا هبت ريحه اليوم شمالا ، فانما تفعل ذلك لتهب غدا جنوبا . ان الراى العام فيه رائحة النساء ، وفيه طبعهن وفيه قلبهن ، ان صح ان قلبهن انما سمى قلبا لانه يتقلب . وفيه رايهن الذى ان قضى اليوم على ثياب ان تطول حتى تكاد تمس اعناق النعال ، فهو سيقضي عليها غدا ان تقصر حتى تكشف عن السيقان وما فوق السيقان

ان الراى العام . فى السياسة ، كالدنيا ، وهى خليعة ذات اهواء

ومن اسباب هذا التقلب : الجهل ، والعجز عن الحكم فى السياسة وأمورها . انالسياسة صارت اليوم فنا ، فهى كالطب . فتصور ان الراى العام احتكموا اليه فى جراحة طبية ، تجرى او لا تجرى ، ماذا يكون قضاؤه ؟ ويحاول الكاتبون ، ويحاول الخاطبون ، وتحاول الصحف ان تثقف الراى العام ، وتبدله من جهله علما ، فلا تزيده من وراء ذلك الا خبالا ، وكثيرا ما يكون ضالا فتزيده ضلالا . وهب ان الكاتب والخاطب والصحفى ، لا يقول عن اسلام ، فمن اين له الفروض التى يبنى عليها حكما ، ومن اين له الوقائع التى يستطيع منها ان يقول كيف يجب أن تسير الامور ، وهذه الفروض ، وهذه الوقائع ، قضى عرف الساسة ان تكون اخفى الاشياء ، وابعد الاشياء عن علم الشعوب . ان الساسة كفئران المجارى ، ألفت أن تعمل فى الظلام

قرأت لوزيرانجليزى، فى بعض مذكراته ، ان الوزارة قضت فى الأمر بكذا وكذا ، وبقى ان يهيئوا لذلك الراى العام . اذن فالراى

العام يهيأ تماما كما يهيأ الطعام . انه يطبخ كما يطبخ اللحم ، آنا سلقا ، وآنا في السمن ، وآنا شواء . وما ذاك نزولا على رغبة اللحم ، ولكن نزولا على رغبة السالق والشواء

والأمم جميعا في هذا سواء

انها الديمقراطية ، حلت الرأى العام حلا ، واجلسته على عروش الأمم ، وقالت له تفضل فاحكم . فلما عجز عن حكم ، أقامت وراءه ستارا ، جلس وراءه هامسون ، يهمسون له بالخاطرة لتدور في عقله ، وبالكلمة لتجرى على لسانه . ويتعب الهامسون من همس ، فتستبدل فئة بفئة ، تعود فتهمس . وهي قد تهمس بما همست سابقتها ، أو تهمس بجديد ، والرأى العام مستقر على عرشه ، مرتاح في جلسته ، مغتبط بسلطانه

قفوا السياحة

نعم قفوها ، فهي ، علم الله ، لاخير فيها

تحدثت الى سائح جاء مصر لأول مرة . وسألته كيف وجدت مصر ؟ . قال : « عندكم الطعام كثير والسماء صافية » . قلت : « ما أسأل عن السماء وانما أسأل عن الارض » . فابتسم الرجل المؤدب وقال في اعتذار كثير : « الحق انني تصورت مصر خيرا مما هي . فقد لقيت في بلدي ، في مؤتمرات وغير مؤتمرات ، نفرا كريما من المصريين كانوا في الذروة من الذكاء ، ومن حسن الحديث ، ومن اللباقة ومن العلم . منهم من ساوونا ، ولا بأس أن أقول : ومنهم من فاقوا نفرا من كرامنا . فلما حضرت الى مصر وجدت حالا غير ذاك الحال . فروقات المجتمع عندكم شاسعة ، حتى ما يكاد يظن أحد انكم من أرومة واحدة . وهذا أول ما يصدم الغريب منا صدمة عنيفة . نحن عندنا الفروق ، ولكنها تجرى تدرجا ، ولا تصل الى هذا الدرك البعيد . ان الانسانية أكرم على الانسان من ان تهبط الى هذا »

وقرأت لكاتب أجنبي ، في كتاب أسماه « سياحة في الشرق الأوسط » ، فرمانا الفاجر بكل ماراى ، وكنت احسب انه يتجمل بعد الذى لقي في مصر من ضيافة ولكنى عدت فقلت في نفسي ، اذن لكانت الضيافة رشوة ، ونحن أهل الشرق تكرم ولانتنظر عائدة

وفي مجلة أمريكية قرأت مقالا سياسيا ، أقحموا فيه صورا من مصر ، من أقصى الريف ، حيث حسبت الا تذهب عدسة مصور . وكانت صورا يروج بها صاحبها الصهيوني لدعواه ، فيقول ان أهل أمريكا يخدعون في أمر مصر ، فيحسبون انها بلد حي متقدم تتأهل للمساواة بنا ، وهيهات ، فهذه حالهم تنطق بما . . . وكال لنا الخبيث كيلا ، بعضه الحق وأكثره كذب ومين . والى جانب هذه الصور نشر عن أهله وقومه صورا أخرى ، ينظر اليها

الغربي فيقول لنفسه : هؤلاء الينا اقرب ، ولنا أفهم ، وهم على التقدم احرص ، وبعطفنا احق

ان حالنا فيها الحسن الكثير ، وفيها السوء الاكثر ، والحسن اخفى ، والسوء ، كالسوأة العارية ، مكشوف لايستتر . ولا سبيل الى ستره عن عين العابر. والناس لاتبالي بكلمة يقولها اجنبي ، في قلبه مرض . ولكنهم لاشك يبالون بكلمة يقولها اجنبي، عن عطف واحسان وسماحة . وهؤلاء غير قليلين. ولوان الكلمة الجارحة جرحت كرامة ، ولاشيء غير الكرامة ، اذن لصبرنا . ولكن مقدرات الامم ، في هذا العصر الدولي ، والنصفة التي ترجوها من الدول ، تكون بمقدار ما لها في سبيل التقدم من جهود ، وما لها في المدنية من حظوظ ، وما لها من العدالة في مجتمعها من شيوع ، وبمقدار ما في عقائدها في اجالها مما ينتظمها وعقائد الامم في موكب واحد

اذن فقفوا السياحة واستروا العورات. واستروهاحتى تنظموا امر البيت ، وانه لتنظيم لعمر ربي ، على النية الحسنة ، شاق طويل. واضربوا على مصر، وعلى الشرق ، ما ضربت روسيا على نفسها ، ستارا من حديد

اسلاب من عقول

سألت صديقي الالماني عن صديق . قال : « انه ذهب » ونظرت لصاحبي مستفسرا .

قال : « انه سلب من اسلاب الحرب ، حمل الى موسكو حملا ، هو واهله ، كما يحمل المتاع » . والحق أن الحلفاء الاربعة ، أمريكا وانجلترا وفرنسا وروسيا ، ما كادوا يدخلون المانيا بعد سحقها ، حتى تلفتوا حواليهم يبحثون عن الادمغة الفحلة يتقاسمونها . وحتى هم لم يصبروا ليتقاسموها ، فقد أخذ كل منهم ما وجد في ارضه من ذلك اخذا . أخذوهم ، حينا رغبا ، وحينا رهبا. حتى أمريكا ، التي حسبنا بعد النصر ان فيها من العلم مايكفيها ، لم تتورع ان تدلي بدلوها في الدلاء فتفوز باكبر نصيب. . قالت وزارة الحربية الامريكية ـ ويعجبني أن تسمي امريكا الاشياء باسمائها فتقول وزارة حربية لا وزارة دفاع ـ قالت هذه الوزارة : ان عدد العلماء الالمان الذين جيء بهم الى الولايات المتحدة حتى آخر عام ١٩٤٦ بلغ ٢٥٠ عالما ، وانهم عملوا على تقديم البحث العلمي في أمريكا ، احيانا سنتين ، واحيانا عشر سنوات ، وكسبت بهم امريكا في بحث الصواريخ وحدها ما قدر بـ ٧٥٠ر٠٠٠ر٠٠٠ من الريالات. وقالت الوزارة المذكورة عندذاك : ان في النية زيادة حصيلة امريكا من العلماء الاعداء حتى يبلغوا ألفا ، يعملون في شتى ضروب العلم ويكسبون لها مكاسب يتضاءل الى جانبها كثيرا ما اعتادت ان تغنمه الأمم المنتصرة من الغنائم في العرف القديم



« الشيطان صاحبي في حلي وترحالي . في يقظتي ومنامي . في جدي وهزلي .
وهو في الواقع شريكي في حياتي كلها . ولعله شريككم أنتم جميعاً »

معرفة قديمة

تعرفت « بالشيطان » في سنة ١٩٠٢ بالضبط على ما أتذكر . فهو في الواقع الشخص الثالث اوالرابع ، الذى تعرفت به في حياتي بعد والدى وشقيقى

ولكن يمتاز « الشيطان » من هؤلاء المذكورين من معارفى السابقين على ذلك التاريخ ، ومن المئات والآلاف والملايين من معارفى اللاحقين من سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩٤٨ بأن «حضرته» كان أكثرهم صلة بشخصى ، وأوثقهم علاقة

باخبارى واسرارى ، واشدهم امتزاجا بعقلى، وعاطفتى، وعينى، واذنى ، وتصرفاتى

« الشيطان » صاحبنى من سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩٤٨ اى ٤٦ عاما !

اى ٥٥٢ شهرا !

اى ٢٣٩٢ اسبوعا !

اى ١٦٧٩٠ يوما !

وفى كل ساعة ، ودقيقة ، وثانية .. من الساعات والدقائق والثوانى فى كل هذا العمر الطويل

« الشيطان » صاحبى فى حلى وترحالى . فى يقظتى ومنامى . فى جدى وهزلى . وهو فى الواقع شريكى فى حياتى كلها ، ولعله شريككم انتم جميعا

شر لا بد منه

«الشيطان» صاحب مفروض على جميع الناس. بل هو الصاحب الاوحد الذى لا تستطيع ان تقطع صلتك به حتى لو صليت ، وركعت ، ولو همهمت ودمدمت ، ولو بسملت وحوقلت ، بل لو تهددت وتوعدت ! « الشيطان » شر لا بد منه وامرى وامركم لله !

فى عهد الطفولة

« الشيطان » الصغير الذى زاملنى فى عهد الطفولة كان يحرضنى على ارتكاب الآثام التى تناسب سنه وسنى . فاذا ما عاقبنى والدى عقوبة اعتقدت انها ظالمة همس الشيطان الصغير فى اذنى قائلا :

ــ انتقم !

فاقول : « وكيف يكون الانتقام ؟ »

ونتداول معا ويقر قرارنا على ان اشعل النار فى اكياس القطن المعبأة خارج الدار فى القرية ــ وأن اشعل النار فى مخازن القمح والشعير والبرسيم . فاذا ما اندلعت اخذت ابكى من فرط الهول ، فيهمس فى اذنى قائلا :

ــ اثبت ! العين بالعين والسن بالسن !

ولن انسى ما حييت كم اهرقت من « صفائح السمن » وبددتها فى التراب انتقاما من والدتى لاننى طلبت « حلاوة سد الحنك » فامتنعت عن الامر بصنعها وظننت انها توفر السمن القليل فقضيت على الكثير !

وفى سنة من السنين قرروا ادخالى المدرسة فعصيت القرار . فلما صدر الامر بالسفر من القرية الى القاهرة ركبت مهرتى « العبسية » فى طريقى الى محطة « الجديدة » فهمس الشيطان فى اذنى قائلا :

ــ اغمزها بكعب حذائك غمزتين فى نقطة حساسة لكى تثور ، وتهيج ، وتلقى بك عن ظهرها فى « الخليج الكبير » بين الشوك ، والسنط ، والماء !

قلت للشيطان : « ثم ماذا ؟ »

قال : « تجرح ، وتسيل منك الدماء ، فتصيح وتستغيث ، فينقلونك الى الفراش ، فلا تسافر الى المدرسة »

وقد كان . وظللت شهرا اعالج

جروحي ورضوضي بأمر الشيطان

وكان لنا فى القرية جار من اقربائي كنت احس انه لا يحبنى بدليل انه كان يمنح اخوى الكبيرين الهدايا ويحرمني منها مع انى الاصغر . فاستشرت الشيطان فقال لى :

ـ اقطع خليج « بحر الجندى» الذى يمر على اطيانه واطيان والدك فيغرق الماء ارضكم فتنشب بين الفريقين معركة ويقع الخلاف بين الجار المكروه والوالد العزيز !

وهكذا كونت العصابة منى ، ومن اصدقائي وانصاري «سلامة وسعد، وطلبة وشحاتة» وقطعنا الخليج فى الليل وفاض الماء على اطيان والدى، فما ان سمع حتى اذعنا ان قريبنا هو الذى قطع الماء فقامت قيامة البلد وهاجت قريته وحدثت معركة دامية ولم يعرف السر حتى اليوم الا قراء « الهلال »

فى عهد الشباب

تلك، وامثالها، كانت مؤامراتى واحاديثى ، فى عهد الطفولة مع « الشيطان » ، فلما كبرت وترعرعت ، كبر معى شيطانى الصغير ! وترعرع !. فغزونا فى ـ المدارس الابتدائية والثانوية والعالية ـ غزوات . وفتحنا فتوحات سجلها التاريخ فى صفحاته المطوية التى لم تنشر الا اليوم حين اقترح على مدير تحرير «الهلال» ان اكتب هذا الموضوع !

فكم « وزنى » الشيطان فى المدرسة فانتقمت من طباخها بالقاء حلل « العدس » المعد لخمسمائة تلميذ خلسة على الارض لتثور الثورة ويذهب الطباخ ضحيتها !

وكم « وزنى »الشيطان فالقيت الحشرات فى الطعام ليثور الطلبة ضد ضابط المدرسة لانه عاقبنى قبلها بيوم واحد !

وكم « وزنى » الشيطان فاستحضرنا « السكاكين » فى آخر السنة لتطعن بها اولاد الذوات الذين تكبروا علينا وتجبروا فى بحر العام

وكم «وزنى» الشيطان فرصعنا ملابس المدرسين الانكليز اثناء المرور فى الفصول بالحبر الاحمر والازرق والكوبيا انتقاما لمعاملتهم السيئة لى . وكم ، وكم مما لاتتسع له صفحات هذه المجلة.

الى ان جاء عهد المدارس العليا ومدرسة الحقوق بنوع خاص فرتبنا مؤامرتنا الكبرى فى سنة ١٩١٤ وقاطعنا زيارة السلطان « حسين » العظيم فحبس منا من حبس ، وفصل منا من فصل

فى عهد الرجولة

ويكبر « الشيطان » واكبر معه وأشتد ، فيقوم بينى وبينه الصراع فتارة اغلبه وتارة يغلبنى، وحينا اطارده واطرده ، وحينا يستولى على ذهنى وعاطفتى فاظل فى فترة ذهول طويلة ثم افيق بعد تبديد الجهد والمال !



الشيطان والجنيان : من قصص ألف ليلة وليلة .. المثال فتحي محمود

وبعد فوات الأوان !

ولا ادرى وانا استعرض ذكرياتي في عهد النضج : اكانت تصرفاتي من فعل الملائكة ام من فعل الشياطين ؟ !

واني لأسائل نفسي اليوم :

اكانت مغامرتي الكبرى اثناء الثورة المصرية سنة ١٩١٩ في « اسيوط » من فعل الشياطين أم من فعل الملائكة ؟ !

لقد تحديت حديد الاحتلال وناره ومحاكم السلطة البريطانية بنشيدي الوطني الذي الفته ، ولحنته ، والقيته على الآلاف فهاج هائجهم ودمروا ثم استهدفوا للقصاص !

فهل كان ذلك العمل من وسوسة الشياطين أم من وحي الملائكة ؟ !

واسائل نفسي: اكانت معارضتي الأزلية للحكومات في تاريخي البرلماني الطويل من وسوسة الشياطين أم من وحي الملائكة ؟ !

يختلف الراى في هذا . ولكن « الضمير الداخلي » الذي يفيق بين الفترات والفترات يقول في النهاية : ان الشيطان لم يفلح مرة واحدة في أن يتدخل في مبادئي وخططي الوطنية ، ولم يفلح مرة في أن يملأ قلبي ، وجيبي ، بمجد أو مال أو رشوة من الدولة أو الحزبية !

ولم يفلح مرة في أن يحببني في «المادة» وما كان ايسرها واسهلها في عهود كثيرة تضخمت فيها الاموال وهزلت الاخلاق !

ولكن بقدر ما تحصنت ضد الشيطان في هذه الناحية وصمدت

له ، دانت له حصوني ، وقلاعي ، وتداعت أمامه « خطوط دفاعي » في دنيا العواطف والقلوب

ففي تاريخي ــ كما في تاريخ كل شاب ورجل وكهل ــ غراميات وعاطفيات اعترف بان الشيطان ملك زمامي فيها وسيطر على شخصي سيطرة تكاد تكون كاملة. ولم أنشر بعد صفحات ذلك التاريخ «الأبليسي» ولكن يعزيني انني لم اكن يوما « جانيا » بل كنت «مجنيا عليه » وكنت ــ وحدي ــ ضحية الشيطان

انا ، وربي ، وشيطاني

مرت بي أزمات مرضيـــة ، صحية ، وازمات نفسية جامحة . وهنا نشبت اعنف المعارك بيني وبين الشيطان .. فقـد خطر لي خاطر « الانتحار » عدة مرات . فدارت بيني وبين الشيطان هذه المناقشات :

قال حضرته : « لماذا تحتمل العذاب ولماذا لا تتخلص منه ؟! »

قلت : « وكيف الخلاص ؟ »

قال : « جرعة واحدة من هذا السائل ، أو مشرط واحد تشق به شريانا في لمح البصر ، أو قفزة واحدة من باخرة في عرض البحر أو من طائرة فوق السحاب ! »

قلت : « والكفر بالله والقصاص في جهنم ؟ »

قال :

ــ اتصدق ان الانتحار كفر ؟ ولئن كان الانتحار كفرا على طول الخط فهناك المغفرة اذا الحت الدواعي والاسباب وكانت نبيلة الأهداف بريئة النتائج . اما كان « هتلر » محقا حين انتحر ؟! اما كان « جورنج » محقا حين انتحر ؟ اما كان اقيـال التـاريخ وابطاله وقادته وجنوده الجبابرة محقـين حين انتحروا ؟! ايهمـا افضل : ان تقضي على نفسك بنفسك ؟ أم ان يقضي عليك عدو ظالم ، أو فضيحة ظالمة ، أو علة ظالمة ؟ . وايهما افضل : أتكفر عن سيئاتك بيدك ام تكفر عنها يد الجلاد على ملأ من الناس ؟ ان ربك لن يغفل امر المبررات والا ما كانت قواعد الصفح والمغفرة والرضوان ! »

وكاد الشيطان في أكثر من مرة يقنعني بوجاهـــة « أســبابه وحيثياته » ، وكاد يحملني على ارتكاب الوزر الاكبر أكثر من مرة وانا مكتمل العقل وان ضعضعته العلة ، وانا مكتمـل القلب وان اضعفته عوامل الحرج والضيق ، وانا مكتمل الايمان وان خدشـه المنطق

كاد الشيطان يودي بي لولا تدخـل الله سبحانه وتعـالى في اللحظة الحاسمة اذ كنت اتوسل اليه ان يتدخل قبل فوات الأوان

وبعد يا قراء «الهلال» : ها قد سردت احـداثي واحاديثي مع « شيطاني » فهـل لديكم الجرأة لتسردوا احداثكم واحاديثكم مع شياطينكم ؟

اني في الانتظار ...

فكري أباظة

« انحطاط التعليم فى المدارس هو العلة الكبرى فى ازمة الثقافة فى مصر ، لأنه نزل بمستوى الطبقات المسماة بالمتعلمة الى درك لا تستطيع معه أن تحتفظ بهذا الاسم ! »



بقلم الدكتور محمد عوض محمد بك

من المسائل الخطيرة التى حاول معالجتها فلاسفة التاريخ ، اطوار الحضارة فى مختلف الاقطار والازمان : كيف تنشأ ، ثم تنمو وتشتد ، ثم تتحول وتتبدل ، ثم يدركها الضعف ويعجل اليهما الفناء ؟.

وقد ذهبوا فى تأويلهم لتلك الظاهرة مذاهب شتى ، فقال بعضهم : ان مرجعها الى الظروف الاقتصادية ، وارجعها آخرون الى ظروف عسكرية ، وقال فريق ان مردها الى انتشار امراض جسدية او وبائية ، وفريق آخر ارجعها الى علل اجتماعية وروحية . ولانظن ان الفكرة الاخيرة قد قيلت فى هذا الموضوع الخطير ، او انه قد وفى حقه من البحث الكامل الدقيق . لان حضارات الامم ظاهرات معقدة ، تشتمل على عناصر عديدة وتحيط بها ظروف شتى ، وتفاعل العوامل المختلفة يجعل من الصعب ان نضع قاعدة واحدة مطردة يسهل تطبيقها على كل حضارة فى الأزمنة القديمة والحديثة .

ولسنا بحاجة — ونحن نتحدث عن ازمة الثقافة فى مصر فى الوقت الحاضر — الى الرجوع الى بحوث هؤلاء الفلاسفة . وهى فى العادة بحوث يكتنفها التشاؤم ، وتنطوى على كثير من الافتراضات التى لاتستند الى واقع ملموس . ولكنا سقنا الكلام عنهم لان بعضهم يزعم اننا اذا درسنا اطوار المدنية فى مختلف الاقطار وعلى الاخص فى العصور الغابرة ، رأينا ان التقدم فى نواحى الثقافة وعلى الاخص فى الادب والفنون والعلوم النظرية ، كان يتلوه دائما التقدم المادى فى الثروة ومظاهر الرخاء والترف ، وفى هذه الفترة تضمحل الثقافة

وتضعف ضعفا ظاهرا . فهؤلاء الفلاسفة استطاعوا – او خيل اليهم انهم استطاعوا – ان يجعلوا للحضارة فى نشوئها وازدهارها وفنائها مراحل متتالية : اولها التفوق العسكرى ، ثم التقدم الفكرى ، ثم الرقى الاقتصادى ، ثم يدب فيها الفناء تدريجا . ولم يكن من الصعب على هؤلاء الكتاب فى فلسفة التاريخ ان يجدوا امثلة يستندون اليها فى تحقيق دعواهم ، اقتبسوها من حضارة اليونان أو الرومان أو الفرس أو العرب او غيرهم من الشعوب . ولعل بعضهم اضطر لان يحور بعض الحقائق التاريخية تحويرا يلائم هذه النظرية

ولسنا هنا بصدد الاستدلال على صحة هذه الدعوى او بطلانها ! لكنها من غير شك قضية جذابة لانها تركز فى عبارة وجيزة فلسفة عامة شاملة للتاريخ ، وان تعذر احيانا تطبيقها على جميع الحضارات فى جميع العصور . ولا باس علينا ان نحاول تطبيقها على

« انما اللغة مظهر من مظاهر الابتكار فى مجموع الامة ، او ذاتها العامة ، فاذا هجعت قوة الابتكار توقفت اللغة عن مسيرها ، وفى الوقوف التقهقر ، وفى التقهقر الموت والاندثار »
(جبران)

حضارة مصر الحديثة ، وهى حضارة يجب أن ينظر اليها نظرة مستقلة ، على أنها تمثل حضارة قائمة بذاتها وليست وليدة الحضارة المصرية فى العصور القديمة أو الوسطى ، بل هى نهضة جديدة لها مراحلها الخاصة بها ، وهى ان دلت على شىء فانها تدل على ان فى وادى النيل حيوية ليست فى اى قطر آخر ، كأن هذا الوادى قد كتب له أن يكون دائما مبعثا لحضارة قوية ، تنشأ على مر العصور ، وتشتعل جذوتها بعد طول خمود

وقد كان لمصر الحديثة من غير شك نهضة عسكرية خطيرة ، وعما قريب تحتفل مصر بتلك النهضة باحياء ذكرى بطلها الاكبر ، ابراهيم باشا الذى قاد جيوش مصر المظفرة فى مختلف الميادين والاقطار والاقاليم . ثم جاءت بعد ذلك من غير شك نهضة ادبية عربية أحيت بها مصر العهود العربية الأولى ، ونبغ فى سمائها نجوم فى الشعر والادب نستطيع من غير اسراف أن نضعهم الى جانب النجوم التى لمعت فى العصر العباسى ، وكان هذا النبوغ الفنى اظهر ما يكون فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى . ونوابغ الادب الى يومنا هذا ينتمون جميعا الى ذلك الفريق النابه الذى ما زلنا نرتع فى ظله ، ونتغذى بثمار أدبه

ويمتاز العصر الذى نعيش فيه اليوم بنهضة اقتصادية لا شك فيها ، فقد اخذت مصر تضرب

بسهم وافر في ميدان التجارة والصناعة ، وفي الانتاج المادي بمختلف ضروبه واشكاله . فهل صحت فينا تلك النظرية الفلسفية وانطبقت تلك المراحل المزعومة للحضارة على حضارتنا الحديثة ؟ لا شك ان ظواهر الامور تشير الى شيء من هذا القبيل ، ولكن الظواهر قد تخدع ، والارادة البشرية أجل واسمى من ان تخضع لنظريات وافتراضات .

ويختلف العصر الحديث عن العهود الغابرة بامور منها : حدة الوعي القومي وتنبه الشعب كله لمصيره، واشتراكه في تكييف ذلك المصير . وحرصه على دراسة علله وامراضه ، وبذله جهودا قوية لمعالجتها والقضاء عليها

فلا بد لنا — اذن — اذا كنا حريصين على تنمية حضارتنا الحديثة وعلى تقدمها وازدهارها، ان نكشف عن ادوائنا وان نسعى في علاجها ، ومن اخطر هذه الادواء تلك النزعات المادية التي لم يكفها ان اغارت على دوائر التجارة والاقتصاد ، بل مدت مخالبها الى حظيرة العلم ، ونشبت اظفارها في حرم الفكر والفن . كنا في ايام حداثتنا نتناشد ذلك البيت الساذج من الشعر العربي :

رضينا قسمة الجبار فينا
لنا علم وللجهال مال

أما اليوم فان الاخلاص للعلم وللفن شيء نادر لا تقره النزعات الحديثة . واصبحنا نرخص للعلماء ان يلجوا باب الكسب



والتجارة باذن رسمي من الدولة .

والاساتذة في جامعاتنا ، على الرغم من سخاء الدولة عليهم بالمرتبات الطيبة التي لم يكن يحلم بها آباؤنا مصرون على ان يرخص لهم في طرق ابواب المكسب والبحث عن الثروة في خارج الجامعة ، بعيدا عن حجرات العلم والبحث . وكان هذا الترخيص فيما مضى من الزمن مقصورا على اساتذة الطب، فان بعضهم لا يقضي بين طلابه الا لحظات تلائل في كل يوم ، وبعضهم لا يزور معهده الذي ينتمي اليه الا لماما ، مرة في كل شهر . اما وقته كله فليس مصروفا في البحث العلمي ، بل في المكسب المادي . وهذه الميزة التي كانت للاطباء وحدهم لم تلبث ان نالها رجال الهندسة ، فسمح لهم بفتح المكاتب الخاصة والاضطلاع بمشروعات تجارية تدر عليهم ربحا جزيلا ، ثم نالها بعدهم رجال القانون والزراعة والاقتصاد ، واصبح لدينا اليوم جيل كبير من رجال العلم يتقاضون من الدولة

اجرا طيبا لتربيــة الجيل الجديد وتلقينـــه العلوم والمعــارف ، ومساعدته على النبوغ والتفوق. وهم يهملون هــذا الجيل الجديد الاهمال كله ، تاركـين حبله على غاربه . ويحدث هــذا كله باذن الدولة وبترخيص رسمي منها ، كأن الدولة تعـاون على اضعاف مستوى الشباب ، فى الوقت الذى تزداد الاعباء الملقاة على عاتقه

وسرت عدوى هذه النزعة المادية الى طبقة المعلمين فى المدارس ، وفى هذا الخطر كل الخطر ، فقد جرف التيار المادى هذا الفريق من ابناء الامة كما اجتاح غيرهم ، وابتكروا لتحقيق شهواتهم المـادية شيئا سموه « الدروس الخصوصية » فاهملوا التدريس فى قاعات الدرس والتحصيل ، لـكى يفـزع اليهم الطلاب ، ملتمسين منهم درسا خاصــا ، ولست ازعم أن جميع المدرسين من هذا الطراز ، ولكن الشكوى المريرة التى تتصاعد من افواه الآباء ، تؤكد أن هنالك علة خطيرة يجب استئصالها والقضاء عليها

وهنالك ناحية اخرى ، لعلها الركن الاساسي فى ازمة الثقافة فى مصر اليوم ، الا وهى السياســة التى يجرى عليها التعليم فى مصر، وهى سياسة تتـوخى الـكم ولا تتوخى الكيف ، وتحـرص على كثرة المـدارس وعدد الفصـول وازدحامها بالطــلاب ، اكثر من حرصهــا على جودة التـدريس وحسن اختيار المدرسين وتوفير الوســائل التى ترقى بالتعليم وتنهض بالطلاب . وقد ظهــرت هذه النزعة منذ الحرب العالميــة الاولى ، واخذت تزداد فى العهد البرلمانى زيادة ملموسة . وساعد فى ذلك أعضاء البرلمان انفسهم ، فجعلوا يحثـــون الدولة عــلى الاستكثار من معاهــد التعليم فى بلدانهم وقراهم ، وتضطر الدولة الى مجاراتهم ، تمشيا مع السنن البرلمانية والاساليب الانتخابية .

ورأى رجال المعــارف ان عدد المعلمين غير كاف ، وان فى العرض تقصــيرا عن الطلب ، فجعلوا يخرجون المعلمين تخريجا مفتعلا فى فصـول نهارية او ليليــة ، او بواسطــة دراسات صيفيــة لم تستغرق سوى بضعة اسابيع ، يخرج بعدها المرء معلما ، رضينا ذلك ام كرهنا ، ويكفى ان تكتب على الملح انه سكر او على الحمار انه حصان ، حتى يغدو حصانا له الحق الرسمى فى ان يحشر فى زمرة الخيل

واذا كان كثير من المعلمين قد انتجوا انتاجا فجــا ، والطــلاب يخرجون اخراجا فجا ، فليس لنا أن ندهش من أن مستوى الثقافة آخــذ فى التـدهور ، لان ابنـاء المدارس وبناتهــا هم المادة التى يبنى بهــا صرح العلم والثقافة ، والشباب الذى يغادر دور العلم وحظه من الثقافة قليل مضطــر لأن يستر بالغرور والادعاء مايعوزه من العلم والعرفان ، وليس من حسن السياسة فى شيء أن نغلب

الكم على الكيف ، لان عددا قليلا ممن حسن تعليمهم وتثقيفهم اجدى على الوطن وعلى الثقافة من هذه الالاف المؤلفة من انصاف المتعلمين وارباعهم ، كما أن ثمرة واحدة ناضجة خير من مائة ثمرة فجة . وقد حاول رجال التعليم انقاذ ما يمكن انقاذه فأنشأوا ما سموه مدارس « نموذجية » جعلت تتقدم بالتعليم فترة من الزمن ثم لم تلبث ان اشتد عليها الضغط واكتسحها التيار الجارف، فاصبحت كغيرها من المدارس وغدت «نموذجيتها» أثرا او حديثا يروى

فانحطاط التعليم فى المدارس هو العلة الكبرى فى ازمة الثقافة فى مصر، لانه نزل بمستوى الطبقات المسماة بالمتعلمة الى درك لاتستطيع ان تحتفظ معه بهذا الاسم ، الا كما يقال فى المجالس الشعبية للفنجان الفارغ انه ملآن . وقد ترتب على هذا الانحطاط ان الجيل القديم من علمائنا الاعلام قد عجزوا عجزا فاضحا عن خلق جيل يخلفه ، وهذا واضح وضوحا قويا مع الاسف الشديد فى ميدان الادب العربى ، وهو عماد الثقافة كلها فى مصر . فشبابنا يغادر معاهد العلم اليوم ، والمامه بالادب ضئيل هزيل ، وعجزه عن الكتابة الصحيحة وعن الكلام الصحيح ظاهر كل الظهور . واطلاعه قليل او دون القليل ، وتفكيره السقيم يكسوه بعبارة اشد منه سقما وهزالا . وكثيرا ما تراه يستر جهله باللغة وآدابها ، بان يتهكم ويسخر ممن يحرصون على احيائها والتمسك برصانتها ، فينعتهم بمختلف النعوت والاوصاف . ولقد مضى جيل عظيم من اقطاب الشعر فى نهضة مصر الحديثة ، الذين نستطيع ان نفاخر بهم شعراء الأجيال السابقة، فلم نستطع ان نجد بين شبابنا من يخلفهم اويدنو منهم . واعقبهم جيل من النظامين ، احسوا قصورهم وعجزهم فاخذوا يحاولون ستره بما يدعونه من مبتكرات ومستحدثات ثقيلة الظل لا تستسيغها سليقة ولا يقبلها ذوق سليم ، ولولا ان رعاية الله قد استبقت بين اظهرنا عددا من ابناء الجيل القديم يحملون الى اليوم لواء الشعر والادب ، لاقفر منه ربعنا الى اليوم ، واصبحنا فى ظلام دامس

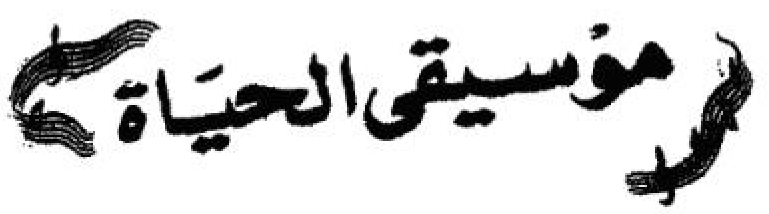
ومع ذلك فقد اتيح لشبابنا جيل من الاساتذة الاعلام ، قلما اتيح للشباب فى العصور الماضية، وتولى تعليم اللغة والادب فى جامعة فؤاد عدد من انبغ رجال مصر ، واشدهم غيرة على العلم والادب . ظلوا يجاهدون فى تنشئة شبابنا وتعليمه زمنا ليس بالقصير وأفنوا فى ذلك ما اختزنوه من قوة وجهد . فلم تخرج جهودهم ــ فى هذا العهد الطويل، وبعد هذه الرعاية والعناية ــ سوى ثمرات قلائل لا تكاد تسمن او تغنى من جوع

وبعد فهل معنى هذا اننا فى حضارتنا الحديثة قد انتقلنا من مرحلة التقدم العقلى ، الى مرحلة التقدم المادى ، وستتلوها مراحل الاضمحلال والفناء بالتدريج ، أو من غير تدريج ، طبقا لنظريات الفلاسفة ؟. انني اميل الى التفاؤل، ولا أنزع الى التشاؤم فى هذا الامر ، ولئن كانت ظاهرة الانحطاط الثقافى فى مصر راجعة الى فساد سياسة التعليم ، فان العقل والمنطق يقضيان بأن الداء ليس مما يستحيل علاجه. ولكن الخطوة الاولى التى يجب أن نخطوها هي التسليم بأن هنالك ازمة ثقافية فى مصر لا شك فيها، وان من الواجب أن نشخص العلة تشخيصا بعيدا عن الهوى ، وأن نعمل على معالجتها بكل ما أوتينا من قوة

ولئن لم تسعفنا الدولة باصلاح معاهد التعليم ، وظلت خاضعة لهذا الضغط الشديد الذى يفسد التعليم والمتعلمين ، فان واجب قادة الرأى فى مصر أن ينشئوا معاهد حرة مستقلة عن الدولة ، يختارون لها أفضل المعلمين ، ويزودونها بجميع الوسائل والنظم التى تكفل للطلاب كل رعاية ونجاح . ولعل مصر من البلاد القلائل التى تعتمد على الدولة الاعتماد كله ، على أن أرقى المدارس فى كثير من الاقطار الاوربية والامريكية ، هى المعاهد الحرة التى انشأها رجال ونساء امتلأوا غيرة على ابناء وطنهم وارادوا أن يهيئوا للجيل الجديد فرصة الرقى والتقدم . فاذا استطعنا أن ننشىء أمثال هذه المعاهد ، التى أنشأت نظائرها الجاليات الاجنبية فى مصر، أمكننا أن ننقذ الجيل الجديد ، وأن نجد العلاج الناجع لأزمة الثقافة فى مصر

محمد عوض محمد

«العالم كله موسيقى ضخمة وهى اكثر تعقيدا من موسيقى الفرد ، لانها اكثر آلات واوتارا ..»



موسيقى الحياة

بقلم احمد امين بك

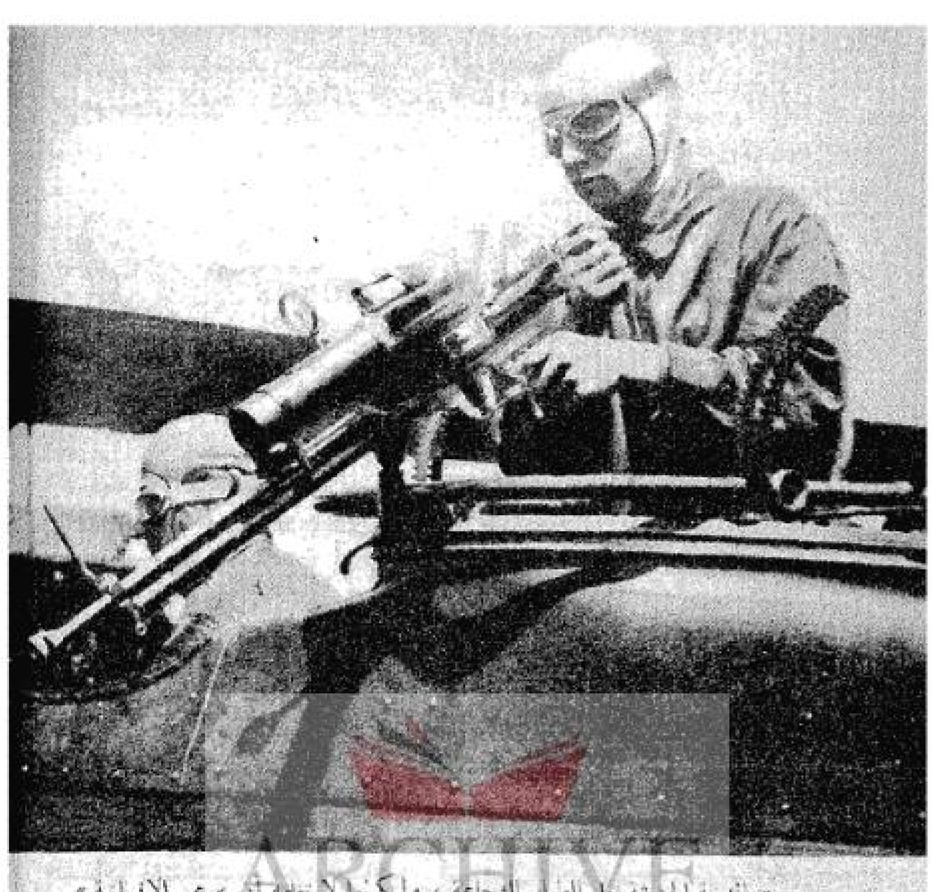
حياة كل فرد موسيقى لصدر من أوتار مختلفة وآلات متعددة ، فاذا تناسقت وتناغمت أنتجت صوتا جميلا وكانت السعادة ، وان تنافرت وتخالفت أنتجت صوتا قبيحا وكان الشقاء

فى جسم الانسان كثير من الاعضاء وعدد عديد من الغدد وما لايحصى من الاعصاب ، لكل منها وظيفة . وكل وظيفة لعضو او غدة او عصب يجب ان تتناغم وتتناسق مع وظائف الاعضاء والغدد والاعصاب الاخرى حتى تتوافر الصحة فى البدن . فاذا قصر احدها فى أداء وظيفته كان المرض ، وليس المرض الا « نشازا » فى النغم وتنافرا فى موسيقى الجسم

كذلك هذا الجسم يحوى عناصر مختلفة من جير وفوسفور وحديد وفحم وهيدروجين واوكسيجين ونتروجين ونحو ذلك ، ويجب ان تكون هذه العناصر موزعة على الجسم بنسب معينة ان زادت اختل ، وان نقصت اختل ، وكل خلية فى الجسم وكل ذرة من ذراته يجب ان تؤدى واجبها وتأخذ - بقدر - غذاءها . وجميعها محكومة بقانون واحد لا تستطيع ان تثور عليه ولا ان تخرج عنه والا كان المرض وكان الهلاك

وربما كان اعجب شيء فى هذا الباب عمل القلب والرئة . فالقلب قوة كهربائية هائلة بل هو قوة فوق الكهربائية تعمل فى استقبال الدم وتوزيعه ، وتساعده الرئة بالتنفس فى اصلاح الدم وتطهيره

وفوق ما للقلب والرئة من عمل فيسيولوجى ، لهما أيضا قوة روحية عجيبة اعظم من قوة الكهرباء تكون بها الحياة ، والا كان تحريك القلب والرئة بالوسائل الصناعية وسيلة من وسائل مد الحياة ، مع ان الحياة لا يمكن تمد بهذا العمل المادى الصناعى ، لفقدان القوة الروحية العجيبة . وأيا ماكان فالنظر فى أعضاء الجسم ومكوناته العديدة يشعرنا بأنه



« المدنية الحديثة تعلم الصغار الشجاعة ، ولكنها لا تعلمه أن يرعى الأنانية »

يقوم بحركة موسيقية معقدة أتم التعقيد ، لا تنسجم ولا ينبعث عنها الصوت الجميل الا بشروط كثيرة قلما تتحقق . لأنها لا تتحقق الا بتادية آلاف مؤلفة من الخلايا وظائفها ، أو بعبارة اخرى بتوقيع نغماتها على أكمل وجه وأتم تناسق

وكما يجب التناسق بين أجزاء الجسم بعضها وبعض يجب التناسق بينها وبين بيئتها الخارجية من حر وبرد ، ورطوبة وجفاف ، وغذاء وملبس ، ونحو ذلك . فاذا اختل هذا التناسق والتناغم اعتلت الصحة . وكل علمنا بوظائف الاعضاء وتكوين الجسم وما يحيط به من بيئة ليس له غرض الا ايجاد هذا التناسق والانسجام

فاذا نحن انتقلنا الى بيان ضرورة التناسق بين الجسم والعقل والنفس فالأمر اصعب وادق . فكثير من شقاء الناس يرجع الى ان عقلهم لا يتناسق

وجسمهم ، أو أن نفسهم لاتتناغم مع اجسامهم . فكل من العقل والنفس والجسم تتفاعل وتكون موسيقى ، قليلها منسجم وكثيرها نشاز. والخلق الفاضل والغرائز المحكومة والشهوات المعتدلة ليست الا نتاجا لتناسيق القوى وتناغم الملكات. والرذائل والغرائز الجامحة والشهوات العارمة ليست الا نشازا فى النغمات نشأ من فقدان التناسق . قد يعنى الانسان كل العناية بجسمه ويهمل عقله ونفسه ، فتعلو نغمة الجسم وتهبط نغمة العقل والنفس فتفسد الموسيقى ويكون الشكل شكل انسان والحقيقة حقيقة حيوان، وينعدم التناسق ويختل التوازن . وقد تعلو نغمة العقل وتضعف نغمة الجسم فيكون العكس . وفى كلتا الحالتين لا تناسق

وبعد ، فالعالم كله موسيقى ضخمة كبيرة هى أكثر تعقيدا من حياة الفرد لأنها أكثر آلات وأوتارا .. آلات تمثل البدن وآلات تمثل العقل والروح ، نغمات اقتصادية ونغمات اجتماعية وسياسية ونغمات فلسفية ونغمات روحية وما لايحصى من عوامل منبثة فى جميع انحاء العالم، وكلها تعمل فى تكوين الموسيقى العالمية ، وتؤلف نغمات مختلفة تتجاوب وتتفاعل

ومع الأسف لم تكن هذه الموسيقى يوما من الأيام متناسقة منسجمة ، ولو حدث هذا يوما لكان أسعد الايام وامتعها . لو حدث هذا ما كان جوع بجانب تخمة ، ولا نعيم بجانب شقاء ، ولا استعمار، ولا رق ، ولا اجرام دولى ، ولا أمم كبيرة تنتهك حرمة امم صغيرة ، ولا سلاح ، ولا حرب ، ولا دسائس دولية ، ولا مؤامرات أممية . لأن هذه الامور كلها وامثالها « نشاز » فى موسيقى العالم

ان هذا « النشاز » نشأ من طغيان بعض عناصر الحياة على البعض الآخر ، كما يطغى فى الموسيقى صوت الرق على صوت العود أو القانون . أن عناصر الحياة ثلاثة : عنصر مادى يخدم الابدان ، وعنصر عقلى يخدم التفكير ، وعنصر روحى يحيى النفس. وجمال الموسيقى فى تعادلها وتناسقها . فلما طغى عنصر المادة فى المدنية الحديثة على العنصرين الآخرين افسد الحياة

ان موسيقى المدنية الحديثة طنانة رنانة مقلقة للراحة مفسدة للذوق ، ترتفع بعض آلاتها حتى تكاد تصم ، وتخفت بعض آلاتها حتى لا تكاد تسمع ، ومن أجل هذا فقدت تناغمها ، فضاع جمالها

تقدمت فى الصناعة ، ولكن صناعاتها ومخترعاتها كانت لخدمة البدن وما اليه فحسب

والتعليم فى اساسه موجه الى النجاح المادى فى الحياة. ومناهجه فى الجغرافيا والتاريخ والرياضة واللغات وسائر مناهج الدراسة تهدف الى النجاح فى الوظيفة أو النجاح فى العمل . والعقل ارتقى

كثيرا عما كان عليه فى القرون السابقة ، ولكنه وضع لخدمة الحياة المادية ايضا لا لخدمة التعاون ولا لخدمة الانسانية . والاخلاق وجهت هذه الوجهة نفسها ، فالصدق والمحافظة على المواعيد وتقويم الزمن والثقة بالنفس ونحو ذلك وضعت فى أعلى قائمة الاخلاق لأنها اخلاق تجارية ، اعني انها تنفع فى عالم التجارة وعالم الاعمال . اما الرحمة والانسانية والعطف والتعاون ، فوضعت فى أسفل القائمة بعد أن فسرت تفسيرا ماديا . وحسبك أن المدنية الحديثة اذا ربت طيارا مثلا علمته الشجاعة والاقدام والاستعداد لتضحية النفس فى الحرب ، ولكنها لا تعلمه تقدير حالة من يطلق عليهم القنابل ومن تصيبهم من غير المحاربين . ولا تعلمه ان يرعى الانسانية كما يرعى القومية

وهكذا اتجه العلم فنظر الى المادة ولم ينظر الى روحها واستخدم فيما يفيد جسم الانسان لا ما يفيد قلبه

اصبح العالم فى وضعه الحاضر كجسم اختل توازنه وانعدم تناسقه ، فاتسعت احدى عينيه وضاقت الاخرى ، وطالت احدى يديه وقصرت الاخرى، واستقامت أحدى رجليه وعرجت الاخرى. فكان مشوها يستخرج من الناظر النفور والاشمئزاز وهذا هو سر ما يعانيه العالم من شقاء : خوف شامل ، واستعداد لقتال هائل ، واضطراب فى نظم الحكم ليس له من قرار، وانقسام العالم الى معسكرين او معسكرات تتهاجى وتتراشق بالتهم ويفر كل من تحمل المسئولية ليلقيها على غيره . وهكذا وهكذا من انواع الشرور التى تهدد بالفناء ، وتكاد تجعل موسيقى العالم كلها « نشازا »

ولا امل – مطلقا – فى صلاحه الا اذا اصلحت من جديد آلاته ونظمت اصواته ونسقت نغماته

احمد امين

رد بليغ

اراد المأمون أن يعزى أعرابية قتل ابنها ، فقال لها : « لا تجزعى عليه . أتخذيني ابنا لك من بعده ولن تفقدى معى الا وجهه » . فقالت :

– كيف لا اجزع يا امير المؤمنين على ابن اكسبنى مثلك !



الإنسان الممسوخ

من يدرى فقد يشهد التاريخ ثورة اجتماعية جديدة تقوم على المساواة بين القردة والانسان

بقلم
الاستاذ عباس محمود العقاد

كيف نشأ العقل فى الأحياء ؟

ان العلماء يختلفون فى هذا كاختلافهم فى جميع الاصول الكبرى، ومنها أصل المادة واصل الحياة

ولكنهم على اختلافهم يمكن تلخيص مذاهبهم فى ثلاثة أقوال :

فالماديون يقولون : ان العقل عمل من وظائف الجسم الحية لا فرق بينه وبين سائر الوظائف العضوية فى صدوره من أعضاء الجسد ، وعندهم أنه وظيفة من وظائف الدماغ والاعصاب على التخصيص

والعقليون يقولون : ان العقل عنصر مستقل عن المادة ، وانه لا ينشأ من غير العقل كما لاتنشأ الحياة من غير الحياة ، ولا مانع عند بعضهم من ظهور العقل فى



« إن قرداً يدخن أو يكنس الأرض لا يعد قرداً أرقى من أسلافه . . »

الحيوان على نسبة توفقه في مراتب الارتقاء

وفريق آخر من العقليين يرى أن العقل خاصة انسانية لا يشارك الانسان فيها نوع آخر من انواع الحيوان،وان كل مايظهر في بعض الأحياء من علامات التفكير انما هو أعراض آلية ليست من طبيعة التفكير في شيء

ومن هؤلاء العلماء من يقولون بالتطور ، ولكنهم ينكرون أن الانسان قد تطور من الحلقة المفقودة التى زعم بعضهم أنها وسط بين القرد والانسان ، لأن الهياكل العظمية التي خيل الى هؤلاء انها بقايا الحلقة المفقودة لم تسبق وجود الانسان . اذ قد وجدت هياكل عظمية للانسان اقدم منها واقرب الى الانسان الحاضر في جميع الخصائص الانسانية

ولا يستبعد العقليون القائلون بالتطور أن الانسان نشأ في الازمنة السحيقة نشأة مستقلة من طريق التحول الفجائي Mutation فلا تربط بينه وبين الانواع الدنيا حلقة



« ليس بالعسير تعليم القرد استخدام الطيارة فركوب الطيارات أسهل من ركوب الدراجات »

مفقــودة ممــا يتخيله بعض النشوئيين بغير دليل

●

وقد لخص العــلامة مكبريد MacBride هــذا الرأى تلخيصا سلبيا فقال : « اذا بدا لنا ان نعتقد بانقطاع الصلة بين روح الانسان وروح الحيــوان فليس فى علم الأحياء ولا فى علم الاحافير ما يثبت لنا أننا مخطئون »

ومهمــا يكن مقطع اليقين من هذه الآراء، فالامر الذى لاخلاف فيه أن الصور التى نراها أمامنا فى هــذه الصفحات لا تدل على تطــــور بالمعنى الذى يريده النشوئيون

ان قردا يدخــن ، أو يأكــل بالشوكة والسكــين ، أو يكنس الارض ، أو يركب الدراجــة ، لا يعــد قردا أرقى من أســلافه القدامى التى عاشت على هــذه الارض قبل عشرين الف سنة

لان اسلافه كانت تتعلم هذه الالاعيب لو وجدت من تتعلمهــا منهم ، ولا تحتاج الى ملــكات

عقلية اكبر من ملكاتها التى كانت لها فى ذلك الزمن

فاذا سألنا : « الا يجوز ان توجد هذه الملكات فى المستقبل؟ » فمن الواجب ان نجيب عن سؤال آخر قبل الاجابة عن هذا السؤال وهو : « كيف كانت ظروف الحياة التى اظهرت ملكات العقل العالية فى الانسان ؟ »

ونحن نجهل تلك الظروف كل الجهل ولا نعرفها على وجه التقريب ولو من قبيل التخمين ، بل لا نعرفها على وجه التقريب ولو قبلنا فروض النشوئيين فى تعليل التطور والارتقاء

الا اننا نعرف الظروف التى تحيط بالقرد فى عصرنا الحاضر ، ونعرف ان ملكاته تكفى لحاجاته الطبيعية . فاذا احتاج الى ملكات اكبر منها ، فهو لا يحتاج اليها لمغالبة الطبيعة التى لاءم بينها وبين حياته ، ولا لمغالبة الاحياء التى حفظ مكانه بينها ، وانما يحتاج الى تلك الملكات ليتغلب بها على الانسان، فيدخل بذلك فى سباق هو مسبوق فيه من الآن

ولهذا نشك كل الشك فى ارتقاء القردة وتطورها فى سلم الانواع ، وغاية ما نرجوه لها من المستقبل الناجح انها تحل محل بنى آدم فى استخدام كثير من الآلات ، اذا اعتصم الناس بالكسل وبحثوا عمن يسخرونه فى اعمالهم فلم يجدوا من يقبل التسخير غير هذا « الانسان الممسوخ ! »

اشرنا فى كتابنا «هذه الشجرة» الى جماعة المستغلين الهنود الذين خطر لهم ان يستغلوا قدرة هذا المخلوق على المحاكاة فيما هو انفع واجدى من الحيل البهلوانية ، والالاعيب المضحكة ، فجربوا تدريب القردة على تحريك انوال النسيج وهو اسهل وابسط من كثير من الحركات البهلوانية المعقدة التى تحذقها ولا تخطىء فيها بعد المرانة عليها . ففعلوا ونجحت القردة فى ادارة مصنع صغير يشتمل على انوال عدة ، ولكنهم لاحظوا انها اذا اجتمعت معا فى بقعة واحدة غلبت عليها طبيعة اللعب فتركت العمل او عبثت به وافسدته ، فوكلوا بها حارسا يحمل سيفا مصلتا يهوى به على القرد العابث فيطيح براسه ، فاذا هى منتظمة فى الصنعة على احسن نظام ، ولا تزال كذلك حتى تنسى الدرس فيعاد عليها من جديد

يمكن ان يحدث هذا واشباهه على نطاق واسع

ويمكن ان تدار اضخم الآلات بايدى القردة اذا كانت ادارتها لا تحتاج الى اكثر من تحريك مفتاح هنا او الضغط على زر هناك

ومن يدرى ؟

فقد تكون القردة رقيق المستقبل المباح بعد تحريم الرق الانسانى فى عالم الحضارة الحديثة، وقد يشهد التاريخ ثورة اجتماعية جديدة تقوم فى هذه المرة على المساواة بين القردة والانسان ،



« إذا اجتمعت القردة معاً فى بقعة واحدة . . تركت العمل ؟

وتحطيم قيود هذا الاستغلال الطريف

واذا احتاجت القردة الى السلاح ، فليس بالعسير تعليم القرد حمل البندقية وتحريك « الزناد »

او احتاج الامر الى استخدام الطيارة، فركوب الطيارات اسهل من ركوب بعض الدراجات

او احتاج الامر الى نسف القلاع ، فاشعال اللغم والهرب من مكانه لعبة لا تصعب على هذا البهلوان العريق

ولا شك فى ان الثورة تحتاج الى قيادة لاتحسنها ادمغة القرود فلا يبعد فى هذه الحالة أن تجد فى بعض الآدميين من يتولى عنها سناء القيادة ، ويتصدى للاشراف على هذه الحركة القردية او هذه الحركة الانسانية !

كل هذا قد يكون،ولا يستحيل ان يكون

ولكن المستحيل فيما نظن ان تجد هذه الثورة «كارل ماركس» آخر يزعم ان هذا الاستغلال القبيح هو أساس الحضارة من بدايتها الاولى ، وان الانسان قد جمع ثروته واحكم صناعته وابتدع اخلاقه وعقائده ، على اكتاف القرود ، ومن أجل تسخير القرود !

لن يوجد مفسر للحركة فى المستقبل من طراز هذا المفسر الألمعى ، لانه اذا كتب للقردة لم تفهمه ، واذا فهمته لم تصدقه ، كما يصدقه الآن كثيرون ممن هم ارقى من هذا الانسان الممسوخ فى سلم الانواع . . !

عباس محمود العقاد

هل أنت رجل؟

قد يدهش القارىء أن يقال له ، ان فى كل رجل جزءا من صفات الانوثة ، وان فى كل امرأة جزءا من صفات الرجولة . وقد تزداد دهشته ، اذا قيل له ، ان هذا لا يرجع الى اسباب بيولوجية محضة ، كما سيتبين بعد ، وانما للبيئة اثر يذكر فى ذلك . فقد دلت بحوث العلماء الذين درسوا الحياة البدائية الفطرية ، فى الجزر والاصقاع النائية عن المدنية ، على ان الاوصاف التى نعدها من سمات الرجولة فى البلدان المتحضرة او انصاف المتحضرة ، هى بعينها الاوصاف التى يعدها سكان تلك الجزر ، من سمات الانوثة

وللمهنة التى يزاولها المرء عامل قوى فى توجيهه نحو اقوى صفات الرجولة أو اضعفها ، أو نحو اقوى صفات الانوثة او اضعفها . ولست أريد ان اؤكد ان المقاييس التى وضعت ، توصلا لهذه النتائج ، بالغة حد الدقة ، أو انها لا نقض فى صحتها ولا ابرام . انما كل ما استطيع ان اقوله ، ان واضعيها من العلماء الذين كانت لهم الايادى البيضاء فى تعديل مقاييس الذكاء ومقاييس الشخصية ، وادخال التحسينات عليها

ويبين الجدول الآتى ، الذى توصل الى نتائجه هؤلاء العلماء بعد دراسة طويلة ، ترتيب الناس بحسب نصيبهم من صفات الرجولة او صفات الانوثة . فمن يذكر فى أعلى القائمة من الرجال اكثرهم ميلا للرجولة ، يليه من بعده ، الى ينتهى الجدول باضعف الرجال رجولة . وهكذا من يذكر من النساء فى أعلى القائمة يكون اشد ميلا للانوثة وليست هذه الارقام من مائة درجة ، ولكنها متوسط الدرجات التى نالها كل فريق فى الاختبار الذى وضعه بعض العلماء لمقياس الرجولة والانوثة

وتتوقف درجة الرجولة على

درجة ميل المرء للأشياء الآتية :
المخاطرة والاكتشاف والاستغلال ، نواحي النشاط في الهواء الطلق ، الاشتغال بالاعمال التي تتطلب مجهودا بدنيا ، الآلات والادوات الصناعية ، العلوم الطبيعية ، الاختراع ، الظاهرات الطبيعية ، التجارة ، دورالاعمال الصناعية والتجارية والزراعية التي تدر الربح الوفير

وتتوقف على كون المرء :
محبا للسيطرة ، ميالا للعدوان والعنف ، جريئا ، خشنا ، فظ الطباع ، جافا في القول ، تنقصه المرونة في المعاملة وتنقصه الكياسة في آداب السلوك

اما درجة الانوثة فتتوقف على درجة ميل المرء للأشياء الآتية :
الاعمال المنزلية (الطهي ، حياكة الثياب ، تربية الأطفال الخ) ، الفن والادب والموسيقى ، الأعمال التي تتطلب الجلوس وعدم الحركة في الاماكن المغلقة ، خدمة البؤساء والمحتاجين وعديمي الحيلة ، نواحي النشاط الاخلاقية والانسانية

وتتوقف على كون المرء :
رحيما ، جبانا ، حييا ، مشاركا للغير وجدانيا ، انيقا ، شديد العناية بالاشياء الظريفة ، صعب الارضاء ، عاطفيا ، سريع التأثر

●

ولعل هذه الميول تفسر لنا الجدول اللاحق ، الذي يتضح منه أن ابطال الرياضة من لاعبي الكرة والملاكمين والمصارعين ، من طلاب الجامعات ، أكثر الناس رجولة ، كما أن الفنانين ورجال الدين اكثرهم ميلا للرحمة والاحسان وتأثرا بالعواطف والوجدانيات . وهي من صفات الانوثة

ويتساءل من ينظر الى أسفل الجدول ، كيف ان رجال البوليس ورجال المطافىء ، على غير ما كنا نتوقع فيهم من درجة الرجولة العالية . يجيب العلماء الذين وضعوا هذا الجدول بقولهم : أن رجال البوليس ورجال المطافىء ، يتأثرون بأعمال الخير وخدمة البؤساء واغاثة عديمي الحيلة . كذلك يذكرون سببا آخر ، وهو ان الرجل الذي يطرق باب الاعمال البوليسية ، او يؤثر ان يكون من رجال المطافىء ، يكون عادة من طبقة متواكلة من الناس ، لا تميل للأعمال الميكانيكية ، ولا تعنى بالربح المالي الوفير ، ولكن كل همها وظيفة تضمن لها مرتبا ومعاشا بغير عناء كثير . كما أن هذه الطبقة تكون بطبيعتها سهلة الانقياد والانصياع ، مطيعة للأوامر طاعة عمياء ، تصلح للنظام العسكري . وهذه كلها من صفات الانوثة . ولذا يقول لنا الذين درسوا هذا الموضوع : ان الناس بوجه عام يظلمون لابسي الازياء البوليسية ، وهم لا يعلمون أن هؤلاء حملان وديعة في ثياب ذئاب متحفزة

ويتبين من الجدول الذي في الصفحة التالية ، أن أكثر النساء انوثة الخادمات ومن في حكمهن ،

جدول يبين ما فى المرأة من الأنوثة وما فى الرجل من الرجولة



تدل هذه الأرقام التى إلى اليمين على درجة الأنوثة فى كل من ذوات المهن والمؤهلات المختلفة . وتدل الأرقام التى إلى اليسار على درجة الرجولة فى كل من ذوى المهن والأعمال المتباينة . وليست هذه الأرقام من مائة درجة ، ولكنها متوسط الدرجات التى نالها كل فريق فى الاختبار الذى وضعه بعض العلماء لقياس الرجولة والأنوثة

درجة الأنوثة فى المرأة

١٠٠ ٪ الخادمات ـ المرضعات (أعلى درجة من الأنوثة)

٩٠ ٪ كاتبات الاختزال ، فالخياطات ، فالعاملات فى صالونات الجمال

٨٠ ٪ المشتغلات بالفنون الجميلة ، فربات البيوت ، فالمشتغلات بالمحال التجارية ، فالسكرتيرات

٧٠ ٪ معلمات ومحاميات

٦٠ ٪ ممرضات

٥٠ ٪ طالبات الجامعات

٤٠ ٪ شهيرات النساء (فى دليل النساء)

٣٠ ٪ الطبيبات (الدكاترة) والحائزات للدكتوراه فى الفلسفة فى أى علم من العلوم

٢٠ ٪ المرأة الرياضية من الحائزات على ألقاب البطولة

درجة الرجولة فى الرجل

٩٠ ٪ أبطال الرياضة من طلاب الجامعات (أعلى درجة فى الرجولة)

٨٠ ٪ المهندسون وطلاب المدارس الثانوية

٧٠ ٪ طلاب الجامعات الذكور

٦٠ ٪ رجال المحاماة والصحافة ، ورجال البنوك ، ورؤساء الأعمال الادارية والتجار

٥٠ ٪ أطباء الأسنان ، فالمعلمون ، فالأطباء ، فالمشتغلون بالأعمال الميكانيكية ، فالكتبة

٤٠ ٪ المشتغلون بأعمال البناء ، فالفلاحون ، فشاهير الرجال (من دليل الرجال)

٣٠ ٪ رجال البوليس ، فرجال المطافىء

٢٠ ٪ رجال الفنون الجميلة ، فرجال الدين

واقلهن نصيبا منها بطـلات الرياضة. ومعنى هذا ان البطولة الرياضية تتلازم فى كل من الرجل والمراة مع الرجولة . بيد ان الحكم على الشخصية بالمنظر الخارجى ، يؤدى بصاحبه الى الخطأ . فقد يخفى المنظر الخشن، الذى ينبىء بالشجاعة ، وشدة الباس ، وقوة العضل ، والخلو من الجمال — سواء فى الرجل او فى المراة — قد يخفى تحته طبيعة ناعمة ، رخوة ، لينة العريكة ، كلها انوثة . كما ان المنظـر الدقيـق ، الرقيـق ، الناعم ، الجميل — سواء فى المراة او الرجل — قد يخفى تحته طبيعة جريئة ، حديدية ، كلها رجولة . ولا ينفى هـذا الحقيقة الواقعة ، وهى ان المظهر الخارجى بوجه عام يدل فى اكثر الاحايين على طبيعة صاحبه

وقد وجد ان الرجال والنساء على السـواء ، يزداد نصيبهم من الانوثة كلما تقدموا فى السن . فقد اتضح من دراسة العلماء المشار اليهم فى هذا المقال ، ان متوسط رقم الرجولة عند شبان فى العشرين من اعمارهم كان ٥٨ فى حين انه هبط الى ٣ فى سن السبعين ، اى انه نقص بمقدار ٥٥ درجة ، ومعنى هذا ان الرجل يخطو نحو صفات الانوثة ، كلما كبر فى السن . على ان المراة لا تتغير بهذا المقدار ، فقد وجد أن متوسط رقم الانوثة عند نساء فى العشرين من العمر كان ٧٥ ، فى حين انه ارتفع الى ٨٩ فى سن السبعين ، اى انه زاد بمقدار ١٤ درجة فقط . ومعنى هـذا ان المراة تزداد فيها صفات الانوثة كلما تقدمت فى السن

●

ولا شك فى ان هذه المقاييس كثيرة العيوب . اولا : لان تعريف الصفات التى يتسم بها الرجل او المراة ، غير واضح تماما . مثال ذلك ان الشجاعة او الجراة فى نظر واضعى هذه المقاييس ، تتلازم مع النشاط البدنى فى اكثر الاحايين . ولكن ما قولنا فى شابة فنانة تتحمل صنوف الحرمان والجهاد فى سبيل فنها ؟ اليست هى اكثر شجاعة من مشاغب يميل الى الفتك بمن هو اضعف منه ؟ وما قولنا فى فتاة ، حيية ، ناعمة الطرف ، تحكم عليها ظروف القدر بالزواج من ملاكم كالثور ، عقله فى قبضة يده ، ومع ذلك تعيش معه بسلام راضية ؟ اليست هى اشد مخاطرة من مكتشف القطب الشمالى ؟ اليس الصحاق او الكاتب الذى يطعن فى اعمال الوزير والامير ، ويعرض نفسه للخطر دفاعا عن الحق ، اشد جراة من الحاكم المتغطرس الذى يسوس مرءوسيه بالتعذيب والتهديد ؟ . وثانيا : أن المقاييس واحدة للرجال والنساء على السـواء ، وليس هذا من الصواب فى شىء . فالمراة تعودت منذ نعومة أظفارها ، على اتباع قاموس معين من السلوك وآداب الحديث والتصرف ، وهو قاموس يختلف كثيرا عن مثله عند الرجل



بقلم الدكتور أمير بقطر

السياسة الأمريكية تقال بين حزبين اثنين لامنافس لهما من الأحزاب الأخرى، وهما : الحزب الجمهورى ، والحزب الديمقراطى . وانتخاب الرئيس هناك هو فى الواقع انتخاب للحزب الذى ينتمى اليه

الأسس السياسية لسلطة الرئيس

ليس رئيس الجمهورية الامريكية سوى رمز للأهداف القومية ، وكل ما يشترط فيه ان يكون من احد الحزبين المذكورين، وأن يكون من هواة السياسة ، وان لم يكن سياسيا بالمعنى المفهوم Statesman وهم يعدون الرئيس ترومان من الهواة فى السياسة

والمفهوم ان الرئيس يختاره الشعب ، ولكن هذا لاينطبق على الحقيقة تماما ، اذ ان انتخابه نتيجة لمجموعة ظروف وتقاليد شتى ، لا تخلو من اساليب الشعوذة ، والاعلانات الجارفة الاخاذة ، يضاف اليها نشوة الحماسة وموجة الهوس التى تطغى على المؤتمرات الحزبية

ومن الغريب أن الحزب الناجح الذى عليه يتوقف نجاح الرئيس لايختلف عن منافسه الا قليلا ، واذا سالت سياسيا من هذا الفرق ، فقلما تظفر منه باجابة مقنعة . وكل ما يمكن ان يقال ان الحزب الديمقراطى يقرب من الاحزاب المعتدلة فى اوربا ، اما الحزب الجمهورى فيجنح قليلا جدا الى اليمين

ورغم ان الرئيس يلتجىء الى الشعب عند انتخابه ، فان الكونغرس هو الذى يسنده فى منصبه ويعاونه على تحقيق برنامجه . وليس فى وسع اعضاء الكونغرس أن يسندوا الرئيس ما لم يكن ذلك موحى به من دوائرهم الانتخابية

ان الرئيس من الناحية القانـ . هو الادارى الاكبر

والمشرع الاكبر ، اذ ان اكثر القوانين التي يسنها الكونغرس يجب أن يوقع عليها الرئيس قبل أن تنفذ أحكامها . وله حق الاعتراض « الفيتو » ولكن هذا الحق يبطل بثلثى أصوات كل من المجلسين . وما لم يوقع الرئيس على القوانين ، او يستعمل حق الفيتو خلال الايام العشرة المقررة فى الدستور ، فان هذه القوانين تصبح نافذة

بيد ان المسئولية بين رئيس السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية غير واضحة تماما . فالميزانية التى يقترحها الرئيس مثلا ، قد لايوافق عليها الكونغرس ، ليس لأنها لا تتفق والصالح العام ، وانما لأنها لاتتفق وصوالح الولايات الممثلة فيه او وحداتها . ومعنى هذا ان الرئيس يمثل الصالح العام ، اما الكونغرس فيمثل الصالح الخاص

التاثير فى اعضاء الكونغرس

وقد كان الرؤساء فى بدء عهد الجمهورية ، لايحاولون التاثير فى أعضاء الكونغرس . غير أن ثيودور روزفلت ابتدع هذه العادة لكى يؤثر فى التشريع عن طريق التاثير فى أعضاء الكونغرس . وقد حاول « تافت » اتباع هذه الوسيلة فلم يوفق . اما ولسن فكان يكتفى بمحادثة بعض النواب والشيوخ بالتليفون دون ان يدعوهم اليه . واما « كولدج » فكان من عادته ان يدعو كثيرين من الاعضاء الى مائدة الافطار فى البيت الابيض ليحاول التاثير فيهم . ولكن اغلبية الاعضاء كانت تعتذر ، وقد منى «كولدج» بالهزيمة فى كل عمل تقريبا ، وفى كل تشريع

اشهر الرؤساء من واشنطون الى ترومان

قسم أحد المؤرخين رؤساء الجمهورية الامريكية الى ثلاثة اقسام :

اولها ــ رؤساء حكم الاقلية (اوليجاركي) ، ومنهم واشنطون، وجفرسون، وماديسون ، ومنرو

والثانى ــ رؤساء الحكومة الشعبية (ديموقراطية) ، ومنهم جاكسون ، وهارسون ، ولنكولن

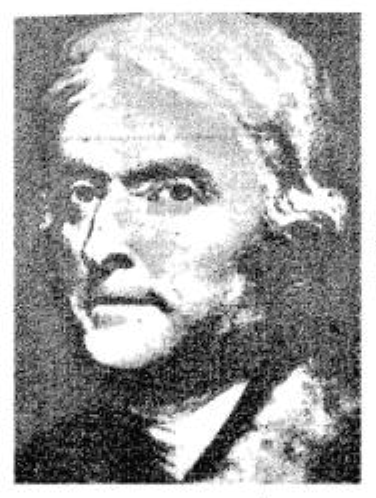
والثالث ــ رؤساء حكومة الاثرياء (بلوتوقراسيه) . ومنهم جرانت ، وتافت ، وولسن ، وروزفلت ، وترومان

جورج واشنطون
(١٧٨٩ – ١٧٩٧)

كان أول رؤساء الجمهورية ، وهو ينحدر من اسرة محترمة ، ولكن نصيبها من الثروة والتعليم كان قليلا ، ولما دعى لحفلة التنصيب ، اقترض أجرة السفر . قال عنه غلادستون : انه انقى رجال التاريخ خلقا . وكان الانجليز اول من اطرى شجاعته وعظمته ، رغم انه ذلك الثائر الجبار الذى انتزع من الامبراطورية البريطانية ألمع درة فى تاجها .



جورج واشنطون



توماس جفرسون

وقال عنه زعيم انجليزى : « ان انجلترا تعده بطلا من ابطالها » . ولم ينجب اطفالا ، ولكنه تبنى وربى تسعة اطفال ، وكان عنده فى آخر إيامه ٣٠٠ عبد فحررهم جميعا قبل موته . كانت حياته سلسلة من اعمال البطولة والعظمة مع نهاية التواضع . وكانت قامته المديدة، وملامحه الوسيمة الجليلة، تتفق وروحه الوثابة

توماس جفرسون
(١٨٠١ – ١٨٠٩)

كان مولعا بجميع العلوم والمعارف ، عدا علمي الميتافيزيقا والاخلاق . درس الادب القديم والجديد، والفرنسية والايطالية ، كما درس الفلسفة والرياضة بتوسع ، وكان ثقة فى الزراعة ولما عين وزيرا مفوضا لبلاده فى باريس ، احبه الفرنسيون حبا جما ، لرقة حاشيته ، وعلوثقافته وتنوعها . وكان اول من نادى بوجوب تعليم العامة من الشعب ، ولما تولى الرياسة ، كان يقول : « اننى لو خيرت بين التعليم الجامعى والتعليم الاولى ، وكان لامفر من الغاء احدهما ، لما ترددت فى الغاء الاول »

جيمس منرو
(١٨١٧ – ١٨٢٥)

كان صديق جفرسون ، وعينه واشنطون وزيرا مفوضا فى باريس ، فاحبه اهلها كما احبوا جفرسون ، وقد نجح فى شراء لويزيانا ونيواورلينز من فرنسا وضمهما الى امريكا. وقد انتخب حاكما لفرجينيا ثلاث مرات . واشتهر بنظريته المعروفة ، فى وجوب عدم تدخل اوربا فى شئون القارة الامريكية ، وعزلة امريكا ،



جيمس منرو





ابراهام لنكولن

لان فى هـذه السيـاسـة حفظا للتوازن العالمى

اندرو جاكسون

(١٨٢٩ – ١٨٣٧)

كان ديمقراطيا متطرفا ، يمقت الارستقراطيـة . وعند تنصيبه رئيسا أقام حفلة شعبية كبيرة ، دعا اليها جمعا غفيرا من العامة ، فتكسرت الاواني وتهشم الاثاث ، وملأت أحذية الشعب البيت الابيض بالاوحال ، فسر جاكسون كثيرا ، لانه رأى فى ذلك مظهرا من المظاهر الشعبية الرائعة . كان محاميا ونائبا عاما قبل توليه الرياسة ، وسجنه الانجليز قرب نهاية حرب الاستقلال . وكان شجاعا ومشاكسا ، يأخذ بالثأر متهورا طائشا ، ولكنه كان امينا مخلصا . كان يشكو على الدوام من اثر الجروح التى اصابته من المبارزات فى صغره . وقد قتل مرة خصمه فى مبارزة بالمسدسات، بسبب رهان فى سباق الخيل ، وقد اصيب مرة فى مبارزة برصاصة على مقربة من قلبه ، وأصيب مرة بجروح بالغة فى مبارزة بالمسدسات والخناجر

ابراهام لنكولن

(١٨٦١ – ١٨٦٥)

اجمع مواطنوه على انه اعظم رجل أنجبته امريكا . فيه تجلت كل صفة اخلاقية محبوبة . لم يكن مستقيم العود ، ولم يكن وسيما ، وكان أشعث ، سيء الهندام ، شعبي المنظر ، وكذلك كنت تقرا فى ملامحه الحكمة ، وترى فى عينيه الحنان والعطف . فشل فى كل عمل امتدت اليه يداه الى ان بلغ متوسط العمر ، ولم يتلق فى حياته دراسة منظمة أكثر من

١٢ شهرا ، ولكنه علم نفسه بنفسه . ومن أقواله : « ان كل ما أريد معرفته فى الكتب ، واحسن اصدقائى من يعيرنى كتابا » . واشتهر فوق ذلك بالتفكير ، خصوصا فى ثلاثة أشياء : « الله ، والانسان ، وتاريخ بلاده » . ولم يلجأ الى الخمر ، أو الرياضة ، أو الحب ، هربا من الحياة . وكان يعتقد بوجود الله والقضاء والقدر . وكان الدين عنده حب الانسانية . ورغم انه انهك شبابه فى الفلاحة والعمل الشاق ، كانت قوته موضوع حديث الناس ، وقامته مديدة فوق العادة بكثير . وفى الخمسين من عمره كان من ابرع رجال القانون ، وفى السنوات الاخيرة من عمره كان اشهر خطباء امريكا . ومع جهوده الجبارة فى تحرير الزنوج ، لم يقترح تحريرهم مرة واحدة ، خوفا عليهم من التشرد والفاقة . قتله فى ملهى فورد فى واشنجتون عضو فى عصابة أثيمة كان همها قتل رجال الحكومة

يوليسز سمسون جرانت
(١٨٦٩ – ١٨٧٧)

كان كفاريبالدى قليل المعرفة ، شديد البأس ، قوى العزيمة ، غريبا فى اطواره ، حتى قيل عنه ان سكان الكهوف يعدونه عتيقا متأخرا . والى سن التاسعة والثلاثين كان فشله فى كل عمل مضرب الامثال . وادمن الخمر الى حد طرد معه من الجيش . ولولا انه اصاب نجاحا لامثيل له فى حرب المكسيك لكان اشد الرؤساء خيبة ، وحسبه انه رغم انتخابه رئيسا مرتين ، بدد اكثر


تيودور روزفلت


وودرو ولسن



فرنكلين روزفلت



هارى ترومان

من ١٦ مليون دولار ، وكان لعنة الله كانت تصيب كل مشروع من مشروعاته . كان قصيرا ، وملامحه اقرب الى ملامح الجنس اللطيف ، ومن صفاته أنه كان يكره ذبح الحيوانات ، ويعلو وجهه الخجل لأوهى الاسباب . ورغم نجاحه فى حرب المكسيك كان يكره الجندية ، ولما زار المانيا وهو فى اوج عظمته قال لبسمرك وهو يستعرض الجيش الالمانى : « اننى فلاح أكثر منى عسكريا »

تيودور روزفلت

(١٩٠١ – ١٩٠٩)

كان خامس رئيس يتقلد وظيفته ، لا لفوزه فى الانتخاب بل لموت الرئيس ، كما حدث لترومان منذ سنوات . كان كاتبا نحريرا ، وجنديا ، وسياسيا ، ومحبا للطبيعة والقنص ، كما كان مرحا ، بشوشا ومحدثا لبقا ، ينافس لنكولن فى المعرفة والتفكير وقيل عنه : « ان عنده معرفة بغير حكمة ، فى حين ان لنكولن كان عنده حكمة بغير معرفة » . اشتهر فى جامعة هرفرد بتفوقه فى الملاكمة وقوته ، ولكنه تعلم من السياحة والدروس الخاصة ، أكثر مما تعلم من معاهد التعليم . انتخب محافظا لنيويورك فهاجم الرشوة والفساد ، ولما نجح فى الانتخاب ليكون نائبا للرئيس . زار مصر فى آخر حكمه وخطب خطبة أغضب بها الانجليز والمصريين بقوله المشهور : « احكموا أو اخرجوا Govern or Go »

وودرو ولسن

(١٩١٣ – ١٩٢١)

اشهر من ان يعرف . كان استاذ السياسة فى جامعة بريستون ، كبير النفس ، كتلة

من المثل العليا ، صاحب المبادىء الاربعة عشر فى تقرير المصير . قام بدور هام فى الحرب العالمية الاولى مع لويدجورج وكلمنصو . ولكنه اتهم فى اوربا بالتحيز . قال عنه كلمنصو : « انه يتحدث كالمسيح ويعمل كلويد جورج » . واتهم فى أمريكا بتكسيره قانون منرو ، وهاجته الصحف بالسنة حداد

كلفن كولدج

(١٩٢٣ - ١٩٢٩)

تمثال صامت . لم نذكره بين مشاهير الرؤساء الا لانه قضى مدة الرياسة فى الصمت الرهيب ، وقد لازمه الصمت فى حياته الخاصة . سألته زوجته مرة عقب عودته من الكنيسة : « ماذا كان موضوع الموعظة ؟ » . قال : « الخطيئة » . فسألته : « وماذا قال عنها الواعظ ؟ » . فقال : « استهجنها »

سادس نائب رئيس يتولى الرياسة لموت الرئيس ، ومن أهم أقواله ماجاء فى كتاب شهير له : « لا تتردد فى ان تكون رجعيا كجدول الضرب » و « لا تتردد فى ان تكون ثوريا كالعلم » و «توقع أن يسميك الناس مهرجا ولكن لا تكن مهرجا »

فرنكلين روزفلت

(١٩٣٣ - ١٩٤٥)

اجمع الامريكيون على انه أعظم رجال أمريكا بعد لنكولن

هارى ترومان

(١٩٤٥ - ٠٠٠٠)

اجمع الامريكيون وسكان العالم اجمع على انه ارتكب من الاخطاء السياسية والادارية ما لم يرتكبه رئيس أمريكى ، ومع ذلك قد انتخب بعد حلة انتخابية صاخبة ضد منافسه ديوى ، لان فى انتخابه أهون الشرين ، أى فوز الحزب الديمقراطى واندحار الحزب الجمهورى

أمير بقطر



٥ من سوء حظ الانسان ونكد عيشه ، انه ينسى الماضى ، ويذهل عن الحاضر ، وينصرف همه كله الى هذا المستقبل المجهول ، فيعيش فى الوهم الباطل حتى تدركه منيته

٥ ان العمر طويل بالتدبير قصير بالتبذير

[محمد المويلحى]

ظاهرة شاذة فى مجتمعنا

ناجحات راسبات!

بقلم السيدة بنت الشاطىء

سعت الى ترجونى ان اتوسط لها فى البقاء حيث هى ، فى السنة التوجيهية بالمدرسة الثانوية ، وكنت اعلم انها اتمت هذه الدراسة ونجحت فى امتحانها الاخير ، فعجبت لها كيف تمسخ هذا النجاح وتبتغى اعادة الدراسة مع الراسبات الفاشلات ، وزاد عجبى حين علمت ان هناك كثيرات غيرها ، يردن ان يهدرن من حياتهن المدرسية عاما باكمله ، ويتعلقن اليوم بأمل معكوس ، هو أن يحسبن راسبات ، ويعدن الى مدارسهن التى اخرجتهن فى آخر العام ظافرات بالنجاح !

ترى هل تحول ظروفهن دون اتمام الدراسة بالجامعة ، فهن يؤثرن البقاء فى المدرسة الثانوية عاما آخر ، اشفاقا من الوحشة والضجر والفراغ ؟ خيل الى ان الامر كذلك ، فبدأت أهون عليها الامر ، لكنها لم تدعنى اكمل حديثى ، فما هى بسبيل الى العودة الى البيت ، وانما تريد أن تعيد الدراسة ، لعل الحظ يأتيها فى العام القابل ، بمجموع عال من الدرجات ، يبيح لها دخول كلية الطب او العلوم

> • نجحن فى الامتحان فما شعرن بفرحة النجاح أو لذة الظفر ، وانما تعلقن بأمل غريب معكوس : هو أن يهدر نجاحهن ، ويحسبن فى عداد الخائبات اللواتى رسبن وتخلفن ! »

سألتها : « الك ميل خاص الى الدراسة الطبية أو العلمية البحت ؟ »

قالت : « لا ادرى .. لكنه الاتجاه الذى تمضى اليه الزميلات ويرين ماعداه ضياعا وخسرانا . هو الزى المستحدث فى هذا العصر ، وما أريد ان اتخلف ، فأرتدى زيا قديما يثير السخرية او الاشفاق ! »

قلت لها : « لكنى أحسبك اكثر استعدادا للدراسة الادبية ، وهذه درجاتك فى الامتحان الاخير ، تكشف عن قصورك فى المواد العلمية التى تراها كلية الطب أساسا أول للدراسة بها »



قالت وفى عينيها نظرة حالمة : « مارجوت يوما أن أكون طبيبة ، وما اراني أصلح لهذا بمزاجي الرقيق واعصابي الواهنة ، بل لعلي أشعر بما يشبه الفزع كلما تمثلت درس التشريح للجثث الادمية ، أو سمعت ما يقال عن التجارة السرية السوداء بين حارسي المقابر وطلبة الطب . لقد شهدت فى طفولتي مذبح كبش اعددناه للفداء فى يوم عيد ، فلبثت ليالي ذوات عدد ، أهذى فى احلامي بالمشهد المروع ، وارى الضحية تتلوى غارقة فى الدم ! وما زلت حتى اليوم — وقد بلغت مبلغ الشباب ورأيت قسوة الحياة — اجد غضاضة فى أكل اللحم ، وأشيح بوجهي كلما مررت بدكان جزار ، أو أبصرت عربات المذبح ! وما اشك فى انى لو رأيت المشرحة فى كلية الطب لوليت منها فرارا ولملئت منها رعبا ، غير انى مع ذلك اراني ماضية برغمى اليها ، فهكذا تفعل الزميلات ، ولن يكون النجاح فى عرف اليوم نجاحا ، اذا لم يكن جوازا للدخول هناك ! »

●

لم يرعنى الذى سمعت من صاحبتي ، فقد الفنا سماع مثله فى بلدنا ، لكني مع ذلك اشفقت وجزعت : اشفقت على فتيات جيل باكمله ، يتركن هكذا لتضليل الجمع وفتنة الكثرة ، فيندفعن على غير هدى وبدون توجيه ، فى طريق لا يدرين ان كان يلائم استعدادهن ويوافق مزاجهن ! وجزعت لان الامة تنفق ما تنفق على التعليم العالى ، وفى حسابها انها بذلك تشترى جيلا صالحا لحمل عبء الحياة الكريمة التى تتعلق بها !

●

ومضيت اسأل الارقام عن اتجاه الفتيات فى السنة الاخيرة من التعليم الثانوى فسمعت عجبا : فمن بين مائة طالبة نجحن فى الثقافة بالمدرسة السنية الثانوية ، تقدمت الطالبات المائة الى شعبتى الرياضة والعلوم ، فلما لم تتسع فصول المدرسة لهذا العدد ، قبلت الثمانون الاوليات فى هاتين الشعبتين ، وابقيت العشرون الاخريات فى شعبة الاداب ، مع وعد من ادارة المدرسة ببذل الجهد الممكن لنقلهن من هذه الشعبة . وقد برت المدرسة بوعدها الى الحد المستطاع ، فأمكنها ان تدبر اماكن جديدة لسبع طالبات ، وبقيت ثلاث عشرة طالبة فى شعبة الاداب ، مقهورات مظلومات ، كانهن وضعن فى مرتبة دون زميلاتهن درجة !

وكنت اظن ان الامة تجد فى امثال هؤلاء المقبلات على الدراسة العلمية ، حاجتها من معلمات الرياضة فى مدارس البنات ، لكن الارقام خيبت هذا الظن ، فهناك ثلاث فتيات فقط من المائة ، رضين — بشىء من التأفف والضجر — أن يقيدن لحساب تدريس الرياضة فى مدارس البنات ، على الرغم من تشجيع الوزارة لهن باعفائهن من نفقات

التعليم العالى ، واعداد جناح لسكناهن فى المدرسة السنية ، اثناء دراستهن الجامعية . على أن الوزارة لم تستطع — مع هذه المغريات — أن تحمى مبعوثاتها القليلات فى كلية العلوم ، من اغراء الكثرة ، فقد حدث بالفعل ان تحولت بعض هؤلاء الى قسم العلوم البحتة ، وتركن قسم الرياضة الذى رضين من قبل أن يدخلنه لحساب تعليم البنات !

والمسألة قد تبدو فى ظاهرها هينة يسيرة : فتيات متعلمات يطلبن الدراسة التى يخترنها ، ومن حقهن ان يفعلن ، فهل من ضير فى هذا ؟

هناك ضير كثير ، فالتعليم العالى الذى تبذل الامة فيه باهظ النفقات ، وتعقد عليه كبار الآمال ، لن يحقق غايته اذا لم يخضع لاعتبارات فنية مقررة ، ليس منها هذا الاستهواء العجيب للقب طبيب ، أو ربح مهندس ، او زى ضابط !. ان ميول الطالب ومواهبه ، يجب أن تتحكم فى اختيار نوع التعليم العالى الذى يدرسه ، فاذا كان الطلبة قد اتموا دراستهم الثانوية دون ان يستبين لهم ميل واضح الى نوع خاص من الدراسة ، فذلك وحده دليل على أن المدرسة لم تؤد مهمتها !

ولقد يساغ احيانا أن نترك الاعتبارات القومية تتحكم فى توجيه الشبان فى بعض الفترات الدقيقة من حياة الامة ، كأن تفرض الدراسة العسكرية على الطلاب فى عهود الكفاح الوطنى ، او تغرى الفتيات بدراسة التربية اوالتمريض ، لكن هذه الاعتبارات القومية لا تلغى المقاييس الفنية بحال ، وان اخرتها الى المرتبة الثانية ، فمن العبث ان تبغى جنديا من فتى ضعيف خائر ، او تريد معلمة من فتاة عصبية المزاج خشنة الطبع

وهذا الذى نراه فى حياتنا العلمية لايخضع لاعتبارات قومية ولا فنية ، فجموع الطلبة الذين يتجهون الى كلية الطب ، أو الهندسة ، اوالحربية ، اومدرسة البوليس ، لم يندفعوا نحو شيء من ذاك بدافع له قيمته من ميل خاص ، أو استعداد اصيل ، أو حاجة قومية ، وانما يستهويهم اللقب الرنان ، والزى الانيق .

والامر كذلك مع الطالبات ، فهن جميعا خاضعات للاستهواء عينه . اعرف زميلة لى ابت كلية الطب عندنا قبولها فنزحت الى فرنسا تلتمس هناك ما اخطاها هنا ، وامضت بباريس ثلاثة اعوام وهى فى مكانها لم تجز الدراسة الاعدادية، حتى اذا اعلنت الحرب عادت الى مصر، واعانتها الظروف والشفاعات ، وهذه السنوات الثلاث فى فرنسا ، فقبلت فى كلية الطب عندنا . لكنها رسبت اربع مرات فى عامها الدراسى الاول ومنحت فرصة اخيرة للتقدم للامتحان من الخارج ، وكان آخر عهدى بها يوم كانت تؤدى امتحان السنة الثانية للمرة الخامسة ، على حين تخرجت زميلات لها ،

كن معها فى المدرسة الثانوية

ولو نجت هـذه المسكينة من الاستهواء الضال ، لتفوقت فى الدراسة الادبية تفوقا ذا بال ، فلها حس أدبي رقيق ، تسعفه رغبة فى المطالعة ، وتؤيده معرفة حسنة باللغات الثلاث : العربية ، والفرنسية، والانجليزية. لكن احدا من معلميها او أولى امرها ، لم يعن بتوجيهها الى الدراسة التى تصلح لها ، فمضت مع من مضين من المفتونات بوجاهة كلية الطب ، ثم آبت بعد ستة اعوام تبكى شبابها الخاسر وجهدها المضيع ! وكانت فى هـذه السنوات قد فقدت امها ، وخسرت عطف ابيها الذى تزوج من اخرى ، فنالت هـذه الاحداث منها ، وردتها مخلوقة تعسة ، ممزقة الاعصاب تالفة النفس

والحياة لاتقف طويلا امام هذه المأساة ، لأن فيها من مثلها الكثير، وما تمر لحظة من الزمن دون صريع او شهيد ، لكنا مع ذلك لا نملك الا ان نقف امام المأسـاة ، لا بوصفها حادثة فردية ، بل لانها مثال مما تجرى عليه الامور فى دنيانا ، وعزيز على امة طامحة الى حياة كريمة ، ان يكون الامر هكذا فى الجانب الثقافى الذى هو اعز واقوى ماتتكىء عليه فى كفاحنا الشاق المرير

لو أبيح لدارس ان يعرض نتائج امتحانات النقل فى كليات الجامعة ، لراى عجبا من العجب : طلاب يقطعون المرحلة الدراسية فى ضعف الزمن المقرر لها ، وآخرون يمنحون ــ بعد هذا الزمن المضاعف ــ فرصا استثنائية من باب (الرحمة) ، وغيرهم كثيرون ، يكلفون اهليهم والدولة شططا فى الدروس الخاصة ، مع ان منهم من كان بحيث يتفوق فى جانب آخر من الدرس العالى ، لو ظفر بتوجيه صالح فى المرحلة الابتدائية والثانوية

●

وبعد فما تحتمل الحياة فى جدها وصرامتها مثل هذا العبث الأليم بمصائر الشبان ومصائر الشعوب ، وما اراها تنتظر حتى تقوم ما اعوج من امرنا ، فليس من دابها أن تقف حتى ينتبه غافل او يصحو نائم ، وانما تمضى جادة فى طريقها المرسوم ، دون ان تلتفت الى من لغفلتهم ــ اثناء السير ــ من موكب الأحياء !

بنت الشاطىء

(من الامناء)



مشلول .. يروي مأساته



« لقد مكنني الله من أن أهزم الضعف وأنتصر على الشلل . ! »

كنت مارا ذات يوم فى الطريق ، فرأيت فتاة فقيرة لا تتجاوز العشرين من العمر ، عرجاء ضامرة الساقين ، تتنقل بعكازها فى جهد وعناء .. وكانت كلما تقدمت بضعة أمتار ، وقفت - وقد تصبب العرق من جبينها بسبب الاعياء - ريثما تستريح وتهدأ أنفاسها السريعة المتلاحقة ، ثم تستأنف السير

ولست أدرى لماذا خطر لى وأنا أرقب حركاتها ، أن أفكر فى موقفى لو قدر لى أن أكون عاجزا كسيحا مثلها .. فهمست محدثا نفسى : « والله لو كنت مكانها ، لقبعت فى ركن مظلم من البيت لا أرى أحدا ولا يرانى أحد ، وما أقدمت على السير فى الطريق العام ، ولو قيل لى أن حياتك رهينة بذلك » .. ثم عدت وقلت :

« بل لو قدر لى ذلك لقتلت نفسى فى الحال .. فكيف أواجه الحياة والناس بهذا العجز وهذا الضعف المثير للاشفاق »

حقا .. انه من العسير أن يقدر المرء - وهو فى كامل صحته - ما سوف يفعله ، لو أصابه مرض خطير شوه جسمه أو شل حركته .. فاليوم ، أصبحت فى حال أسوأ من حال هذه الفتاة .. فأنا لا أستطيع أن أسير خطوة واحدة على قدمى ، وسبيلى الوحيد للحركة مقعد ذو أربع عجلات .. وكلما أردت أن أرتقى سلما أو أهبط به ، أو أن أستقل سيارة ، حملنى الخدم كما يحملون جثة هامدة . وبالرغم من ذلك ، لم أقتل نفسى .. ولم أقبع فى عقر الدار ، فانني أخرج بمقعدى كل صباح الى الكلية التى أعمل بها مدرسا ، وأعود الى المنزل بعد الفراغ من ساعات العمل غير مبال بنظرات الناس ، وبما يدور فى أذهانهم نحوى من أفكار

وعندما أتدبر حالتى .. تتملكنى الدهشة من العيش بهذه الوسيلة ، كما سبق أن دهشت لجرأة الفتاة ذات العكاز وجسارتها على الظهور أمام الناس . ان كثيرين من أصدقائى ومعارفى يقولون انى شجاع ، صبور ، قوى العزيمة .. ولذلك واجهت الحقائق وتغلبت على الصعاب .

وهكذا كنت اقول فى نفسى عن الفتاة

ولكن هل تعزي حقا مقدرتي على اجتياز المحنة القاسية التى صادفتها ، الى الشجاعة والصبر وقوة العزيمة ؟ لا .. فانني اقر انني كنت عاطلا من هذه الصفات الثلاث . ولو انها تجسمت باكمل صورها فى نفسي ، لاحرقتها نيران المحنة المرة التى فاجأتني وانا شاب متزوج لم اتجاوز الثلاثين من عمري ، ولى بنت فى السادسة وابن فى الرابعة . ان قوة الاحتمال تعزى الى عامل خفى ، من العسير تعريفه أو تحديده

●

واليك قصتي :

فى عام ١٩٤٢ ، استاجرنا منزلا ريفيا جيلا لنقضى فيه عطلة الصيف .. واذكر انني كنت جالسا فى احدى الليالى القمرية مع زوجي واولادي ، وقد بسط القمر اشعته الفضية على الكون ، فخلع على مناظر الريف الطبيعية جمالا وسحرا . واحسست بالسعادة تغمرني .. اذ بدا العالم كله ضاحكا لى ، وانا استعرض ما حباني به المولى من نعم فى عملى وزوجي واولادي . فقضيت اكثر من ساعة مستغرقا فى نشوة اللذة . ولكنني احسست بانقباض مفاجىء ، وانا اتساءل : ترى هل يدوم هذا الهناء ؟ .. لا ، اننا نعيش فى عالم قيل بحق انه « وادى الدموع والبكاء » ..

وشعرت بشبح كارثة يلوح لى من بعيد

وانقضت عطلة الصيف .. وعدنا الى المدينة حيث كنا نقيم بالقرب من مقر عملى ، وما يزال هذا الشعور الغريب يساورني . وفى اليوم التالى لوصولنا ، نهضت وقدمي اليسرى مخدرة لا اكاد اشعر بها . واخذ هذا الاحساس بالتخدير يسرى فى جسدي ، فعرضت نفسى على عدة اطباء ، اخفقوا جميعا فى وقف العلة والحيلولة دون سريانها . فانتقلت الى قدمي اليمنى ، واصبحت لا أمشى الا قليلا . ثم انتقل المرض الى الساقين ، فاضطررت الى استخدام العصا فى تنقلاتي داخل المنزل من حجرة الى حجرة

كنت احس انني انزلق الى الهاوية شيئا فشيئا ، وان الموت يدب فى جسدي عضوا بعد آخر . ومع ذلك كنت اعلل نفسى لاحملها على استعادة الامل فى الشفاء والاذعان لنصائح الاطباء . وكثيرا ما كانت تتمثل فى ذهنى صورتي وانا مستلق على الفراش مشلول عاجز عن الكلام والحركة ، فاكاد اجن لبشاعة المنظر . وكنت اذكر زوجي واولادي ، فيعصف بي الحزن .. ولكنني كنت اكظمه واغالبه فى صمت ، رحمة بزوجي . والواقع انني لم اكن خائفا من الموت ، قدرخوفي من الحياة بهذه الصورة الاليمة المفجعة . ويئس خيرة الاطباء من شفائى ، وفهمت

ان مرضى لايسبب الوفاة عاجلا ، ولكنه سيشل حركتى حتى ينتهى اجلى .. فبدات اثور على القدر الذى شاء لى هذا المصير ، واصبحت اصرخ حاقدا ، من حين الى حين ، فى نومى وفى يقظتى ، قائلا : « الهى .. الهى .. لماذا تركتنى ؟ ! »

وفى ليلة عيد ، ارتميت على السرير فى الم مرير .. ورحت اهذى واتمتم بكلمات مبهمة . ولما استدعى الطبيب لفحصى ، امر بوضع مسند وراء ظهرى ، واعطانى جرعة من دواء مهدىء وقال لزوجى انه يخشى ان اصاب بالهستيريا .. ولما افقت من هذه النوبة ، قررت امرا .. ان عندى من المال ما يكفى لاعالة زوجى وطفلى . ومحال ان اعيش بينهم كسيحا مشلولا ، فانغص عليهم عيشهم ، واحرمهم لذة العيش وهناءه .. فكيف يستمتعون بالحياة ، وفى وسطهم مريض ميئوس منه يصيحهم ويسيهم بأناته وآهاته .. لقد كان واجبى واضحا . نعم ، لا بد من الانتحار

وتسللت ذات ليلة الى صيدلية المنزل ، ففتحتها وتناولت زجاجة صبغة اليود ، ورفعت عنها الغطاء وشممتها .. لماذا ؟ لست ادرى .. ثم قلت لنفسى ان خير وسيلة للانتحار جرعة كبيرة من هذا الدواء . ولكننى اسرعت ووضعت الزجاجة فى مكانها ، وقلت : « ينبغى ان اختار وقتا يكون فيه زوجى وابنى وابنتى خارج البيت » . ولكن ذلك الوقت لم يحن حتى كنت عاجزا عن الحركة تماما . وخيل لى أن شبح الموت يحوم حولى ، وانه سيوفر على مؤونة الانتحار وما يتبعه من ذنب قد يودى بى الى الجحيم

●

لقد قرات اخيرا مقالين عن مريضين كانا متالمين اشد الألم .. فلما اخبرهما الاطباء بان ايامهما على الارض غدت معدودة ، استسلما لمشيئة القدر ، وراحا يتاهبان للموت .. فودعا الاصدقاء وطلبا الصفح ممن أساءا اليهم ..

اما انا ، فاننى لم افكر فى توديع الاصدقاء او مصالحة الاعداء . ولكننى فكرت من فورى فى ان اكتب لكل من ولدى وبنتى عدة خطابات اضمنها نصائحى لهما ، واوصيهما بان يطلعا عليها واحدا بعد الآخر كلما حل يوم عيد .. ولكن يدى عجزت عن امساك القلم !

وآثر الاطباء ان اذهب الى المستشفى .. فحملت من غرفتى على « نقالة » حتى باب البيت حيث كانت تنتظرنى عربة الاسعاف . وتبعنى الطفلان حتى الباب وهما يصرخان ويبكيان ، ودموع الأم الوفية المخلصة تنهمر فى صمت والم .. اما انا ، فقد حاولت ان اشجعهم بكلمة ، فاختنق صوتى ولم انبس بكلمة . ولكننى بذلت كل ما فى وسعى كى ابدو طبيعيا ، واخفى ما كان

يعتمل فى نفسي من حزن وشجن

ولم يمض اسبوع على بقائى بالمستشفى ، حتى احسست بقوة خفية علوية تعزى نفسى وتبدد ظلمتها .. فبعد ان كنت ساخطا ناقما ، غدوت راضيا مستسلما ، وبعد ان كنت خائفا من الحياة ، اصبحت متاهبا لاستقبالها من جديد بقلب عامر بالايمان ونفس مطمئنة شاكرة . لقد رايت كثيرين من المرضى يتعذبون عذابا اليما بالرغم من المهدئات والمخدرات التى يتعاطونها ، فحمدت الله على حالى . ولم يمض اسبوع آخر ، حتى اصبح شعورى وتفكيرى مقصورين على من هم حولى . وكما كنت مصابا بالشلل فى الجسد ، تعمدت أن اصاب بالشلل فى الفكر والاحساس نحو نفسى . فأحسست براحة وطمانينة اعجز من وصفهما

واخيرا بلغت نقطة التحول فى حياتى .. فبدأ وزنى يزيد ، واستطعت ان أحرك يدى قليلا ، وأن اجلس بلا حاجة الى متكأ اسند اليه ظهرى . ولست ادرى هل كان ذلك ، بسبب تقدم حقيقى فى صحتى العامة ، ام كان نتيجة زوال الاضطراب العاطفى ووليد الاستسلام والتعود . فقد كانت الممرضة ترغمنى على حلاقة ذقنى بنفسى .. وبالرغم من ان ماكينة الحلاقة ، كانت تسقط من يدى عدة مرات ، غير انه بفضل هذا التدريب ، قويت عضلاتى واعصابى تدريجا

●

وخرجت من المستشفى فى شهر مايو ، وعدت الى زوجى واولادى .. وقد اعتزمت أن اعود الى التدريس بالكلية عند افتتاح المدارس فى شهر اكتوبر . ورحت ادرب اعضاء جسمى على الحركة ، العضو بعد الآخر .. فبدأت احرك قدمى ثم ساقى . وفى اغسطس استطعت ان اقف وحدى لبضع دقائق .. بينما كان الطبيب المعالج الى يمينى المرضى والمنكوبين

وعند ما فتحت الكلية .. عدت اليها بمقعدى ذى العجلات الاربع ، وقد ترقرقت عيناى بدموع الفرح ، عند ما رايت نفسى مرة اخرى بين الطلبة اقوم بالعمل الذى احبه

ولم تكن عودتى الى الكلية فى اول الامر امرا يسيرا .. لقد لمست دهشة الطلبة الممزوجة بالحزن حينما حلت اليهم داخل قاعة المحاضرات .. ولكننى احتفظت بهدوئى . ولما التفوا حولى لتحيتى ، آلمتنى نظرات الاشفاق التى حدجونى بها . ولكنهم سرعان ما الفوا منظرى وسار كل شيء على ما يرام

لقد مكنتنى السماء من هزيمة الضعف والتغلب على الشلل .. فرايت أن اكتب قصتى عسى أن يكون فيهما عزاء لامثالى من المرضى والمنكوبين

[عن مجلة « مجازين دايجست »]



« يولد الرجل حرا ، فاذا مشى فى الارض أثقلته الأغلال ! » .. روسو

سلاسل وأغلال

بقلم الدكتور احمد زكى بك

لا لوم عليك اليوم يا عزيزى ولا تثريب

ان الكتاب الذى زعمت انك ارسلته الى لم يكن كتابا ، ولكن كان رسالة من تلك الرسالات الطويلة التى يجرى فيها القلم رهوا لغير غاية ، كما يجرى المهر ، لا يعنيه من حركته ، أشرق ام غرب ، وشمال ام اجنب ، ولكن يعنيه منها احترار دمه ليحس به دفء الشباب ، واتساع جلده ثم ضيقه ليحس به جدة الاهاب ، وانفراج ساقيه بالخطو ، مع النقر القوى على الارض ، ليحس به فراهة الصبا . ولست ممن يتهمك بشباب على سنك الحاضرة ولو انى فعلت لقام يبرئك منه فودان منك اشتعل فيهما الشيب فما ابقى منهما الا رمادا . ولكنك يا سيدى شيخ الجسم فتى العقل ، لك من دفء المخ ما اغنى عن دفء العضل ، ولك فى متابعة الحجة استرسال يعيى الحجة ولا يعييك

ولكن فتوة عقلك من فتوة جيل مضى . وهو فى رياضته ، اذا ركب « المتوازيين » أو تعلق « بالعقلة » ، يجيء بتمرينات ، غاية فى الدقة ، غاية فى الروعة ، لا يعيبها الا انها اطروزة من زمان تقضى . فهى جميلة جمال صورة الزيت على الخيش ، تسجل الدهر وتزين جدران المتاحف . ولكنها فى حاضر الزمان غير ذات موضوع

●

انك تعيب على ، ومن درج مدرجى ، ونحا منحاى ، اننا نمعن فى ذكر الفقر ونثير حفيظة الفقراء ، فنثير حفيظة قوم راضين . وليتنا فعلنا . وليتنا الى هذا قصدنا . ان من يبلغ بهم الفقر

هذا المبلغ ، قد امنت انت وامنا نحن شرهم يا سيدى ، بما بلغ منهم الجهل فنزل بهم الى درك لا يفهمون عنده ما يكتب الكاتبون. انهم اميون فلا يقراون. ان الجهل صديق الفقر وحبيبه ، وهو لا يفارقه ابدا . والجهل يحجب النور ، فالفقر دائما فى ظلام. وانت يا صديقى فى مامن ما دام الفقر فى ظلام . ولقد فطن كثير ممن لهم عقلك ، ولهم بصيرتك ، الى فوائد الظلام فرفضوا ان يدخلوا النور الى قراهم ، ولو مصباح زيت تصف شعلته دخان . انهم عملوا على تاخير المدارس ان تدخل قراهم لانها تهوش من سلام قوم هم فى الجهالة ، على الرضا ، ناعمون

نعم « على الرضا » ... لقد قال كبيرهم كما قلت انت تماما : « فتشر حفيظة قوم راضين » . واهل القرى حقا كما تذكر راضون ، فالريف لاشك هادىء. ونحن لا نطلب الريف غير الهدوء والسكون . ان الريف جماله فى هدوئه وسكونه . نبته ينبت فى سكون. وزهره يزهر فى سكون. ويتغير وجه الارض فى الريف ، على البطء ، فلا يكاد يحس بالذى يجرى فيه احد ، من شدة السكون . وكذلك ناسه ، امداهم سكون الارض فسكتوا . وخيم عليهم هدوء البيئة فهدأوا . فالريف ، بتربته ونبته وناسه وحيوانه، موضع من الارض باركه الله فجعله سلاما . ووجب ان يبقى له سلامه ما بقى لى ولك ، يا عالى الفهم ، حاجة الى الخروج عن جلبة المدن الى سكون الريف. يجب ان يظل للريف سكونه ، لينعم فيه اهله، على الفقر والجهل، ولانعم انا وانت على الثروة والعلم. والنعيم ، كما تقول ، صورة عقلية لا حقيقية لها الا فى العقل، فهى قد تكون على الجهل والفقر ، وعلى صنوف من احوال اخر

ولكن يخيل لى — ومعذرة ان كنت لا اجيد من صنعة الكلام ولا استنباط الاحكام ما تجيد — يخيل لى ان المسألة ليست رضى الفقير بما هو فيه . انا لا اكلف الفقر شططا ، فاطلب اليه ان يدرك، ولا اكلف الجهل شططا فاطلب اليه ان يفهم ، ولا اكلفه حتى ان يرضى او لا يرضى . ذلك انى اذا كلفته ان يرضى قام علمى يكذبنى ، وضميرى يؤنبنى . وانا اذا كلفته الا يرضى ، وهو غير قادر على ان يتحول ، فانما ازيد طينته بلة . ازيد احساسه بالسوء ليزيد حظه سوءا ! اوقظه لما هو فيه ليتالم على اليقظة . وانت تريده ان يهنا نعسان . وهذا نوع من انواع الرحمة الخفية الذى لا يدرك كنهه الا الفطناء

اقول ان المسالة ، ليس ان الفلاح ، واشباه الفلاح ، يرضون عن حالهم او لا يرضون ، ولكن المسالة ان نرضى نحن ، انا وانت، عن حالهم او لا نرضى . نحن لنا القدرة على الرضى ، اوغير الرضى؛ ولنا الحق فى الرضى وغير الرضى ،

وعندنا الأداة التي تؤهلنا لنرضى او لا ترضى . ولا احسبنى ولا احسبك ترضى . ان هذا الرجل الجاهل الفقير ، واسمح لى ان اقول التعس ولو مرة فى غير مناقضة لفكرتك ، هذا الرجل ينعتونه بأنه ابن جلدتك . وهو كأنفك منك وان كان اجدع . اذن فأنت لا ترضى عن انجداع انفك ، واذن انت والله لا ترضى عن فقر رجلك وتعاسته . اذن فهذا حسن جميل . واذن لا بد من تغيير . والتغيير يجب أن يبدأ من عل ، حيث أنت قاعد يا عزيزى . ان الماء الذى يسيل من المكان العالى يهبط فى سهولة ويسر فيكون فيه السقى والرى . اما الماء الذى يتفجر من المكان الخفيض ، كثيرا ما يتفجر فى عنف ، وتخرج معه الحمم ، وهو ينشر الخراب قبل ان تعمر به الارض

•

ولقد اعجبتنى مقالتك عن الحقيقة ، ما يؤخذ منها ببرهان ، وما لا بد من أخذه بغير برهان . من الحقائق ما لا بد من مضغه قبل ابتلاعه وهضمه ، ومنها ما يقبله الانسان ويستسيغه قبول الماء واستساغته ، يمر بموضع الطحن بين الاسنان ، ويمر بموضع الهضم من المعدة ، فيؤذن له فى المرور بغير استئذان . وانا اوافقك على تلك الحقائق التى اتى بها اقليدس فأسماها بداءة لما اعوزه البرهان . اوافقك واوافق اقليدس على أن الشيئين اذا تساويا تساوت انصافهما . واوافقك واوافق اقليدس على ان الشيئين اذا ساويا شيئا ثالثا كان الشيئان متساويين . واوافقك على بداءة اخر لا اطلب منك الدليل عليها ، لانى اعرف انه يعوزك ، ويعوزنى ، كما اعوز اقليدس عليها الدليل

ولكن هل فى الحرية ، وكينونتها ، شىء يدخل فى بديهات الامور

تقول ان الناس يولدون احرارا ، وان الشقى يجنى على نفسه الشقاء حرا طليقا ، وان السعيد يكسب لنفسه السعادة حرا طليقا

ولقد تأملت فى مقالك طويلا ، فاتضح لى ان الحرية شائعة لا شك فى الناس . فالرجل يستطيع ان يجرى وان يكف عن جرى . وهو يستطيع ان يقوم او ان يقعد . وهو يستطيع ان يتثاءب او ان يضحك بسبب او لا سبب ، ولا يسأل فى ذلك . وهو يستطيع ان يبكى ملء كفيه ولا يقول له احد لم تبكى . وهو يستطيع ان يأكل ، وان يفرغ . وهو يستطيع ان يشرب ، ولا يمنعه احد ان يبول مجال للحرية لا شك عظيم

ولكن أساء الى معنى الحرية الذى تزعمه يا صديقى ، وأفسد ما تعتقد من شيوعها واكتماله ، وما كنت اعتقد انا من شيوعها واكتمالها ، تذكرى قولة قالها روسو، فيلسوف فرنسا الشهير : «ان الرجل يولد حرا ، فاذا مشى فى الارض أثقلته الأغلال » . ودرت

امشي في الارض ابحث عن اغلالها، فوجدت في كل طريق قيدا . ان الرجل منا حر له ان ياكل او لا ياكل ، ولكن هذا لا يتأتى الا ان يكون طعام . وهو حر له أن يشرب، على ان يكون شراب . وهو حر ان يزرع ليأكل على ان تكون أرض . وهو حر ان يعمل ويكتسب قوت يومه ، على ان يكون عمل . وهو حر أن يتعلم ، على أن يكون في يده نفقة ذلك

فقل لي كم من الناس تتهيأ لهم الحرية ، على هذا النحو ، كاملة ؟

اني معك . فلست ممن ينفسون على اصحاب الاموال اموالهم . وانا اعجب بالمال اعجابا، لما له من خواص عجيبة . ولا أكره منه شيئا ككراهتي خاصة واحدة فيه ، انه دائما يحمل معه طابع السلطان ، ويحمل الغلبة ، ويحمل القوة ، وحيثما هبط تتفرج له الصفوف ، وتتخاذل دونه العزائم

وليتك كنت معي في حديقة منزلي ، حيث تجتمع القطط في ضحى النهار ، اذن لرأيت منظرا عجبا ، يؤكد لك معناي

في ركن من اركان الحديقة ، في ساعة من ساعات النهار الاولى ، تتجمع هذه القطط ، لانها اعتادت، في هذه البقعة من الارض ، وفي هذه الفترة من الزمان ، ان ترى الطابخ يقذف لها من نفاية اللحم ما يعافه الآدميون المتأنقون . وتتساقط عليها تلك النفايا قطعا . فهل تدري من نصيب من تكون ؟

تكون من نصيب قطة جار لنا ، لها جسم مليء ، ورأس ضخم . وأكتاف سمان ، وسواعد شداد، ومخالب حداد ، ونفثة عند الشر مخيفة . فهذه تدور تلم من النفايا الساقطة في فمها ، هذه القطعة ، ثم هذه ، ثم هذه . والقطط واقفة ، واسعة العينين تنظر ولا تجرؤ ، للذي بها من ضعف وهزال . كل أملها ان تفضل هذه القطة الضخمة عن قطعة او لا تراها

هذه القطة فازت بالانصبة جميعا ، أو باكثرها ، لانها اشبع ، ومن الشبع قوة . وسائر القطط فازت بالنصيب القليل ، او بلا نصيب لانها أجوع ، ومن الجوع ضعف . في طبيعة الشبع سر زيادة الشبع . وفي طبيعة الجوع سر زيادة الجوع

افلا ترى معي ان هذه الصورة، التي تجري في حديقتي ، هي صورة صادقة مما يجري في حدائق العيش ، بين الناس

●

على انم اعود فاقول لا لوم عليك يا صاحبي ولا تثريب ، وليس عليك مما اقول بأس . انها احاديث يملأ بها الرجل الوقت ، كما يملأ الفارغ زمانه بالنرد ، له منه مسلاته ، وليس له من وراء ذلك تبعته . والاحاديث من بعد ذلك انفاس ، والانفاس هواء ، والهواء ارخص الاشياء

احمد زكي



قصه فتاة توزع حبها بين فتاها الشاب ، الذى يسعى جاهداً للفوز بها ، وبين جدها الجاف الخلق ، الذى تغلب عليه حدته وحقده على الفتى وهو يراه يشق طريقه الى النجاح ، ويكاد يحتل مكانته وشهرته كمدرب خيول

كانت نقطة التحول فى حياة كين ماكلافلن . . تلك اللحظة التى راى نفسه فيها عائدا الى مزرعة والده وقد اصبح رجلا ، وهو بعد فى السابعة عشرة من عمره

نعم .. لقد رأى نفسه جديرا بصفات الرجولة بعد ان تغيب عن والديه ـ لأول مرة فى حياته ـ اسبوعا كاملا لقضاء مهمة كان يعتقد انه اداها بنجاح بعث النشوة والحماسة فى نفسه . وكان دليل نجاحه هذا ، فرسا سوداء قابعة فى عربة الخيل التى يجرها وراءه بسيارته التى راحت تقطع آخر مرحلة من لوس انجلوس الى حيث توجد مزرعة والده

وقد قضى كين طوال ايام حياته يستقبل الصباح فى لحظاته الباكرة ، ليملأ عينيه بجمال الطبيعة وسحرها ، ويشاركها تسبيحها لخالقها الذى ابدع فى تصويرها . ولكنه لم ير الطبيعة فى اجمل روائها واروع صورها كما رآها هذا الصباح ، وهو يعود كبطل ظافر

وبينما هو فى طريقه .. لمح عربة قادمة نحوه ، وعليها شخصان ما كاد يراهما حتى خفق قلبه بشدة وفاضت ملامحه بالبشر . وسرعان ما أوقف سيارته ، وقفز منها الى الارض فى اللحظة التي وصلت فيها العربة الى جانبه براكبيها ، ثم حياهما قائلا :

ـ صباح الخير ياكارى .. صباح الخير يا مسترجرينواى ..

عندي لكما مفاجأة ..
واطلت كاري من فوق العربة على كين بعينين تفيضان سحرا وعذوبة ، وقد اثارت رؤياه في نفسها هزة طرب وسرور .. كعادتها في كل مرة التقت معه فيها منذ حضرت من ايرلندا لتعيش بجانب جدها بيفر جرينواي ولتعنى بشؤونه . وبالرغم من خشونة الحياة التي انتقلت اليها ، فانها تقبلتها بصدر رحب بعد ان رأت كين

اما جدها بيفر .. فقد كان من ابرع مدربي الجياد واكبر مورديها لميادين السباق. وكانت له شهرة جعلت مزرعة « القمر الازرق » التي يملكها هدف انظار المهتمين بشؤون الخيل . ولكن هذا الماضي الحافل لم يبق منه غير ذكريات اصبحت تبدو له باهتة، بعد ان ادمن على الشراب وفقد كل شيء

وما كاد بيفر يسمع كين وهو يحدثهما عن مفاجآته حتى زمجر في غضب ، وقال له في خشونة :
ــ ليس لنا شأن بمفاجآتك .. الى الامام يا غروب

و « غروب » هذه هي فرسه التي تجر عربته . وراح العجوز يتلاعب بعنانها يستحثها على السير ، فأخذت الفرس تقفز في طريقها قفزات راقصة ، بينما وقف كين في مكانه وقد غاص قلبه لهذه الخشونة التي لقيه بها جد كاري . ولم يملك الا ان يقول للفتاة وهي تدير رأسها اليه في نظرة أسف :

ــ سأراك فيما بعد يا كاري
فثار جدها ، وقال لها في تحذير :
ــ لا .. لن تريه .. ما لنا وعائلة ماكلافلن .. ! اما كفانا ما لقيناه بسببها .. ؟ يجب أن تقطعي كل صلة لك بهذا الشاب !
وأسرعت العربة تثير حولها سحابة من الغبار.. ووقف كين مبهوتا يرقبها وهي تبتعد عنه ، ثم ركب سيارته وهو يحس ان كلمات بيفر قد جرحت كبرياءه ، وعكرت عليه صفو نشوته بانتصاره

●

ولكنه ما لبث أن تذكر الفرس التي تحملها العربة وراءه ، فعاد اليه فرحه واخذته الحماسة وراح يقود سيارته وهو ينفخ في النفير، لينبه والديه الى قدومه وقد أصبح على مقربة من المزرعة

وأقبل والداه نحوه وقد استخفهما الطرب لعودته بعد ان لبثا في قلق اسبوعا باكمله لغيابه في المهمة التي كلفه والده بها .. وهي بيع احد الجياد التي يربيها في مزرعته

وسأل روب ابنه بعد ان هنأه بسلامة وصوله :
ــ هل أحضرت النقود يابطل؟
وسكت كين قليلا ريثما بلع ريقه ، ثم قال :
ــ لقد أحضرت ما هو خير من النقود .. انها مفاجأة ستسران لها . لقد قابلت صديقك هوايتي ايتون
فما كاد روب يسمع هذا



« إن جدى ليس شريراً .. ولكن إذا لم أنجح فى ترويعه [illegible] .. »

الاسم حتى صاح مستنكراً :

ـ صديقى .. ! ؟ انه اخبث انسان عرفته بين تجار الخيول

ـ كيف يا والدى .. ؟ انه لطيف

وقطع عليهما حديثهما صهيل الفرس .. فما كاد روب يسمعه حتى انفجر قائلا :

ـ هل باعك ايتون احد خيوله ؟ يا للشيطان ! اعطيته ثمن الجواد الذى بعته لتحضر احد خيوله العجفاء ؟

ـ عجفاء .. ! انتظر يا ابى حتى تراها .. انها اجمل فرس رايتها .. انها « لقطة » .. !

واستدار كين ليقول لأحد عمال المزرعة :

ـ تعال ياجاس .. ساعدنى على انزالها

وما هى الا لحظة حتى نزلت من العربة فرس سوداء يبرق شعرها الفاحم بريقا عجيبا . فما كادت نيللى تراها حتى هتفت قائلة لزوجها :

ـ ما اجملها ياروب .. !
ولكن الرجل قال فى كمد :
ـ أنت لا تعرفين خيول ايتون
والتفت الى ابنه وقال مهددا :
ـ اسمع .. اتصل بهذا الرجل تليفونيا فى الحال .. وقل له اننى لا أريد هذه الفرس .. وعليك ان تعود فى صباح الغد الى لوس انجلوس لارجاعها
وكاد كين ينهار امام تهديد والده ، ولكنه لم يلبث ان استرد حماسته ، وقال فى صوت هادىء :
ـ لست من رايك يا ابى .. وعلى كل فقد قلت لى اننى ساصبح شريكا لك فى المزرعة فى عيد ميلادى .. واليوم استقبل عامى الجديد .. فانا الآن شريكك .. ومن حقى ان يكون لى راى فى كل شىء ..
وهنا تدخلت امه قائلة لأبيه :
ـ الق عليها نظرة ياروب .. فان خبرة كين بالخيول قد اخذها عنك
وتحمس كين لدفاع امه ، فقال :
ـ انها من بطلات السباق يا ابى .. انظر اليها .. ما اجملها ! سأسميها « جوهرة التاج »
وراحت الفرس تقفز فى خفة كأنها تريد ان تعزز كلام كين .. ولكنها ما كادت تفعل ذلك حتى وقفت وراحت تصهل فى الم واخذ الزبد يملأ فمها وانفها . فما كاد روب يرى ذلك حتى لطم راسه ، وقال فى كمد :
ـ كنت أعرف ذلك .. لقد ذهبت نقودى مع الريح

وتملك الخوف كين ، ولكنه تشجع وقال :
ـ انه تغيير الجو يا أبى .. فنحن على ارتفاع الفين وخمسمائة متر من المكان الذى كانت تعيش فيه .. انتظر حتى تتعود رئتاها الهواء فى هذا الارتفاع
وقال روب مستسلما :
ـ انت وشأنك .. احتفظ بها ولكن على مسئوليتك .. ولن تكون شريكا لى فى المزرعة الا بعد ان تسترد ثمنها من دورات السباق التى تشترك فيها
ـ قبلت شرطك يا أبى .. اشكرك .. وانت ايضا يا أمى !
وبدا على روب كأنه تذكر شيئا فقال وقد بدا التجهم على وجهه :
ـ هناك امر آخر .. كان بيفر جرينواى هنا منذ لحظة .. وقد جاء يشكو من أن « الرعد » افقده فرسا اخرى من احسن جياده ، وهى اللادى هانوفر .. فقد خرت قتيلا وهى تحاول القفز وراءه فى أحد المرتفعات
ـ الرعد .. ! ولكننا لا نعرف يا ابى انه ما يزال حيا
ـ اذا كان حيا حقيقة ، فان بيفر سيطلق عليه الرصاص اذا رآه .. وسأفعل أنا مثله اذا رأيته قبله
وترك روب ابنه ومضى مضطربا ، بينما وقف كين وهو يرتجف .. فقد عرف الآن سبب تلك الخشونة التى لقيه بها بيفر عندما قابله مع كاوى قبل وصوله الى المزرعة .. انه « الرعد » .. ذلك الحصان الابيض الاصيل الذى

كان فخر جياد مزرعة والده ، والذي كانت تتهافت عليه أفراس المنطقة ماخوذة بسحره وجاذبيته ، ولكنه أصبح شريرا كثير الجموح ، فلم يعد يحتمل البقاء بين أسوار المزرعة .. وكان يبطش بكل من يقترب منه ويكسر كل شيء يعترض طريقه ، فاضطر والد كين الى تركه ينطلق في البراري حيث الحرية التي يريدها

ولكنه كان يخلق لهم في كل يوم مشكلة ، اذ كان يدور حول المزارع فاذا ما رأته فرس انطلقت وراءه ولا تعود لأصحابها .. فيحضرون الى والد كين محتجين مهددين بقتل الجواد اذا ماراوه !

●

وفي اليوم التالي خرجت كاري ترتاض راكبة أحد الجياد .. فالتقت بكين وهو يدرب «جوهرة التاج »

وبرقت عيناها عند ما رأت الفرس ، وقالت له في دهشة واعجاب :

ــ اذن فهذه هي المفاجأة التي كنت تتحدث عنها .. ما اجملها ياكين !

ولبث الاثنان سويا حتى انتهى تمرين الفرس ، فأعادها كين الى حظيرة المزرعة ومشى الى جانب كاري يذكران السنوات التي قضياها سويا يمرحان ويلعبان ، وقدجمعت بين قلبيهما عاطفة اكبر من الصداقة وأقرب الى الحب

واستخفهما المرح ، فراحا يجريان ويتسابقان .. وكان يحاول الامساك بها فتفر منه كالغزال الشارد ، وهي تقهقه ضاحكة في صوت موسيقي جميل .

وكلما فرت منه ، ازداد تهافتا عليها .. الى ان امسك بها فجأة ، وبغير ان يشعر احتواها بين ذراعيه وضمها الى صدره ، وطبع على شفتيها قبلة حارة خفق لها قلبها ، حتى لقد احس بضرباته القوية تمتزج بدقات قلبه في ايقاع رائع اعلنا به ما يكنه كل منهما نحو الآخر من حب

وفلصت كاري من بين ذراعيه ، ونظرت اليه نظرة دافئة والاحمرار يغمر وجهها . ولبثا صامتين لحظة وكل منهما ينظر الى الآخر في حيرة .. ثم قال كين وهو يحاول ان يسترد انفاسه :

ــ آسف ياكاري .. ما كان يجب ان افعل ذلك

فضحكت كاري وقالت بسذاجة :

ــ ولكنك لم تفعل ما يسيئني ياكين ..

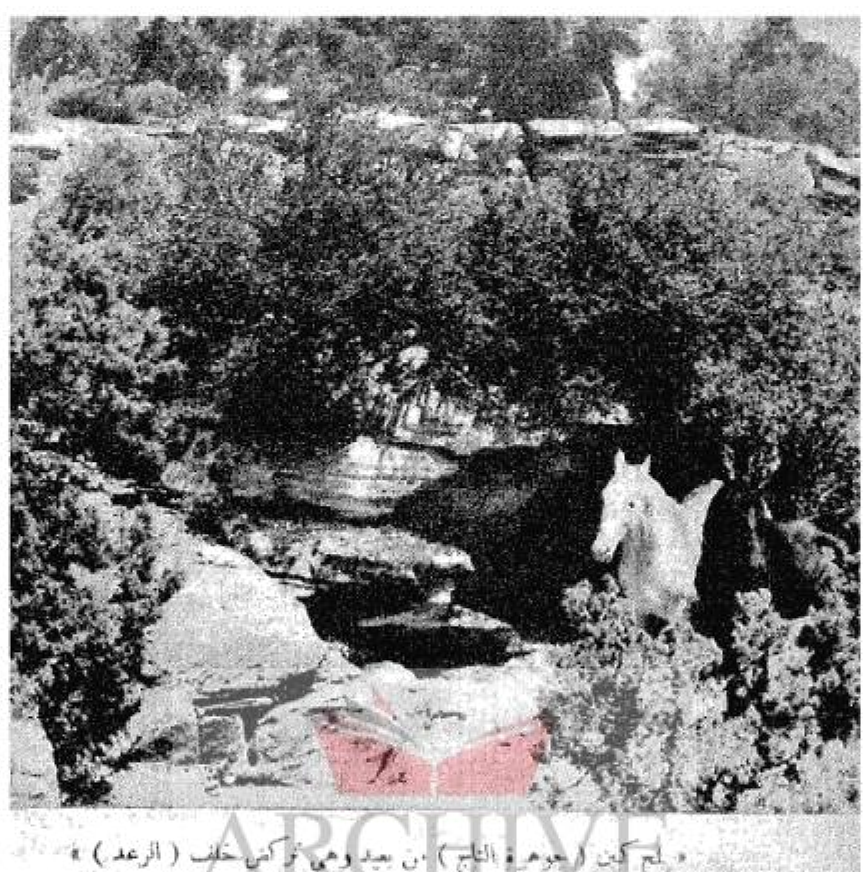
ومع اعترافها هذا ، فان الفتى ظل مرتبكا .. واراد ان يتخلص من ارتباكه ، فقال لها :

ــ فلنفترق الآن ياكاري .. لقد طلب مني ابي اصلاح سور الحظيرة .. ولذلك فأنا مضطر للذهاب الآن ..

وابتسمت كاري قائلة :

ــ وانا ايضا سأعود الى المنزل .. فمهمتي ان اجعله دائما نظيفا ومرتبا .. لعل احدا يزورنا فيه

ــ هل معنى هذا انك تدعينني



• لج كين (جوهرة التاج) من بعيد وهى تركض خلف (الرعد) •

لزيارتكم فى المنزل ؟

ولمعت عيناها وهى تقول :

ــ وما المانع .. ؟ يمكنك ان تزورنا فى مساء السبت .. وان لم يكن لدينا راديو نرقص على نغمات موسيقاه .. ففى وسعنا الرقص فى المقهى القريب منا

●

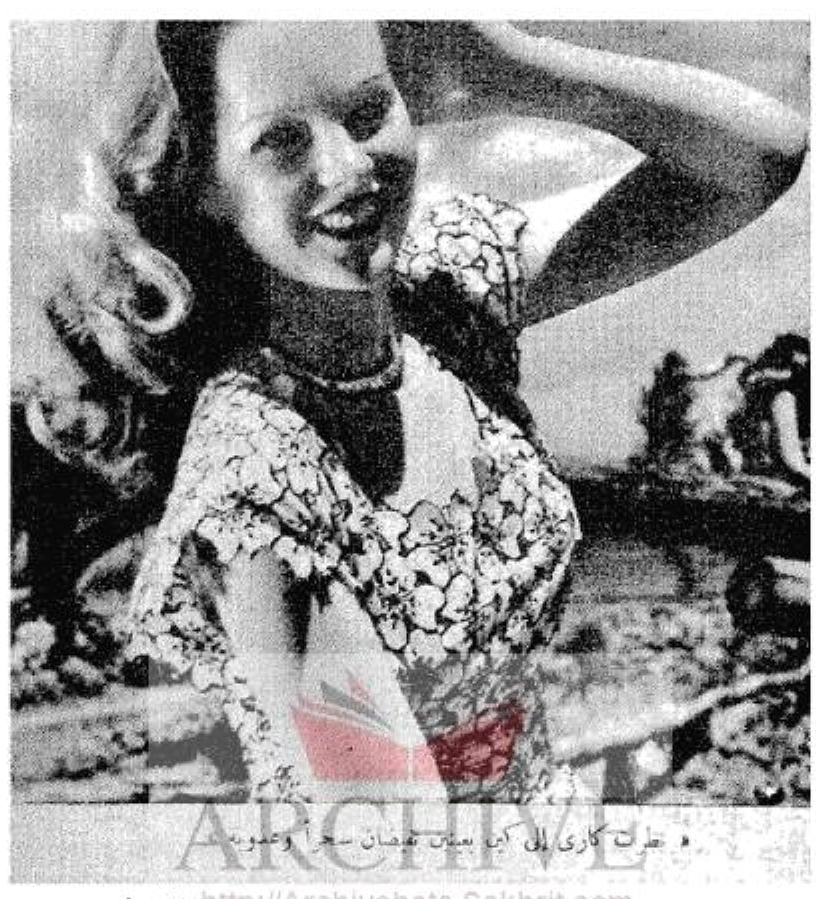
وفى مساء السبت ارتدى كين خير ما عنده من ملابس .. فما كاد يراه والده حتى قال له مداعبا

ــ يبدو لى ياكين اننى رأيت رباط الرقبة هذا فى دولاب ملابسى .. كما يبدو لى من نعومة ذقنك أن الموسى الذى استعملته من نوع الامواس التى استعملها !

واحمرت وجنتا كين خجلا ، وهو يؤمن على كلام والده .. فهمهم الوالد قائلا :

ــ كأنك على موعد مع كارى .. هل انت ذاهب معها للرقص والعشاء ؟

ــ نعم يا أبى



● نظرت كارى الى كين بعينين تفيضان سحراً وعذوبة

فانفجر روب ضـاحكا وقال لابنه :

ــ لماذا تخفي ذلك عني .. ؟ خـذ هـذه الريالات الخمسـة لتستعين بها على نفقات سهرتك !

وشكر كين والده .. وأسرع الى مقابلة الفتاة ..

وكان بيفر العجوز جالسا فى شرفة المنزل عند ما وصل كين بسـيارته . فما كاد يراه حتى تجهم وجهـه ، ونظر الى الفتى نظرة باردة ، وقال :

ــ لقد سمعت انك أحضرت فرسا جديدة .. فمهما يكن ، لايخطرن على بالك انك ستفوز بهـا على فرسى « غروب » فى السباق القادم .. ! الا يكفيكم ان جوادكم اللعين افقـدنى كل افراسي .. حتى تاتى الآن لتقضي على كل أمل لى فى الفوز فى السباق الجديد ؟

ورد عليه كين فى هدوء قائلا :

ــ عفوا يا مسترجرينواى .. فاننى لم أشـتر هـذه الفرس

لاخسر .. ولن يحول شيء دون فوزها على « غروب » اذا كانت تستحق هذا الفوز.. هل كارى على استعداد ؟

ــ انها تنتظر ..

ويرقت عينا العجوز بخبث واستطرد يقول :

ــ ولكنها لن تخرج معك .. ومن الخير لك أن تبتعد حالا .. ولتفهم جيدا انني اذا قلت شيئا فلن اتراجع عنه

وتحمل الفتى الاهانة ومضى.. ولكنه بدلا من ان يحقد على العجوز شعر نحوه بالشفقة ، فهو يعرف أن بيغر كان في وقت ما فارسا لايبارى .. ولكنه الآن ليس اكثر من رجل هدته السنون، وساء خلقه الى حد جعله يثير مشكلات عديدة بينه وبين جيرانه فنفروا منه جميعا ، واصبح يعيش في عزلة قاتلة لا يجد ما يخفف عبئها عنه سوى الادمان على الشراب

ولكم حاولت كارى ان تجعله يقلع عن هذه العادة الذميمة .. ولكنها كانت لا تسمع منه الا وعودا لايلبث ان يخل بها ، وكان هذا يحز في نفس الفتاة ، ولكنها لم تيأس من محاولة اصلاح جدها

ولكن العجوز كان يدرك ان هناك شيئا واحدا فقط يعجل باصلاحه .. وهو ان يفوز في سباق الخيل القادم بفرسه « غروب » ، فان هذا الفوز يرد اليه اعتباره السابق ، ويتيح له جائزة قدرها خمسة آلاف ريال تمكنه من اعادة مزرعته الى سابق ازدهارها ، والاشتغال من جديد بأعمال السباق وتدريب الخيل

كل هذا كان يجول بخاطر كين وهو يبتعد بسيارته عن منزل العجوز . ولكن قطع عليه حبل تفكيره صوت ضربات حوافر جواد . . فالتفت ليرى كارى تسرع خلفه وهي ترتدي ثوب سهرة جميلا يتألق تحت ضوء القمر الذى كان يغمر المكان . وقالت له الفتاة عند ما وصلت اليه :

ــ كين.. اما زلت عند رغبتك في الذهاب معي الى المرقص ؟

ــ سؤال غريب يا كارى

وفتح باب سيارته يدعوها الى الركوب بجانبه ، فترجلت عن الجواد وابعدته ناحية البيت بلطمة على ظهره ، ثم ركبت الى جانب كين ، والدنيا لاتسعها من فرط الفرح

وكانت سهرة حاولا أن يغتنما فيها اكبر قدر من اللهو والمرح .. ولكن شبح بيغر جرينواى وقف بينهما ، عند ما قالت كارى :

ــ ربما كان من الاصوب الا احضر ياكين . لست ادرى ماذا افعل مع جدى .. انه ليس شريرا ، ولكن مزاجه الحاد وليد كبر السن والوحدة التى يقاسيها. فاذا لم انجح في تقويمه فان حالته ستسوء يوما بعد يوم

ــ قد يكون علاجك لاصلاحه لا يناسبه ياكارى .. فانت في نظره لست سوى طفلة

ــ اصبت ياكين .. ولعل من الانسب أن اعود اليه حالا بعد

هذه الرقصة ، حتى يشعر أنني ما زلت احسب حسابه

●

وفي الوقت الذي كان فيه كين يسعدبسهرته الجميلة مع كاري. كانت تنتظره في البيت مأساة اليمة .. !

فقدكان « الرعد » يحوم حول المزرعة في احدى ساعات الليل.. فلما أصبح الصباح كانت «جوهرة التاج» قد اختفت تاركة وراءها آثار حوافرها ، وهي تتبع « الرعد » في انطلاقه الى البراري

وبعد أن رأى روب هذه الآثار، دلف الى منزله ثم خرج منه وفي يده بندقيته ، وقسمات وجهه تنطق بالمصير الذي سيلقاه « الرعد » على يديه . وقال وهو يبتعد عن المنزل :

ـ طالما أن هذا الجواد اللعين حي.. فان جميع المزارع الموجودة هنا ستلبث مهددة بضياع خيولها .. ولكنه لن يكون بعيدا .. فان الخيل لا تجهد في انطلاقها .. هيا ياكين .. تعال معي

وركب كين مع والده وقد استبد به الاضطراب ، وعادت به الذكرى الى تلك الايام التي كان يقضي فيها مع « الرعد » اسعد أوقاته .. فقد كان بينه وبين الجواد الفة يندر أن توجد بين انسان وحيوان . وكم تألم عند ما سيطرت روح التمرد والجموح على الجواد فلم يعد يخضع لأحد .. وكان أن انطلق بعيدا حيث لا سلطان لمخلوق عليه . ولكن البغض الذي أثاره حوله بهجماته المتعددة على المزارع جعل نهايته المحتومة على وشك ان تحل

ولم يكن روب وحده هو الذي خرج يعجل بهذه النهاية ، بل خرج معه أيضا بيغر جرينواي وبعض المزارعين الذين فقدوا افراسهم

وقطع الركب مسافات طويلة في البراري حتى عثروا على الافراس المفقودة واقفة في مرعى قريب ، وبينها « الرعد » يلمع بياضه الناصع تحت قرص الشمس .. وما كاد الحصان يشعر بهم حتى ولى الادبار واختفى خلف الجبال

ولم تكن « جوهرة التاج » بين الافراس التي عثروا عليها ، فأخذ كين يجري بجواده هنا وهناك ، حتى لمحها من بعيد وهي تركض ركضا مضطربا خلف « الرعد ». فقال لوالده :

ــ سأذهب وحدي خلفهما . واعتقد أن الرعد لن يهرب عندما يراني .. فانا الذي كنت أرعاه عند ما كان مهرا .. ولعله يتذكر صوتي عند ما أناديه

ومضى كين.. وكم كان اضطرابه عندما رأى نقطا من الدم لم تجف بين آثار الحوافر التي يتبعها .. وراح يتساءل : هل أصيبت «جوهرة التاج» بكسر في ساقها ؟ ان ذلك يعني فقدان كل أمل في أن يصبح شريكا لوالده في مزرعته

وما كاد يصل الى نهاية الاثر الذي يتبعه حتى رأى « جوهرة

التاج » غارقة في منطقة من الرمال الناعمة المتحركة .. وكلما حاولت الخلاص زادت غوصا في الرمل .. و « الرعد » على مقربة منها في صراع عنيف مع قطيع من الذئاب يهاجمه وهو يصهل ثائرا ، واقدامه تضرب الوحوش المحيطة به في قوة

وبسرعة صوب كين بندقيته نحو اقرب ذئب واطلق عليه رصاصة اردته قتيلا فولت بقية الذئاب هربا . ثم ربط كين بالجواد الذي كان يركبه طرف انشوطة يحملها ، ورمى بطرفها الآخر المعقود نحو « جوهرة التاج » فأحاط بها .. ومن ثم راح كين يدفع جواده شيئا فشيئا حتى تم له سحب الفرس من الرمال. وكم ازعجه أن يرى في سيقانها جروحا بالغة ، وان يلاحظ أن انفاسها تضطرب ، وانها تسعل سعالا شديدا

وكان « الرعد » على مقربة يسترق النظر الى ما يفعله كين. فما أن انتهى من تخليص الفرس حتى التفت نحو «الرعد» ، وصفر

« اقبل روب نحو كين يهنئه ويحثه على الفوز في الدورة النهائية »





له صفيرا خافتا ما كاد يسمعه الجواد حتى انتصبت أذناه ، وراح يرقص فى مكانه طربا . واخذ كين يقترب منه شيئا فشيئا حتى أصبح على بعد أقدام منه . وهنا جفل الجواد وأطلق ساقيه للريح

وعاد كين يجر فرسه الى حيث يوجد والده وبقية المزارعين ، فحدث ما لم يكن يتوقعه أحد .. فقد ابدى بيغر العجوز اهتماما وعطفا زائدين بالفرس الجريح . والحق انه انقذ حياتها عندما صرح الطبيب البيطرى بانه لا امل فى شفائها .. فقد قال بعد ان سمع قول الطبيب :

ــ عندى وصفة قديمة أظنها تفيد فى انقاذها .. فهناك نوع من زيوت الاعشاب اذا وضع فى ماء ساخن واستنشقت الفرس بخاره كان شفاؤها مضمونا

وكانت كارى هى التى قضت الليل بطوله مع كين فى الاسطبل، يراقبان الفرس المسكينة وهى تستنشق بخار الزيت فيتسرب الى رئتيها ليبعث فيهما الحياة

وقال كين للفتاة :

ــ ما اعجب جدك ياكارى ..

كنت اظنه يكرهني . ولكنه ابدى عكس ذلك عند ما سارع الى انقاذ فرسي . وليس اجمل من ان يجد الانسان من يعطف عليه فى وقت محنته . وانت ايضا ياكارى لقد ابديت من الاخلاص والعطف ما يزيدنى تعلقا بك

وفى الصباح، دخل روب ونيللى الى الاسطبل فوجدا ابنهما نائما الى جانب كارى على كومة من القش.. وعلى مقربة منهما كانت «جوهرة التاج» تحاول أن تنهض على سيقانها وهى تصهل صهيلا خفيفا . وفتح كين عينيه على صوت صهيل الفرس الذى كان بشيرا بشفائها ، بينما قفزت كارى من مكانها واقتربت من الفرس تربت على ظهرها والدموع تترقرق فى عينيها من الفرح .. !

●

وحل الربيع يحمل معه تباشير الامل .. فقد شفيت « جوهرة التاج » ، وصرح جيك وبليس مدرب الخيول بأنها على استعداد للاشتراك فى دورات السباق . وبدأ كين يحلم بالسباق والفوز فيه ، ولاح لخياله ما هو اهم من ذلك .. وهو ان يقول له والده : « لقد جاءت جوهرة التاج بثمنها فانت الآن شريكى ! »

ولكن روح الشر كانت ما تزال تحوم حول المزارعين .. فقد جاء « الرعد » ليلا الى مزرعة روب ، وكادت « جوهرة التاج » تفر معه لولا ان ادركها كين وابوه. وفى اليوم التالى ظهر « الرعد » من جديد ، فكادت الفرس عندما أحست به تكسر أذرعة عربة السباق التى تتمرن بها . فصاح روب فى ابنه :

ـ احضر البندقية ياكين .. اسرع والا فرت وراءه

وبدلا من ان يلبى كين طلب والده ، أمسك بعنان الفرس وصاح فى خادم المزرعة :

ـ افتح الباب ياجاس .. سالحق بالرعد

وبين ذهول والده ومن معه ، قاد كين الفرس الى الخارج وراح يردد صفيره الخاص ، ويصيح صيحات يعرفها الرعد الذى لم يلو على شيء ، وقد اخذ يسابق الريح وخلفه « جوهرة التاج » وفوقها كين الذى لم يكن يبالى بالاغصان تصطدم بوجهه والريح تدوى مزمجرة فى اذنيه

وكان سباقا قصيرا .. وقف « الرعد » بعده ليلتفت وراءه منتظرا ذلك الذى يصفر له الصفير المألوف .. وبرقت عيناه بريق المشتاق الى خل قديم ، وراح ينظر فى هدوء الى كين وهو يقترب منه حتى أصبح بجانبه فأخذ يلمس انفه فى حنان .. ولكن « الرعد » لم يستسلم لهذه الملاطفة طويلا ، فلم يلبث ان عاد الى طبيعته الجموح وراح يجرى بعيدا . ثم وقف ثانيا يتنازعه عاملان .. عامل حبه للحرية ، وعامل شوقه الى ذكرياته القديمة ..

وقد تغلب عليه العامل الاخير فلبث فى مكانه حتى لحق به كين وربطه الى عنان «جوهرة التاج» التى اخذت تقفز فى مرح ونشوة

وهى ترى اليفهـا الى جانبها . وقد سار كين بجوارهما لا تسعه الدنيـا من الفـرح .. وكانت دهشة ابيه وباقى رجال المزرعة بالغة عند ما راوا هـذا الجواد الجامح قد سلس قياده ، بعد ان سبب لهم مشكلات ومتاعب عديدة

واطمأن كين من ناحيته على فرسه .. فان وجود « الرعد » الى جانبها سهل مهمة تدريبها . وكانت فى اول الامر تابى ان تخضع لمرنها الا اذا كان « الرعد » على مرمى بصرها ، ولـكنها شيئـا فشيئـا تعودت على ان تكتفى بوجوده فى مكان قريب بالمزرعة . وهكذا استمر تمرينها حتى لانت حركاتها واتسعت خطواتها .. وفى النهاية صرح معرنها بانها على اتم استعداد للسباق

ثم بدا كين يتمرن على قيادتها وهى مربوطة الى عربة السباق ، وقد قال له المرن :

ــ يجب ان يكون التفاهم تاما بينك وبينها .. ويمكنك ان تحدثها بيديك كما تحدثها بصوتك تماما .. ان حركة خفيفة من يدك تفهم منهـا الفرس انك تتلطف معها وتشجعهـا ، واذا ثقلت هـذه الحركة ادركت انك تعاملهـــا بشراسة .. فضع هـذا نصب عينيـك حتى يمكنك ان تقودها الى الفوز

واخيرا جاءت اللحظـــة التى وقفت فيها « جوهرة التاج » فى حلقة السباق للتجربة النهائية . وبعد ان قطع كين معهـا اول مرحـلة فى التجربة ، راى بيغر العجوز وحفيدته كارى يرقبانه من وراء الحاجز باهتمام . فلما اقترب منهما قال له العجوز وهو يشير الى جهـاز التوقيت الذى فى يده .

ــ لاباس يا بنى .. لقد قطعت المرحلة فى اثنتين وثلاثين ثانية

وقالت كارى :

ــ انها مدهشة ياكين .. !

وعلق العجوز على ذلك بقوله :

ــ طبعا .. ولكن المهم هو ان تملك اعصابك وانت تقود فرسك بين غيرك من المتسابقين ، وبخاصة ان هـذه هى المرة الاولى التى تشترك فيها فى مثل هذا السباق .. انى اعرف شابا فى سنك نزل الى حلقة السباق لاول مرة ، وحصره المتسابقون بجانب الحاجز ، فاضطربت اعصابه واختلت حركة عنان الجواد فى يديه ، فلم يلبث الفتى ان سقط هو وجـواده عنـد ما انقلبت به العربة التى يركبها ..

ولاحظت كارى اصفرار وجه كين وهو يستمع الى ما يقوله جدها ، وادركت ما يرمى اليـه جدها من مصارحة كين بمثل ما قاله له .. فقالت تشجع الفتى المضطرب :

ــ لا تجزع ياكين .. لقد كنت بارعا فى قيادتك . هيا ياجدى .. فقد أزف وقت رحيلنا

●

واخيرا حل يوم السباق .. وكان كين فى حالة من التأثر منعته من الاكل والنوم .. شانه فى ذلك

شأن جميع المبتدئين الذين يتملكهم الشك والخوف

ورأى فى حلقة السباق العجوز بيفر فى حلة المتسابقين ، وقد بدا أصغر من سنه عشر سنوات .. لا لأنه عاد من جديد الى الاشتراك فى السباق الذى هجره منذ مدة طويلة ، بل لأنه أقلع عن الشراب ليكفر عن اساءته الى كارى فى تلك الليلة التى منعها فيها من الخروج مع كين الى المرقص .. وكان تكفيره هذا هو العامل الوحيد الذى جعل كارى تعفو عنه بعد أن أساء اليها والى كين

وقد أقبل العجوز على تمرين فرسه « غروب » حتى اطمأن الى انها ستكون الفائزة فى السباق . وكان كين يعرف هذا .. ويعرف أن بيفر يريد أن يفوز ليصلح أحوال مزرعته . وهو أيضا يريد أن يفوز ليصبح شريكا لوالده . ولكنه يحب كارى .. وسعادتها موقوفة على فوز جدها ، فماذا يفعل ؟ هل يخسر السباق من أجلها ..؟ ولكن فى خسارته اساءة الى كبريائه كمشترك فى السباق لأول مرة .. وأخيرا طغت عليه الكبرياء وقرر أن يبذل أقصى جهده ، وليكن ما يكون !

واصطفت ثمانية خيول بعرباتها وراكبيها عند نقطة الابتداء .. فما كادت تعلن اشارة السباق حتى انطلقت الخيول فى الميدان . وكان كل هم كين أن تكون «جوهرة التاج» فى الطليعة .. وقد سبقتها بعض الخيول فى البداية ، ولكنه ما لبث أن جعلها تتقدم على غيرها .. وفجأة حدث ما لم يكن يتوقعه ، فعند أحد المنحنيات فقدت «جوهرة التاج» حدوة احدى ساقيها الأماميتين ، وأحس كين بما حدث ، ولكنه استمر يدفع الفرس بحماسة حتى رآها وقد كادت تفقد توازنها فاضطر الى تخفيف سرعتها .. وفى هذه اللحظة رأى « غروب » تنطلق أمامه فتصبح فى الطليعة ، وخلفها جواد آخر .. وكانت «جوهرة التاج» هى الثالثة عند نقطة الوصول

ولكن السباق لم ينته بهذه الدورة ، فقد كانت هناك دورتان أخريان يتقرر الفوز فى الأخيرة منهما . وأقبلت أم كين عليه تهدىء من روعه وتشجعه قائلة :

— لقد كنت رائعا ياكين .. تمش قليلا بين من يشاهدون السباق لتسمع بنفسك آراءهم لك واعجابهم بك ..

وعمل كين بنصيحة أمه .. وانتهى به المطاف الى حيث رأى العجوز بيفر بين نفر من المهتمين بتربية الخيول وقد أخذوا يثنون على براعته ويهنئونه بفوزه فى الدورة الأولى ، ويعدونه بأن يعهدوا اليه فى تمرين خيولهم

وأسرعت كارى نحو كين وقالت له :

— كم أتمنى يا كين أن تفوزا انتما الاثنان سويا !

— اننى فى حيرة يا كارى .. وأنت تفهمين ما أعنى

وأمسكت الفتاة بيده وضغطت عليها بشدة وهى تقول :

ـ يجب ان يفوز احدكما .. فهذا كل ما يهمني

●

وانطلقت الخيول فى الدورة الثانية .. وسرعان ما اصبحت « جوهرة التاج » فى الطليعة ، بالرغم من محاولة قدامى المتسابقين التقدم بجيادهم عليها . وكان ان وصلت قبل غيرها الى نقطة النهاية .. فكان الفوز لها فى الدورة الثانية

واقبل روب نحو كين يهنئه ويحثه على الفوز فى الدورة النهائية .. ثم قال له :

ـ ولكن احذر يا بنى من بيفر .. ان لديه حيلا دنيئة لم تسمع عنها ..

وكان كل هم كين عندما انطلقت الخيول فى آخر دورة ان يتفادى الاعيب بيفر كما حدثه والده . وكانت «جوهرة التاج» فى اول الامر الرابعة بين الجياد المنطلقة . وقد احس كين ان «غروب» تعدو خلف رقبته تماما ، وهو وضع طالما اثار اعصاب اقدر المتسابقين . ولكن كين تمالك نفسه وراح يحث فرسه حتى اصبحت فى الطليعة ، وقد اخذ الهواء يصفر فى اذنيه لسرعة انطلاقها

وقرب نهاية الدورة .. احس كين فجأة وبدون سابق انذار ان خطوات «جوهرة التاج» اخذت تفقد انتظامها ثم راى «غروب» تنطلق امامه كالسهم فتاخذ مكان الطليعة .. وتصل قبل غيرها الى نقطة النهاية !

وراح صوت الحكم يعلن فوز «غروب» فى هذا السباق ، وتهافت الجميع على بيفر يهنئونه بفوز فرسه .. بينما وقف كين وقد اسودت الدنيا فى عينيه لهذا الفشل المفاجىء . واقبل عليه ابوه وامه يسالانه عما حدث وهو لايحير جوابا . ثم راى بيفر وكارى يجريان نحوه ، وسمع العجوز يقول له :

ـ ماذا حدث ياكين .. ؟

وانحنى بيفر على الفرس وراح يمر بيده عليها .. وفجأة انفجر ضاحكا ، ثم اخذت الدموع تنهمر على خديه ، وراح يقول فى صوت متهدج :

ـ لاتخف ياكين .. ان فرسك تنتظر حادثا سعيدا .. سيكون مهرا رائعا من سلالة « الرعد »

واحس كين فى هذه اللحظة بذراع والده على كتفه ، فالتفت اليه وعيناه مغرورقتان بالدموع فسمعه يقول له : « الآن يابنى .. اصبحت شريكا لى .. ! »

والتفت كين ليرى كارى تبتسم له ابتسامة عذبة ، وعيناها تقولان له نفس ما يقوله والده

وكان اعجب ما رآه ان العجوز بيفر اقترب من والده ، ومد اليه يده يصافحه فى اخلاص ، كأن لم يكن بينهما فى الماضى اى عداء

وانتهز كين فرصة انشغال الجميع ، وامسك بيد كارى ، وذهب بها بعيدا ليحدثها باشياء لا يحلو التحدث فيها الا بعيدا عن اعين الرقباء .. !



الزواج المبكر .. هل يحقق السعادة الزوجية ؟

رجال الدين والاطباء يقولون : نعم ..

ورجال الاجتماع يقولون : لا

منذ أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، لم يشهد العالم — في البلدان التي اشتركت في القتال على الاخص — عصرا كثر فيه الزواج كهذا العصر ، وبقدر ما كان زواج « التجربة » و «الصداقة» منتشرا اثر الحرب العالمية الاولى، أصبح الزواج المبكر الشرعي « مودة » الساعة ، عقب الحرب العالمية الثانية

فقد طغت على أكثر بلدان العالم موجة من الزواج المبكر اجتاحت كل عقبة أمامها ، ولم تقف في سبيلها قلة المنازل ، ولا عدم الاطمئنان الى المستقبل ، ولا جهل الشبان والفتيات بمبادىء التربية الجنسية . وقد بلغ طغيان هذا التيار الجارف ، في بعض ولايات أمريكا المتحدة ، حدا اضطر معه ناظر احدى المدارس الثانوية الامريكية — فيها التعليم مختلط بين الجنسين — أن يطلب الى كل طالبة فيها ، التوقيع على تعهد بعدم الزواج في خلال العام الدراسي ، والا فصلت من المدرسة . وقد بلغ عدد من وقعن على هذا التعهد ٧٠٠ فتاة ، عدا ١٠٠ صبية لم تتجاوز الرابعة عشرة من أعمارهن ، في نهاية مرحلة القسم الابتدائي الملحق بتلك المدرسة الثانوية

ومن الاحصاءات التي أصدرتها احدى شركات التأمين ان ١٢ في المائة من الفتيات الامريكيات (أي واحدة من كل ثمان) تزوجن بين الخامسة عشرة والتاسعة عشرة من أعمارهن في السنوات الاخيرة . وتختلف هذه النسبة في البلدان الاخرى بين واحد في المائة وستة في المائة فقط . وتقول



« الناس فى هذا العصر يتزوجون لأنهم فى حاجة إلى الزمالة والصداقة ،
والزواج لا يؤدى رسالة إلا إذا شيد على مبادىء خلقية وروحية »

المؤسسات الاجتماعية الامريكية التى تعنى بمسائل الزواج ، انه وان كان متوسط السن التى يتزوج فيها الشبان أعلى قليلا منها عند الفتيات ، فهى أقل بكثير من مثلها فى سائر البلدان، ويعزى سبب ذلك الى الفرص العظيمة التى تتاح للشبان فى أمريكا ومنها المبالغ الطائلة التى تدفعها الحكومة للمحاربين القدماء ، واختلاط الجنسين اختلاطا لا مثيل له خارج امريكا ، والتحاق الفتيات بدور الاعمال بعد الزواج

والسؤال الهام الذى يخطر بالبال الآن هو : « ترى ماذا تكون نتيجة موجة هذا الزواج المبكر ؟ أهى فى مصلحة الاسرة والمجتمع ؟ » . وقد أجاب عن هذا السؤال أربعة من كبار المفكرين ، اثنان منهم بالايجاب ، والآخران بالنفى

●

أجاب الاسقف اوكسنام عن هذا السؤال بالايجاب، وهو من أكبر رجال الدين فى أمريكا . اذ يرأس مجلسا يضم ٢٥ مذهبا، يبلغ اتباعها ٤٠ مليونا

من الاعضاء، وهو فوق ذلك من العلماء الافذاذ، فقد عين رئيسا لاحدى الجامعات وهو فى السادسة والثلاثين من عمره

ويرى الاسقف أوكسنام أن الرجل يجب ان يعمد الى الزواج فى الثانية والعشرين من عمره ، أو فى الخامسة والعشرين على الأكثر ، فالرجل الذى فى الخامسة والثلاثين من عمره، أصلح لتربية طفل فى العاشرة من ذاك الذى فى الخامسة والاربعين .. اذ يستطيع معاونة ابنه على تسلق جبل، أو مشاركته لعب الكرة ، أو غير ذلك من أنواع الرياضة، فالزواج المبكر يهيىء فرصة طيبة لحسن التفاهم ، وتبادل الصداقة بين الاب وابنه

> « إنى لا أوافق بعض الأطباء الذين كتبوا مرة فى الجرائد ينصون على أن سن البلوغ يجب أن تكون هى بعينها سن الزواج ، إذ بالله ماذا تفهم فتاة فى الثانية عشرة من معنى الزواج ؟
>
> « إن الزواج ليس بالشىء الهين. تظن الفتيات الصغيرات ان الزواج معناه ضرب الموسيقى ونصب السرادق ليلة العرس ولبس الحرير والماس والمباهاة بالأثاث والأوانى الفضية... ليس هـذا هو الزواج يا سيدتى الصغيرة ، بل هو ارضاء الزوج وحسن القيام على ماله وتدبير بيته ومواساة أهله وتربية أولاده ورئاسة خدمه ، فهل تستطيعين كل ذلك .؟ لا أخالك تستطيعين ! »
>
> باحثة البادية

ان الرجـل الذى يرجىء الزواج الى سن الخامسة والثلاثين ، بدعوى تحسين مركزه المالى أو الادبى ، انما ينكر على شريكة حياته مشاركته جهاده فى الحياة بما تشتمل عليـه من فرح وحزن . فالتضحية فى سبيل الحب المتبـادل ، هى الرباط الوثيق الذى يقوى الدعامة الزوجية ، ويدفع عنها عوادى الزمن متى عصفت بها المتاعب المالية . ومن ذا الذى يؤثر أن يفرق بين قلبين متحـابين ، عشر سنوات كاملة ، هى فى الواقع عشر سنوات من المتعة والسعادة ؟

●

يضاف الى هذا ان الناس كلما صغرت أعمارهم ، كـانوا أقدر عـلى تكييف أنفسهم تكييفا يلائم البيئة ، بما فيها من مسرات ومتاعب . فالزواج السعيد معناه انسجام نفسين، وامتزاج شخصيتين .. هو شركة مساهمة ، تصيب كل من الزوجين فيها النصف .. ولكنها لكى تكون شركة منتجة يجب أن يتقارب سنا الزوجين (لا يزيد عمر كل منهما عن الخامسة والعشرين)

وهل هناك من سبب وجيه واحد، يبرر عدم الزواج المبكر ؟ ان من واجب المجتمع أن يشجع الزواج المبكر ، بين طلاب الجامعات قبل انهاء دراساتهم.

ولقد انصفت الحكومة الامريكية فى توفير المال للشبان من المحاربين القدماء، فأقدم معظمهم على الزواج ، وبقى أن تنصف الشبان الجامعيين فتوفر المال الكافى لهم ولزوجاتهم ولا ولادهم

وبرغم أهمية السن المبكرة فى الزواج ، فانه يجب ألا ننسى أن بيت الزوجية لا تقوم له قائمة ، ما لم يكن عماده الحب ، والصدق ، والاستقامة، وما لم يكن أساسه الدين والاخلاق

●

ويتفق مع الاسقف اوكسنام فى الرأى طبيب ، وعالم ، واجتماعى من خيرة رجالات أمريكا ، هو الدكتور ولبر ، رئيس جامعة ستانفورد المشهورة، ووزير الداخلية السابق فى عهد الرئيس هوفر

وهو يرى ان الفترة التى يشتد فيها الميل الجنسى فى الانسان، هى الشطر الاخير من سن المراهقة ، أى ما قبل العشرين ، ولما كان الانسان حيوانا بيولوجيا بالطبع ، فان سن الزواج الطبيعية، هى بلا ريب بدء فترة النضوج، أى سن العشرين أو قبيل ذلك . ولاشك فى أن مسئولية الزواج خطيرة، ولكن تحمل المسئولية من أهم العناصر التى تقوى الشخصية ، وتؤدى الى اتزانها ، وأبرز دليل على ذلك، تفوق الشبان من المحاربين القدماء فى الكليات والجامعات على سواهم من الطلاب ، وأكثرهم تزوج فى سن مبكرة. وقد

> أتى رجل إلى عمر بن عبد العزيز يخطب أخته فأطال الكلام . فقال عمر : « الحمد لله ذى الكبرياء ، وصلى الله على خاتم الأنبياء . أما بعد فان الرغبة منك دعت الينا . والرغبة فيك أجابت منا . وقد زوجناك على ما فى كتاب الله ، امساك بمعروف أو تسريح باحسان » !

أدهشت هذه النتيجة رجال التربية ، فقد كان الاعتقاد السائد ، أن حياة العزوبة أدعى للنجاح المدرسى من الحياة الزوجية ، فاتضح أن العكس هو الصحيح ، اذ أن الطالب المتزوج ، يقدر المسئولية ، فيصبح الهدف أمامه واضحا ، وتشتد رغبته فى التقدم فى أسرع وقت ممكن

ولقد كان من نتيجة تضاعف مطالب الحياة الحديثة وتعقدها ، وارتفاع مستوى المعيشة ارتفاعا لا مثيل له، أن اعتقد الشبان انه من الحكمة أن يؤجلوا الحادث السعيد، ريثما يبلغون المستوى اللائق بآبائهم وأقربائهم ، وفاتهم أن هؤلاء الاقارب والآباء، لم يكونوا فى ذلك المستوى الاقتصادى ، يوم أن تزوجوا ، وانهم لم يبلغوا تلك المكانة الا بعد عشرين عاما أو أكثر، اقتصدوا فيها وادخروا ، وقاسمتهم فيها زوجاتهم السعادة والشقاء

ان البذخ، وارتفاع مستوى العيش،

والأبهة لا تعد شيئا فى جانب السعادة العائلية ، وسلامة التفكير ، واتزان الشخصية.. وارجاء الزواج معناه قلة الذرية ، وتفويت الكثير من فرص السعادة . وتعاون الزوجين . وجهادهما فى سبيل العيش، معناه تشييد البيت ، على أساس متين ، قوى البنيان ، قوامه حسن التفاهم ، والحب ، والاخلاص ، والصداقة الزوجية . ثم ان الزواج المتأخر يأتى فى سن تكون فيها طباع الزوجين جامدة ، تنقصها الليونة والمرونة ، فيصعب تكييفها . فتغيير العادات ليس سهلا، اذ انه يتطلب أن يعيش الزوجان معا ، ويتعاونا معا فى سن مبكرة لفترة من الزمن ، قبل أن تكون طباعهما قد تمكنت منهما

●

ويعارض الرأى القائل بالزواج المبكر ، السيد بول لانديس ، رئيس قسم الاجتماع فى كلية واشنطون الامريكية

فهو يرى أن جميع الحقائق والمعلومات التى لدينا تناهض الزواج المبكر، اذ تدل الاحصاءات، على أن الذين تزوجوا دون سن الثانية والعشرين من أعمارهم، لم ينسجم منهم فى الحياة الزوجية سوى أقل من ٢٩ فى المائة ، فى حين أن ٣٨ ونصفا فى المائة كانت علاقاتهم غير حسنة ، وان ٣٢ فى المائة كانت علاقاتهم متوسطة . والذين تزوجوا بين سن ٢٢ و ٢٤ من أعمارهم، بلغت نسبة المنسجمين منهم ٤٩ فى المائة ، والمتوسطين ٣٤ فى المائة ، والذين ساءت علاقاتهم ١٧ فى المائة، وأخيرا وجد ان ٦١ فى المائة من الذين أرجأوا الزواج الى سن ٢٨ و ٣٠ من أعمارهم، توافر الانسجام بينهم

ومن عقبات الزواج حالة الزوج المالية. وقد دلت الاستفتاءات العديدة، على ان الطالبات الجامعيات، يرغبن فى أن يكون أزواجهن أكبر منهن سنا بخمس سنوات ، لتكفى مالية الزوج حاجة الفتاة بحيث لا تنزل عن مستواها الاقتصادى

وهناك أمر نفسانى عظيم الاهمية، وهو أن الطفولة قد امتد أجلها . أى أن الشاب يستمر « طفلا »، يواصل الدراسة الى سن متأخرة ، وبذلك أصبح أكثر مرونة وهو فى سن الثلاثين من زميله الذى فى سن العشرين ، والذى يكف عن الدراسة ويدخل ميدان العمل ، ثم ان الحياة فى المدن أصبحت معقدة، فمن العبث أن يحاول المرء الزواج قبل بلوغ السن التى يستطيع فيها تحمل المسئولية

●

ويؤيد الرأى الاخير جولدشتين ، وهو صاحب عدة مؤلفات مشهورة فى الشؤون الاجتماعية.. وفيما يلى تلخص رأيه :

دلت الايام على أن العمر المثالى

للزواج يقع بين ٢٥ و ٣٠ للرجل ، و ٢٠ و ٢٥ للمرأة . وكلما ابتعدت السن عن هذين الحدين ، ارتفاعا أو انخفاضا ، كان الزواج أكثر عرضة للفشل

ومن السهل الوقوف على أسباب الفشل في الزواج المبكر . وفي مقدمتها التغيرات التي تطرأ على نمو الرجل والمرأة ، بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين من العمر ، فالصفات التي تجذب الزوجين ، الواحد الى الآخر في سن مبكرة ، تختلف عن تلك التي تجذبهما بعدها بخمسة أعوام أو ستة . فما يعنى به الواحد في صاحبه من ضروب الجاذبية وألوانها الساحرة ، يتغير بمرور السنوات

الزواج في هذا العصر يتطلب نضوجا كاملا . فليس هو مجرد عقد قانوني وحسب ، أو مجرد مخاطرة بيولوجية وحسب ، وانما صداقة سيكولوجية ، وعلاقة أدبية روحية . فالناس في هذا العصر يتزوجون لانهم في حاجة ملحة للزمالة الصادقة . وقد علمتهم الحوادث ، أن الزواج لا يؤدي الرسالة التي وضع من أجلها ، الا اذا شيد أساسه على مبادىء خلقية روحية ، ومثل أدبية سامية ، وما لم يكتمل نضوج الزوجين ، أصبح معنى الزواج غامضا يعوزه الفهم ، وأصبح التفاهم بين الزوجين محالا

والسؤال الذي يخطر على بال الجميع هو : « ماذا يفعل الشباب في الفترة ما بين النضوج البيولوجي «البدني» والنضوج الذهني والوجداني والاخلاقي ؟ » ، والجواب عن هذا السؤال ، ان العوامل البيولوجية يجب أن تخضع لغيرها من المبادىء السامية ، وليس معنى هذا ان نطالب الشبان بكبت هذه الدوافع والا كان كبتها سببا في تسربها الى العقل الباطن بظلامه الدامس ، مما قد يؤدي الى الجنون والاضطرابات العصبية ، ولكن ليس معنى هذا أيضا ان نطلق لهم الحبل على الغارب ، ليجرفهم تيار الشهوات ، فتتدهور أخلاقهم

وخير ما يقي الشباب من الانزلاق في مسالك التهلكة ، سواء بالكبت أو الانغماس ، هو التأدب والتحلي بالمثل العليا والخلق الكريمة ، التي وضعها المجتمع منذ آلاف السنين

[عن مجلة « افري بوديز دايجست »]



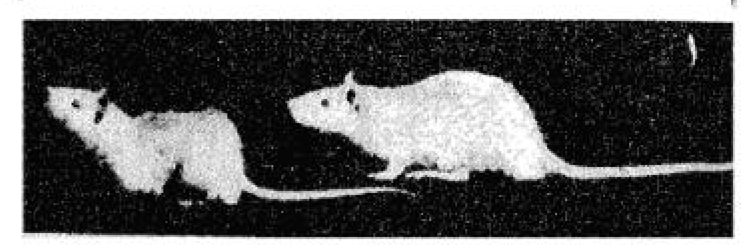
هــل تعرف عناصر الطعــام اللازمة لبناء جسمك والاحتفاظ بحيويته ؟

مــــاذا تأكل ..؟

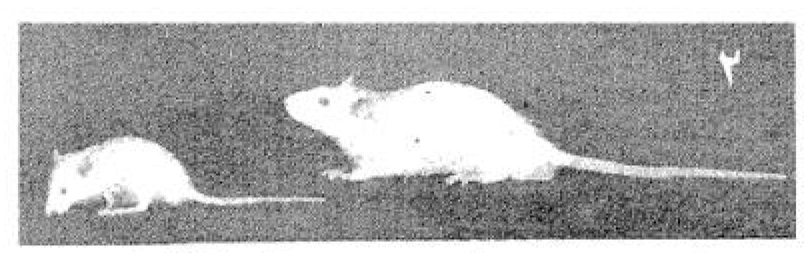
بقلم الدكتور فؤاد اسحاق
المتخصص فى الكيمياء الحيوية

يتركب الغذاء الكامل العادى من : (١) مواد نشوية مثـل : الخبز والأرز والمكارونة والبطاطس (٢) مواد دهنية مثل : الزبد والسمن والزيوت المختلفة (٣) مواد بروتينية أو زلالية مثل : اللحم ، وبعض البقول كالبسلة والفول واللوبيا والفاصوليا والعدس (٤) الماء (٥) كميات قليلة من الفيتامينات كالتى توجد فى الخضروات (٦) بعض مواد معدنية كالكالسيوم والفوسفور والحديد واليود والصوديوم والكلور . ولـكى يكون الغذاء سهل الهضم ، ينبغى أن يتكون بنسبة ١ الى ١ الى ٤ من المواد الدهنية والبروتينية والنشوية على الترتيب . ويترتب على احتراق هذه المواد داخـل الجسم تكوين الحرارة اللازمة لحفظ حيويته . ولمعرفة اهمية الفيتامينات والمواد المعدنية فى نمو الجسم ، اجريت بعض التجارب على الفيران ، لأنهـا فى تغذيتها أقرب الحيوانات الى الانسان . .

والصور التى ننقلها هنا ، توضح نتائج بعض هذه التجارب



يتناول الفـار الذى يبدو الى اليسار ، طعاما مؤلفا من اللحم والبطاطس والخبز والزبد . بينما أعطى الفـار الذى على اليمين نفس الكميات ولـكن زيد عليها اللبن وبعض الخضروات التى تحتوى على فيتامينات . فزاد نموه زيادة كبيرة عن زميله الذى على اليسار



ان الفار الصغير يزيد عادة ٥٠ جراما بعد أربعة أسابيع من ولادته .. ولكن الفار الذى يبدو فى هذه الصورة تضاعف أربع مرات فى خلال شهرين . فالمواد الزلالية عظيمة الفائدة فى نمو الجسم وتكوين العضلات

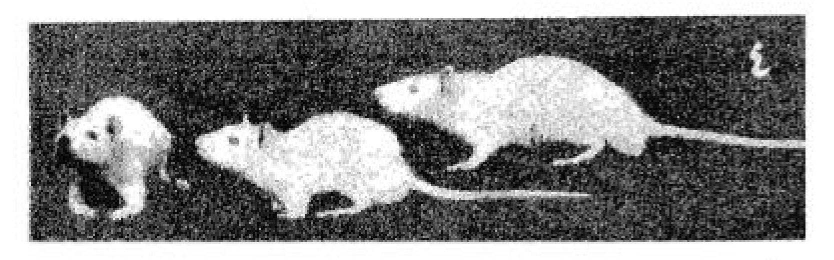
ويلزم للانسان البالغ منها حوالى ٦٠ جراما يوميا ، ولكن يجب زيادة هذا المقدار بين سن ١٥ الى ١٧ سنة لأنها الفترة التي ينمو فيها الشخص نموا كبيرا

أما الاطفال فيلزمهم حوالى ٣ جرامات لكل كيلوجرام من وزن الطفل بين سن الثانية والثالثة

كما تحتاج السيدة الحامل والمرضع الى زيادة مقدار المواد البروتينية

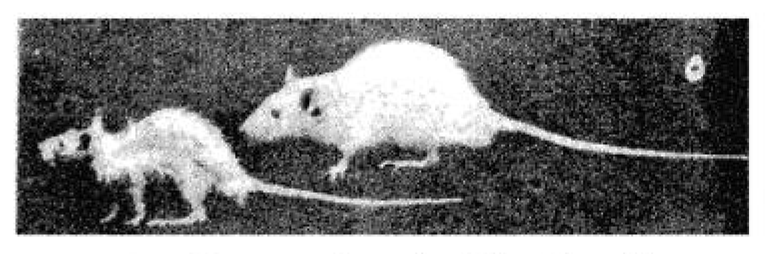


أعطى الفار الذى على اليسار كميات قليلة من الكلسيوم فلم تتم عظامه النمو الطبيعى ، كما حدث للفار الايمن الذى أعطى كميات كافية من الكلسيوم ، فنما نموا طبيعيا وزاد عن زميله فى الوزن والحجم . وكما أن الكلسيوم هام للجسم فالحديد كذلك ، وهو يوجد بكميات معينة فى الكبد والطحال وصفار البيض والبسلة الخضراء والسبانخ والكرنب والجزر وبعض الحبوب



يتكون فيتامين « د » داخل الجسم بتعريض الاجسام للأشعة البنفسجية او لأشعة الشمس. وفائدته انه يمتص الكلسيوم والفوسفور ، كما ان نقصه من الجسم يسبب مرض الكساح ولين العظام

والصورة تبين أن الفار الايسر والفار الاوسط تناولا مقادير قليلة منه ، فنميا نموا قليلا ، كما ان عظامهما تقوست . بينما نما الفارالايمن نموا كبيرا بفضل اعطائه الكميات الكافية من هذا الفيتامين



يسبب نقص الريبوفلافين او الفيتامين (ب) ٢ بعض الامراض الجلدية وآلام فى الأطراف . ومن فوائده انه يساعد فيعملية تنفس الانسجة . ويوجد هذا الفيتامين فى جميع خلايا الجسم وفى اللبن والصورة تبين الفار الايسر

وقد حرم من الريبوفلافين، فنما هذا النمو غير الطبيعى نظرا لاهمية الريبوفلافين فى عملية تنفس الانسجة .. بينما تناول الفار الايمن كميات كافية منه فكان نموه طبيعيا

نكران مع سبق الاصرار !

اعتاد رجل بخيل من أهل مرو أن ينزل على رجل من اهل العراق فيلقى منه كل ترحيب واكرام . وكان الضيف كثيرا مايقول لمضيفه : « ليتك تزورناحتى اجزيك عن كرمك وحسن ضيافتك » . وصادف أن ذهب العراقى مرة الى مرو. ومضى وهو بثياب سفره يسأل عن منزل الرجل وتوجه اليه فوجده جالسا امام الدار فحياه ، ولكن هذا الرجل تظاهر بعدم معرفته . فقال العراقى فى نفسه لعل رداء السفر حال دون ان يعرفنى ، فخلع عنه عباءته وقناعه وعمامته ، ثم سأله : «هل عرفتنى ؟». فقال : « لو خرجت من جلدك ما عرفتك » !



« كان مصطفى لطفي المنفلوطي معتدل الطول ، وسيما في غاية الوسامة . وجهه عربي يميل الى الاستدارة ، وعيناه سوداوان ذابلتان ، فيهما خيال وفن »

طيف حبيب

بقلم علي الجارم بك

في ايام الصيف القائظ ومنذ خمسين سنة كنت بمدينة الفيوم . نعم طوحت بي المقادير الى هذه المدينة وانا طالب ازهري حدث السن ، نشأ في أقصى الشمال ودرج بين البحار والرمال وفي ظلال النخيل ، لا يعرف الشمس لفحا، ولا يشكو من حرها ضبحا :

وقد تلجىء الحاجات يا أم مالك
الى هجر دار ، او فراق صديق

كان ابي قاضيا للمديرية ، فكنت اذا حمي وطيس القيظ بالقاهرة ، واظلتني عطلة الازهر ، حملت خرجي او حقيبتي — واظن انه لم يكن لي حقيبة في ذلك الزمان البعيد — ويممت شطر البلد الذي يقيم به ابي

وكانت مدينة الفيوم في هذا العهد من أجل مدن مصر منظرا ، واخفها روحا ، يمر بوسطها بحر يوسف هادئا وئيد الخطى ، ويقوم على احد شاطئيه قصور العظماء وسراة المدينة رحيبة فخمة متماثلة في طراز البناء ، تنطق بما لقطانها من المنزلة وبسطة الرزق. ولي فيها في تلك الايام قصيدة منها:

ساكني الفيوم اني ذاكر
عهدكم ، والذكر في البعد وفاء
كم شدا شعري على دوحتكم
اي شعر غرد ؟ اي غناء ؟ !
بلد كالزهر حسنا وشذا
بين أظلال وانسام وماء
مثل خد البكر في تلوينه
ترتدي في كل حين برداء
فهي بالأمس سواها في غد
وهي في الصبح سواها في المساء

وكنت في ذلك الحين شاديا في الادب ، مولعا بالشعر . وللأدب اينما حل نفحة تجتذب اليه الادباء،كما تجتذب النحل الرياض. والادب ماسونية تذهب بالكلفة ، وتمحو الفروق بين الاشخاص . واخوة متينة العرى وثيقة الأواصر، وقديما قالوا : « صلة الادب فوق صلة النسب » فما كدت احل بالمدينة حتى سعى الى ادبائها ،

او سعيت اليهم ، وكانت لنا مجالس فى ناد صغير كان يزين لنا الغرور انها تفوق مجالس عكاظ وحلقات المربد . ادب وشعر وفكاهة ، ثم دعابات ومجون تصور لهو الصبا وعبث الشباب . فسقيا للشباب ولايام الشباب !

وكان عصر الادب فى طليعة هذا القرن بعصر زاهرا ، وكان للادب فتنة وله فى نفوس الشباب روعة ، وانما تروج سوقه حيث تميل اليه الاسماع ، وحيث تقدر جهود الاديب

كنا فى النادي ذات ليلة نتناشد قصيدة للشيخ عثمان زناتي مطلعها :

لا أنت واصلة ولا انا سالى
صدق الهوى وكذبت فى آمالي

والشيخ عثمان شاعر مقل ، جرى فى غبار البارودي وحاكاه فى اسلوبه العربي الرصين وفى التشبه بشعراء الجاهلية . وبينما نحن فى جدال عنيف اذ دخل مهدى احمد خليل وكان وقتئذ مدرسا للعربية بالمدرسة الابتدائية ، وهو شيخ فارع منسوط الجسم ، مفرط فى الطول ، رمى الله عينيه بالعمش ، وخديه بالنمش ، كان يزعم انه يقول الشعر ولكنه فى الحق انما كان ينحت من الصخور ، يجمع من الفاظ القاموس المحيط كل غريب نفور متعاظل ليملأ به تفاعيله . دخل مهدى خليل وقال : « اتعلمون من سيزورنا فى النادى هذه الليلة ؟ » ، قلنا : « لا » ، قال : «احزروا» ، قلنا : «لانحزر ، اجلس فما عهدناك مرة بشير خير » ، فقال : « اني والله فى هذه المرة بشير خير ! » . ثم وضع يديه على ركبتي وقال : « سيزورنا الليلة السيد مصطفى لطفى المنفلوطي ، فقد حضر من القاهرة بالامس لزيارة ابيه القاضي الشرعى بمركز الفيوم »

كلنا كان يعرف السيد مصطفى فى ادبه قبل أن يلتقي به ، فقد كانت له شهرة ذائعة على حداثة سنه وقرب قيد اسمه فى سجل الادباء . واذكر انى عثرت مرة على اوراق مطبوعة بها قصيدة قافية تربى على مائة بيت نسبت للسيد مصطفى ، كلها تشهير بالاحتلال ، ونسبت اليه قصيدة أخرى حكم عليه بالحبس بسببها كان لها ضجة بمصر ودوى يثقب الآذان . ويظهر أن السيد مصطفى حينما رحل من منفلوط الى القاهرة اول ما رحل ، كان موفور المواهب كامل العدة فى الادب ، التف به قوم جعلوه لسانهم الناطق ، فرمى من قوسهم جريئا غير هياب ، على حين كان هؤلاء السادة يختفون خلف كرامة مصنوعة ووقار مختلق

كانت الساعة التاسعة حينما دخل السيد مصطفى النادى ، فرأينا شابا فى نحو الثانية والعشرين ، معتدل الطول ، ناضر العود ، وسيما فى غاية الوسامة ، قسيما فى منتهى القسامة . وجه عربي يميل الى الاستدارة ، وعينان سوداوان ذابلتان فيهما

خيال و فيهما فن ، وأنف مستقيم لا ترى فيه عوجا ولا امتا . وكان السيد جميل الزى انيقا فى ملبسه دون ان يشعرك أنه يتعمد الاناقة او يتكلف حسن الشارة

حيينا السيد تحية المشوقين الى رؤيته المعجبين بأدبه ، وسلك بنا الحديث شعبا شتى نال فيها السيد قسطا يسيرا ، لان الحياء كان من ابرز صفاته ، فلم تكن لتفتح نفسه وتبدو على سجيتها الا بعد معاشرة ومخالطة

رايت السيد فهفت اليه روحى ، وسكنت نفسى ، وتوالت الاجتماعات بالفيوم فنفض عنه الكلفة ، ورايته كما هو وكما كنت احب ان اراه : جم الادب ، كثير الحفظ والرواية ، حسن الاختيار لما يحفظ ، فلا يروى لشاعر الا الجيد المختار والرائع المتخل . وتمكنت بيننا الصلة فلم اكن افادر مجلسه الا حيث نفترق للنوم . وكان معه بالفيوم أخوه ابو بكر ، وكان اديبا قارئا ولكن ادبه كان من صنف آخر . واذكر انى انشدتهما مرة قصيدة لى فى الفخر منها :

اذا كان عيبى بينهم أننى فتى
صغير ، وشعرى بالشبيبة مسود
فمهلا أنا النجم الذى يبصرونه
صغيرا ، ويخفى قدره عنهم البعد

ويظهر أن ابا بكر حفظ بعض أبيات من القصيدة ، واتفق أن تنازع مع بعض اخوته يوما امام أبيه وصاح فيهم : « صدق والله الشيخ على الجارم ! » . فقال ابوه : « وما شأن الشيخ على الجارم ياولد ؟ » فقال : « لانه يقول :

سئمت حياتى بين قوم فضائلى
لديهم يغطيها التعصب والحقد
اذا ما بدت ترنو اليهم فضيلة
تصدى لها نذل وكر لها وغد »

وكان جزاء ابى بكر المسكين ان لاقى من أبيه على هذه الصراحة شر ما يلاقى مولود من والد ! وقد اخبرنى السيد بهذه القصة وهو لا يكاد يمسك نفسه من الضحك

اقمنا بالفيوم نحو شهرين عرفت فيهما عن كثب فضل السيد وخلقه وأدبه ، فقد كان سريع الخاطر ، حلو النادرة ، لا ينطق الهجر ، ولا يحب أن يسمعه ، دقيق الحس نبيل العاطفة ، جذابا الى أقصى حدود الجاذبية ، سخيا الى ابعد مطارح السخاء . ثم هو محدث لبق يحسن اختيار لفظه ، ويجيد تصوير معناه . وكان بصوته الهادىء صحل خفيف له حلاوة وعذوبة ، وكان من عادته اذا بدأ الحديث أن يزم شفتيه قليلا فتبدو فى خده الأيمن فحصة خفيفة تزيد وجهه حسنا وملاحة

عدنا الى القاهرة معا وكنا سئمنا دروس الازهر ، واجتوينا متونه وشروحه وحواشيه ، ورمينا الطرف الى منتهاه وغايته فرأينا اننا لا ننال الشهادة الا اذا قضينا فى الدرس اثنى عشر عاما وكنا من كبار النابغين . وكم كان مرتب الشهادة يا ترى فى ذلك الحين بعد الكد الطويل والعيش الممض ؟ اربعة ريالات صحيحة كاملة نقدا وعدا فى كل شهر ! رأينا

هذا فانصرفنا عن الازهر وجعلنا مجلسنا فى الصباح «بقهوة الفندية» وهى قهوة لا تزال امام المشهد الحسينى الى الآن . الا ليت شعرى هل كانت تعلم جدران هذه القهوة ، أو كان يعلم صاحبها ان طائفة البؤساء المفلوكين الذين يجلسون فى احد اركانها وهم بين انشاد وشعر وتنادر وضحك وصخب ، سيكونون اعلام الادب فى مصر ، وزعماء النهضة فى الشعر والكتابة ؟

كنت ترى فى هذا المجلس حافظ ابراهيم ، وامام العبد ، وعبد الرحمن البرقوقى ، واحمد نسيم ، واحمد فؤاد . وكان من عادتنا ان نجلس كل يوم الى كتاب ادب او ديوان شاعر نقرا طرائفه ونتخذ منه مادة للنقد والجهر بالراى الحر الجرىء ، فاذا جاء موعد الغداء ذهب اكثرنا مع السيد الى داره ، وكان رحمه الله يزيد وجهه تهللا وبشرا كلما زاد عدد الطاعمين

ثم دخلت دار العلوم فانحرف بى الاشتغال بها عن طريق السيد ، وكان قد زاد اتصاله بالشيخ على يوسف فنشر بالمؤيد «النظرات» التى رفعته الى القمة ، وطارت باسمه كل مطار ، وهى مقالات تصور عاطفته وتكشف عن ذات نفسه التى تفيض بالرحمة والحنان ، ثم هى الى ذلك فن جديد فى الكتابة الجزلة السهلة الرائعة التى كانت فتحا مبينا فى النثر العربى ، ومثلا عاليا لناشئة المتادبين

وحينما عدت من انجلترا كان السيد كما تركته لا يزال يمتلك ناصية المجد ، ذلك المجد الهادىء الرصين الذى بلغه بسنان قلمه العف ، وبروعة فنه الرفيع ، والذى لم يصل اليه بسلاطة لسان ، أو غرابة مذهب ، أو اثارة جدل حول اسمه ليدفع الناس الى ذكره والتحدث عنه

وتمكنت صلته فى ذلك العهد بالزعيم الراحل سعد زغلول باشا ، واتفق ان مات السيد عليه الرحمة يوم جرح الرئيس بميدان محطة القاهرة ، فشغل الناس خطب الرئيس عن خطبه ، وصرفتهم فجيعتهم الكبرى فى سعد عن ان يؤدوا ما عليهم للكاتب المجيد يوم رحيله من حفاوة وتكريم .

وفى ذلك يقول شوقى :

اخترت يوم الهول يوم وداع
ونعاك فى عصف الرياح الناعى
هتف النعاة ضحى فاوصد دونهم
جرح الرئيس منافذ الأسماع
من مات فى فزع القيامة لم يجد
قدما تشيع او حفاوة ساع
ما ضر لو صبرت ركابك ساعة
كيف الوقوف اذا اهاب الداعى ؟
خل الجنائز عنك لا تحفل بها
ليس الغرور لميت بمتاع
سر فى لواء العبقرية وانتظم
شتى المواكب فيه والأتباع
واصعد سماء الذكر من اسبابها
واظهر بفضل كالنهار مذاع
فجع البيان واهله بمصور
لبق بوشى المتعات صناع

علی الجارم

رسم الخيال شخصيات هذه اليوميات ، فإن شابه بعضها أحياء يرزقون ، أو طابقت حوادثها وقائع حقيقية ، فما ذلك إلا محض مصادفة !



من يوميات طالبة

بقلم السيدة أمينة السعيد

٢٠ يوليه ١٩٣٢

الحمد لله ...

ظهرت اليوم نتيجة البكالوريا وكنت وصديقتي زينب في طليعة الناجحات ، وبذلك كلل الله جهدنا بالتوفيق ، وانتهت فترة القلق والانتظار .. كم سهرت وجهدت من أجل تحقيق رسالتي النبيلة ؟ ! هي والله رسالة تبدو تافهة في نظر الناس ، ولكنها عظيمة بالنسبة الى فتاة مثلي مازالت صغيرة السن ، ومع ذلك تشعر بأهمية دورها في مستقبل البلاد . وقد أكون مغالية في تقدير اهمية دوري ، ولكن هكذا اشعر ، وقد خرجت من الامتحان ظافرة ، وغدوت قاب قوسين أو ادنى من حياة جامعية لم تتذوقها قبلي غير فتيات قليلات . ألست محقة في تيهي وخيلائي ، وساكون واحدة من أوليات نساء مصر المثقفات ؟ !

وكان سروري مضاعفا بنجاح زينب ، فهي صديقة عزيزة تربطني بها زمالة سنوات دراسية متوالية . وصداقتنا من نوع جميل ، فيه حب وتقدير واحترام ، وفيه منافسة مشتركة ، لا للسبق ، بل لاتمام مراحل العلم جنبا الى جنب

واليوم جاءتني مهنئة ، واعطتني لفافة صغيرة ، فلما فتحتها وجدت فيها تمثالا عاجيا لقرد صغير : في وجهه معالم القبح المجسم ، ولكنه مع ذلك آية من آيات الفن الرفيع . وكانت تعابير وجه القرد تتغير بتغير زاوية النظر اليه ، فهو ضاحك غاضب ، راض ساخر !

قلت لها دهشة : « ما هذا القرد ؟ ! »

قالت : « هديتي اليك ، فاحتفظي به ، ليشد أزرك في المحنة القادمة »

سألتها : «اي محنة تقصدينها ؟»

قالت : « الجامعة ! »

وعجبت لقولها أشد العجب ، فعهدي بها متزنة حكيمة ، تميل

الى الفلسفة والخيال ، ولكن عن منطق واقعى سليم . قلت وقد غمض على منطقها هذه المرة : « اتسمين الحياة الجامعية محنة ، وانت مقبلةعلى دخولها مثلى؟ ! »

فتضاحكت قائلة : « طبعا ، فهي طريق جديد ، وكما للجديد حلاوته ، فله أيضا مرارته وقسوته »

وبرغم انني لم اهتم كثيرا بكلامها ، الا انه ترك فى نفسى أثرا عميقا ، فلما اويت الى فراشي بالليل ، استعدته مفكرة حائرة : ترى اى محنة تقصد ؟ لعله اختلاط الجنسين ، فلست أرى فى الجامعة جديدا سواه .. ولكن هذا اللون من الجدة عتيق بالنسبة الى ، فقد نشأت فى بيت حديث الافكار ، يدين منذ قديم بمبادىء الحرية والاختلاط. اى محنة اذن فى أن يمارس المرء شيئا عرفه وتذوقه من قبل ؟ لا، انها فلسفة من زينب ، أخرجتها حرارة نجاحها عن المنطق المعقول !

●

اول نوفمبر ١٩٣٢

مضى على افتتاح الكلية اسبوعان ، ولم تنتظم الدراسة الا اليوم ، لاشتغال الادارة بتقسيمنا الى فرق متعددة ، يشرف على كل منها احد الاساتذة . وقدضايقنى ان اكون من نصيب أستاذ أجنبى ، اذ كنت افضل مصريا يفهمنى وافهمه ، مما يضمن صفاء العلاقة بيننا ، ثم عدت وتذكرت انا لن نرى الاستاذ الا مرة واحدة فى الاسبوع ، وهى فترة قصيرة لا تهم كثيرا او قليلا

ولم تكن هذه بالمضايقة الوحيدة ، فقد لاحظت من اول يوم ، أن طالبة اسمها أميرة تتأملنى بضيق شديد ، واستنكار ملحوظ ، وتتجافى الاجتماع بى او التحدث الى ، رغم قدم عهدها بالكلية ، وواجبها فى رعاية جديدة مثلى . وقد ساءنى سلوكها بادىء الامر ، ثم عدت ورأيت أن أتجاهلها تماما ، درءا للمتاعب ، ومنعا للاحتكاك

وفى الساعة التاسعة من صباح اليوم ، دخلنا درسنا الجدى الاول ، فوجدنا الاستاذ رشيد على منصته ، يستقبل الفوج الجديد بوجه جامد صارم كأنه قد من صخر . وأشار صامتا الى المقاعد الاولى المخصصة للفتيات ، فجلست وزينب ممتثلتين !

وتخصيص هذا الصف شعور رقيق ، يدل على تقدير الكلية واحترامها لنا ، ولكننا فتاتان فقط ، والمكان يتسع لعشرين على الاقل ، فما معنى أن يحرم زملاؤنا الشباب من حق الاستفادة بهذه الاماكن الخالية ؟

ودفعنى هذا الوضع الى التأمل، فتهت فى بحر من التفكير، استيقظت منه وزينب تنبهنى الى الاستاذ.. وكان ينظر الى صامتا مقطبا ، فابتسمت خجلة لشرود ذهنى خلال حديثه

قال لى : « خذى هذا الكتاب

واقرئي منه القصيدة الاولى ، ولكن بتأن وهدوء »

فتناولت الكتاب من يده ، وبدأت في قراءة ما أمر به . وما تلوت كلمات معدودات ، حتى ارتفعت من ورائي همهمة عجيبة ، حاولت أن اتجاهلها ، فازدادت شدة وخشونة . وخيل الي انني اعرف هذه الهمهمة ، بل سمعت ما يشبهها قبل ذلك ، فاين يا ترى ؟

واخيرا تذكرت انها همهمة الاسود ، وهي تنتظر طعامها يوم السبت في حديقة الحيوان ، بعد جوع ثمان واربعين ساعة !

وغلبني الاحراج والارتباك ، فانخفض صوتي تدريجا ، حتى احتبست الكلمات في حلقي ، فنظرت الى الاستاذ انشد العون ، ولكنه كان يتأملني مستنكرا ، كأنني اتيت أمرا قبيحا لم يكن يتوقعه !

وثارت نفسي كما لم تثر من قبل ، وتملكني غضب جامح كاد يدفعني الى الفرار من هذا الجو المكهرب الذي لا أفهم له سببا او معنى . ولكن بقية من كبريائي ابت أن استسلم للهزيمة ، فعدت الى القراءة ثانية ، وعلا صوتي بالكلمات حتى غدا صراخا يتردد بين جدران الفصل !

واخذ الجميع بثورتي ، فانقطعت الهمهمة ، واطبق السكون . وانتهت القصيدة ، فالقيت الكتاب ، وجلست متخاذلة القوة لاهثة الانفاس !

ولما انقضى الدرس ، تلكأت في مكاني حتى انصرف الطلبة والاستاذ ، ثم التفت الى زينب اسألها عما جرى . قالت باسمة : « لاشيء سوى انك حطمت تقاليد الكلية ! » قلت : « كيف ، ولم افعل الا ما امر به المدرس ؟ ! » قالت : « ان تقاليد الحياء النسوى هنا ، تقضي على كل فتاة ان ترفض القراءة على مسمع من زملائها ، تدليلا على أدبها واحتشامها ! »

قلت غاضبة : « ليحمني الله من شر حيائهن الفارغ ، فقد جئت الى الجامعة لاتعلم ، لا لاخدع الناس كذبا ورياء ! »

ومع كل هذه المكابرة شقيت وحزنت ، فقد ترامت اخبار جرائي الى الاسماع حالا ، وانتشرت بين افراد اسرة الكلية انتشار النار في الهشيم ، فلم تكد تنتهي دروس اليوم ، الا والزميلات تحت قيادة اميرة يبتعدن عني مشمئزات ، في حين ودعني الطلبة في روحاتي وغدواتي بفكاهات لاذعة وعبارات جارحة !

ولكني قابلت العاصفة في تعال وكبرياء ، فلما انصرم النهار ، واحتوتني حجرتي الصغيرة ، جلست الى مكتبي ساهمة ، استعرض ماجرى ، وابحث فيه عن موطن الزلل . وخرجت من العرض والبحث بلاشيء ، فتبلبل فكري ، وتزعزع ايماني في سلامة سلوكي وتصرفاتي

وتطلعت الى القرد العاجي مصادفة ، فراعتني منه سخرية بالغة ، شعرت معها بأنني فقدت

عطف الكل حتى صديقي القرد الصغير . وغلبني اليأس ، فلذت بسريري لأهرب من الشقاء بالنوم

●

٧ نوفمبر ١٩٣٢

ذهبت الى الكلية مبكرة هذا الصباح ، ولما دخلت حجرة الطالبات وجدت فيها أميرة واثنتين من زميلاتها ، فالقيت عليهن تحية الصباح باسمة ، ولكنهن تشاغلن بالقراءة عن الرد. أعدت التحية بصوت أعلى ، فتبدى الارتباك على الزميلتين ، وهمتا بالاجابة ، لولا نظرة صارمة من اميرة ، أعادت اليهما بكمهما السابق

وآلمتني الاهانة ، فتسارعت الشتائم الى ذهني ، ولكني حبستها قبل النطق بها . وجلست وحدي في ركن بعيد أفكر وان كنت أتظاهر بالقراءة في كراسة المذكرات ... عجبت لاصرار هذه الفتاة على مخاصمتي دون سبب أو مبرر .. اتراها المنافسة ؟ ! لا ، ليس هناك مجال للمنافسة ، فقد سبقتني الى الكلية بسنوات ، وسجلت في دراستها تفوقا تغبطها عليه مبتدئة مثلي . اذن فعلتها في انها محرومة من نعمة الرقة والقدرة على الحب ، لأن الله منحها شبابا غضا الى جانبه روح شيخة عجوز . وشيخوخة روحها تتجلى واضحة في صرامتها وقسوتها وبغضها لكل ما هو حلو جميل .. اللهم اكفني شر هذه الصبية العجوز !

وتوافدت الطالبات على الحجرة ثم دق جرس الابتداء ، فذهبت وزينب الى الفصل ، لنستمع الى اول دروس استاذنا الاجنبي وجلسنا نصغي الى صوته الرخيم ، فأعجبني في هذا الرجل علم واسع مع روح قوية جارفة تمتزج بالمرح والابتسام . ومضى النصف الأول من الدرس على ما يرام ، ثم بدأنا في تطبيق القواعد التي ألقاها علينا ، فأمسك بالكتاب ، ودار بعينيه يتأمل الجالسين . واستقرت نظراته علي ، فقال باسما : « خذي الكتاب واقرئي فيه بتأن وهدوء ! »

وتسارعت الى ذهني ذكريات التجربة التي لا زلت أقاسي من أجلها ، فمادت بي الارض ، وتملكني رعب شديد ، وخيل الي انني أدور وسط اعصار هائل . واستقر رايي سريعا على رفض القراءة ، لا اقتداء بمبادىء الحياء السخيف ، وانما اشفاقا على نفسي من المتاعب والمكدرات . قلت غاضبة : « لا ، لن اقرا ! » فتأملني ببرود واجاب : « ولماذا بالله عليك ؟ » . قلت بخشونة : «لانني لا اريد» . فتجلى الغضب في وجهه وقال : « ان كنت تنشدين المساواة بدخول الجامعة ، فيجب ان تقومي بنصيبك الكامل من الواجبات »

ورأيت في عينيه بوادر زوبعة قادمة ، فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم ، وتناولت الكتاب من يده .. ولم اقرا غير كلمات معدودات ، ثم برح بي

الحزن ، فالقيت الكتاب جانبا ، ودفنت وجهي في يدي ، وانا ابكي وانشج عاليا

وخيم الصمت برهة قصيرة ، ارتفع بعدها صوت الاستاذ يطلب القراءة من احد الزملاء ، فسار الدرس في مجراه ، وكانني غير موجودة !

وعندما رن الجرس بالانتهاء ، اشار الاستاذ الي ، فتبعته الى حجرته صامتة . قال بعد ان اذن لي بالجلوس على مقعد وثير : « لماذا جعلت من نفسك سخرية الزملاء ؟ » . حاولت ان اجيبه فخنقتني الدموع . قال مستدركا : « اعرف انك مررت بتجربة قاسية ، بلغني حديثها في الاسبوع الماضي ، ولذلك اخترتك اليوم للقراءة .. واحب ان تكوني مثلا في قوة الايمان وصلابة العود ، فلا تزعزع مبادئك القوية صدمات تافهة ، هي تراث روح خاوية وتقاليد عرجاء . سيري في طريقك مستمسكة بجراتك الطيبة ، فنحن في حاجة الى مثيلاتك . وكوني عند حسن ظني بك ، والا فقدت ثقتي في الفتاة المصرية »

قلت : « ولكنني تالمت » . قال : « نعم ، ويجب أن تستمدي من الالم قوة على اتمام رسالتك »

ويعلم الله انني لم أقتنع كثيرا بكلامه ، ومع ذلك شعرت وأنا أصغي الى صوته الرخيم براحة نفسية ، جددت قوتي ، وغرست في نفسي روح الثورة والنضال !

●

١٥ ديسمبر ١٩٣٢

اشتبكت اليوم واميرة ، وقامت بيننا معركة سافرة ، بعد معارك عدة متحجبة .. بدات المعركة ، وانا اجلس مع زينب في ركن من حجرة الطالبات ، فانفتح الباب بشدة ، ودخلت علينا اميرة دخول الزوبعة . وبحثت بانظارها هنا وهناك ، فلما راتني كشرت عن انيابها ، واقبلت على شامتة متحدية . قالت للفتيات وان كان حديثها في الواقع موجها الي :

ــ طلبت مني ادارة الكلية ان انبهكن الي تقليد متبع بيننا ، وهو تغطية الراس اثناء المحاضرة ، اذ لوحظ ان واحدة من الجديدات تدخل الفصل عارية الراس ، وفي ذلك استهانة بمبادىء الاخلاق والاحتشام . وكلكن يعرف طبعا صرامة العقوبة التي تنتظرها ، ومن تتعقب خطواتها !

وكنت المقصودة بهذا الكلام ، فقد ابيت تغطية راسي ، لا استهانة بمبادىء الاخلاق والاحتشام ، وانما نفورا من حجاب لا محل له في كلية مختلطة ، وبين فتيات وفتيان يتآخون في طلب العلم .

قلت لها : « أعرف انك تعنينني بهذا الكلام ، ولكنني لا أعترف بمبدأ تغطية الراس » . هتفت غاضبة :

ــ اقسم انك وقحة لا اخلاق لك ، والا ما جرؤت على التفوه بهذه الالفاظ . الم تعد بك بقية من حياء ، لتتبيني قبح المبادىء التي جلبتها على رؤوسنا ؟ الا يكفيك ما امتهنته الى الآن من



• وتطلعت إلى القرد العاجي مصادفة . . فراعتني منه سخرية بالغة

اصول الادب ودواعي الاحتشام ؟
قلت مذعورة : « أنا امتهن الادب والاحتشام ؟ ! » قالت : « اتنكرين انك قرأت فاسمعت الرجال صوتك؟ » . قلت : « لا انكر » . قالت : « وانك تبادلين زملاءك التحية والحديث ؟ » . قلت : « ولا انكر هذا أيضا » . قالت : « وماذا كانت النتيجة ؟ انتشرت عدواك بين البنات ، فغدت القراءة والمناقشات بدعة مستحدثة في هذه الكلية . والآن تدافعين عن راسك العارى ، ولكنني أفهمك تماما ، فليس الدفاع الا عن رغبتك في تكملة اناقتك ببهاء شعرك البنى ! »

قلت لاهثة : « وهل في الاناقة مايشين؟» . قالت : «نعم ، فنحن في الجامعة كالرجال ، ولا مجال

شعرت معها بأنى فقدت عطف الكل »

بيننا لزينة او اناقة » . قلت غاضبة :

ـ ان كانت هذه هى المساواة التى تفهمونها ، فلست اريدها . اننى امراة قبل كل شىء ، وواجبى الاول الاحتفاظ بانوثتى واناقتى مهما ابلغ من العلم . ونجاحى فى الانوثة والعلم معا ابلغ نجاح للرسالة التى انشدها . اما ان تجعلنى الجامعة رجلا فى جسد امراة ، فلا كانت الجامعة ، ولا كان التعليم الجامعى

اجابنى بازدراء :

ـ لا يصح ان اضيع وقتى بمناقشتك ، فاستمرى فى غيك ، ويكفى ان اسمك قد غدا مضغة تلوكها الافواه مع سلسلة من الصفات والنعوت المناسبة !

ووضع جرس الدرس حدا لعراكنا ، فوقفت مترددة بالرغم من ثورتى ، واتجهت انظارى ـ دون ان اقصد ـ الى قبعتى ، وكدت اخطو نحوها عندما احسست بيد زينب تضغط ذراعى . نظرت اليها فوجدتها تبتسم لى ، ثم رفعت يدها الى راسها ، وخلعت قبعتها ، والقت بها جانبا ، فاستمدت شجاعتى بهذه اللمحة البليغة ، وسرنا الى الفصل سافرتين !

●

٢٠ يونية ١٩٣٢

سجل نجاحى فى امتحان السنة الاولى تحولا ملحوظا فى شعورى واحساساتى ، فقد دخلت الجامعة ، وكلى آمال واسعة ، فلم ينته العام الدراسى ، الا وقد زهدتها ، وانتويت ان اهرب بكرامتى من جوها المتزمت الكريه . اما اليوم ، فلست اريد ترك الجامعة ، بل اتوق الى الاستمرار فى الجهاد

ولا شك اننى مدينة بهذا التحول الى درجتى المتفوقة فى الامتحان الشفوى الانجليزى

اما ماحدث فى الامتحان فكان

عجيبا جدا : اقبلت على لجنة الشفوى متفائلة لوجود أستاذى الاجنبي على رأسها

وشغلنى السرور برؤيته عن رؤية غيره من الممتحنين ، فلم احس بوجود الاستاذ رشيد الا متاخرة . ومع اننى كنت انفر منه لخشونته وجوده ، الا اننى شعرت بشىء كثير من الامن والطمأنينة فى حمى زميله الاجنبى

وجلست امام اللجنة متادبة خاشعة ، واذا برئيسها يسألنى عن رايى فى الحب ! ولم اكن انتظر مثل هـذا السؤال العام ، وقد قضيت الليالى فى دراسة الكتب المقررة . قلت دهشة : « ولكن المقرر لايتضمن شيئا من هذا ». فأجاب ضاحكا :

ــ لنا أن نسأل الطالب ما نريد، فلم توضع الامتحانات الشفوية للمادة ، بقدر ما وضعت لاختبار سلامة الفكر واتقان اللغة ، فحدثينا اذن برايك فى الحب !

قلت ببساطة :

ــ الحب شىء جميل عظيم ، بل اجل واعظم ما فى الدنيا باجمعها ، وسعيد من يرعى الحب ويحفظه

قال راضيا : « والتضحية ؟ الا ترينها من مستلزمات هذه العاطفة الجميلة العظيمة ؟ » . قلت : « كيف ؟ » قال :

ــ لنفرض انك احببت رجلا يميل الى سواك ، افلا تحق عليك التضحية بقلبك من اجل سعادته ؟

قلت :

ــ لا ، ان التضحية مستعذبة فى الكتب ، لا فى الحياة الحقيقية ، ولو أننى احببت مثل هذا الرجل ، لفعلت المستحيل فى سبيل ابعاده عن الاخرى ، والاستئثار بقلبه دونها ، فلست ارى معنى لأن اشقى نفسى من اجل سعادة امراة سواى !

والهمنى شعور خفى باننى اخطات ، فالتفت حولى ، واذا بالاستاذ رشيد قد انتفخت أوداجه ، واحتقن وجهه ، ونهض وهو يقول بغضب :

ــ لا ، هذا كثير ، ان بدنى ليقشعر وانا اسمع فتاة مصرية مسلمة تدلى بهذه الاقوال الفاضحة !

وانسحب من الحجرة ، وشرر الاحتقار والاستنكار يتطاير من حوله . .

قال استاذى الاجنبى : « لا تعيرى كلامه اهتماما ، واستمرى فى حديثك صريحة جريئة » . ولكن تشجيعه لم يؤت ثمرته ، فقد تعكرت دمائى وتهاوت قدرتى على الصراحة ، فجعلت اجيب عن اسئلته وكاننى آلة تؤدى واجبها !

وانصرفت من اللجنة متخاذلة ، فلما مررت «بأحدهم» قال لى : « تعالى ، وحدثينا عن مبادىء الغرام والهيام ! »

ولم أحتمل مزيدا ، فاختطفت قبعتى، وعدت مسرعة الى منزلى هربا من بيت الجنون !

وقد نفرنى هذا الحادث بطبيعة الحال من الرغبة فى العودة الى

الكلية ، فضلا عن انني خفت ان اواجه الزوابع وحدى ، وقد عزمت زينب على قطع مرحلتها التعليمية للزواج . ولكن درجتى العاليةجاءت بلسما لجراح قلبى ، واملا فى خير المستقبل وصلاحه

●

اول يناير ١٩٣٤

غدا بريدى كبريد الوزراء كثرة وعددا ، ولكن من نوع مختلف ، فكل الرسائل التى اتسلمها غرامية حارة ، بعضها عربى ، وبعضها الآخر انجليزى او فرنسي أو لاتيني !

واظن انني بجراتي وسياستى التجديدية قد اسأت الى نفسى ، فظنني الرجال لقمة سائغة

ولست أدرى فى الحقيقة انا على حق ام ضلال، فقلبى يحدثنى بنبل مبادئى واهداف ، ولكن الدنيا باجمعها تصرخ فى وجهى غاضبة . وليس ادل على غضب الدنيا من تلك النبذ المتسلسلة التى تطبعها مجلات رخيصة ، همها الاول جمع المال على حساب سمعة مثيلاتى من الفتيات. وقد نجحت هذه النبذ فى جعل اسمى ــ كما قالت اميرة ــ مضغة فى الافواه .. وليس ادل على غضب الدنيا ايضا من تلك الرسائل التى اتلقاها ممن ينشدون قلبى

ولكن ما حدث امس ملأنى ثورةوغضبا. كنت اقرا فى حجرتى بالليل ، فاذا بالخادم تستدعينى الى التليفون . ولم أصدق اذنى بادىء الامر ، ثم عدت واقتنعت بأن محدثى هو الاستاذ « رشيد » فكانت مفاجأة لم انتظرها قط !

ولست أحب ان اكرر حديثه فى يومياتى ، ولكنى أكتفى بأن اقول اننى اسمعته قوارص الكلم ، وانبته تأنيبا شديدا على اطماعه فى طالبة اودعها العلم امانة بين يديه، ثم اقفلت التليفون وعدت الى حجرتى ذاهلة !

وكشفت لى هذه المكالمة عن حقيقة لم آكن ادركها قبلا ، وهى ان خشونته وصرامته وقحته ، لم تكن فى الواقع الا لونا من الترويض يسلس به قيادى فى الوقت المناسب . ولكن لا ، والف لا !

عجيب امر اولى الامر . انهم يفعلون المستحيل للتفرقة بيننا وبين زملائنا بدعوى خوفهم علينا من خطرهم .. اى خطر ينتظرونه من شباب غض ، لم يمارس الخطيئة ، ولم يعرف السوء بعد ! كل ما يطمع فيه زملاؤنا حب برىء يمنحهم القدرة على الاستمرار ، ويجمل اهدافهم فى الحياة .. لا ، ليس الخطر فى الطلبة ، ولكن فى قلة شريرة تندس بين من هم اعلى من الطلبة مكانة ومقاما !

●

١٢ مارس ١٩٣٤

كنت اظن ان الحياة قد هدأت بعد تقدم العام الدراسى الثانى . وكنت اظن ايضا اننى وضعت ــ دون قصد ــ مبادىء جديدة ، استتبت فى جو الكلية بعد ثورة

واحتجاج .. فالقراءة في الفصل، ومناقشة الموضوعات العلمية بصراحة ، وكشف الراس في الدرس ، قد غدت كلها حقوقا تستمتع بها الطالبات حتى المتزمتات منهن مثل أميرة ، التي هجرت أخيرا قبعتها ، وبادلت زملاءها التحية والحديث ، وسجلت في السفور والاختلاط رقما قياسيا !

هكذا ظننت ، فشاءت الاقدار ان تخيب ظني بتجربة جديدة قاسية .. كان ذلك منذ أيام عندما ذهبت للمرة الاولى العب التنس باشراف ممرن الكلية .. وبدا الممرن يلقى على تعاليمه ، فشغلت بتطبيقها عن تتبع ما حولي ، ثم حانت مني التفاتة ، فرايت العجب .. كان الطلبة قد تجمعوا حول الملعب أفواجا وأفواجا ، وهم يضحكون مني ويسخرون ، كما لو كنت قردا يسلي الجماهير بقفزاته الجنونية السخيفة . وتملكني شعور قوى بانني غدوت ذلك القرد ، فغلبني الارتباك ، وفقدت السيطرة على الكرة

ولو كنت فتاة أخرى، لانسحبت خجلة في الحال ، ولكن رذيلة الكبرياء المتأصلة في نفسي ابت ان استسلم للهزيمة ، فظللت العب ، والدقائق تمر على أجيالا متباطئة حتى انقضي وقت الدرس، فعدت الى الكلية هادئة الوجه ثائرة النفس

ووجدت السكرتير ينتظرني في البهو ، فلما رآني اقترب مني وقال بادب : « سمعت انك لعبت التنس هذا الصباح ، فأرجو الا تفعلي ذلك مرة أخرى »

وثارت مراجل غضبي، وركبني شيطان التحدي فقلت : « أفي قانون الجامعة ما يحرم على الطالبات ممارسة الالعاب الرياضية ؟ » . قال : « لا ولكن التقاليد .. » . فقاطعته مجيبة : « اذن فلا معنى للمناقشة ، وساستمر في رياضتي ، ولكم ان تطردوني من الكلية مع شكري وتقديري ! »

●

١٥ ابريل ١٩٢٥

وصلنا الى السنة الثالثة ، وما زلنا نعامل كالاطفال الصغار . ولو لم تكن في انظارهم صغارا لما اسمعنا العميد كل هذا الكلام

اهي جريمة ان ادعو الزملاء الى العشاء في بيتي ؟ لو انني جمعتهم بالبنات دون رقابة ، لكان هناك مجال لاساءة الظن ، ولكنني حرصت على دعوة عدد وفير من المدرسين وعلى راسهم استاذي الاجنبي وكانت دعوة ناجحة ، استمتعنا فيها بالاخوة البريئة والزمالة الشريفة ، باشراف الاساتذة ، الى جوار اهلي وأسرتي . ولكن خبر الدعوة وصل الى العميد مشوها ، فأرسل اليوم في استدعائي ، وقال لي : « احب ان تفهمي أنني ما دمت عميدا لهذه الكلية ، فلن تجد المساخر طريقا اليها » ! قلت لاهثة : « اي مساخر يا سيدي ؟ » قال :

ـ لا تتظاهري بالجهل ، فانت تفهمينني تمـــاما ، وأنا اعرف سيرتك كلها .. فبفضلك أنت خرج البنات عن المألوف، فاختلطن بالطلبـة ، وناقشن الموضوعات المستحبة وغير المستحبة ، ولعبن التنس على مشهد من الرجال . والآن تبدئين بدعة جديدة هى اقامة الدعوات ، مما يؤدى الى اختـلاط الجنسين فى غير حرم الجامعة !

قلت وقـد تحرك غضـبى : « اى جريمة فى أن أدعو زملائى الى بيتى باشراف اساتذتى وفى رعاية أهلى ؟ » قال :

ـ انها جريمة كبيرة لا تدركينها بحكم سنك المبكرة ، ولولا اننى أعرف من اى عنصر طيب تنحدرين لعاقبتك على ما تظنينه تجديدا ، وما اعتبره أنا وغيرى من العقلاء ثورة على أفضل تقاليدنا الشرقية

قلت وقد بلغت ثورتى اشدها :

ـ انكم تتحدثون عن جهودكم فى تنمية الروح الجامعية ، فى حين انكم تخنقونها بهذا التزمت الظالم . كيف تنتظرون ان يثمر التعليم المختلـط وأنتم تقسموننا الى معسكرين ، لا يعرف احدهمـا الآخر ؟

قال : « نحن ادرى منك بالروح الجامعية ، وحرصنا على نقائها يستدعى لفت نظرك ، فخذى حذرك ، واعملى بنصيحتى ، والا ندمت »

وامرنى بالانصراف ، فخرجت من حجرته والعرق يتصبب من جبينى .. وفى البهـو وجدت استاذى الاجنبى ينتظرنى ، فلما رآنى غاضبة ثائرة ، سألنى عما جرى ، فحدثته بما قاله العميد ، فسكت لحظة ثم أجاب : « كيف هذا وقد كنت ابحث عنك لادعوك وزملاءك الى العشاء فى بيتى ؟! »

قلت خائفة : « ولكن الكلية لاتريد »

قال باسـما : « ما لنا والـكلية ، ونحن لا نفعـــل الا ما يرضى ضمائرنا ! »

ونزلت كلماته على قلبى بردا وسلاما ، فامتلأت عيناى بدموع الشكر، واحسست أن العالم على سعته يضيق بآمالى وهذا الرجل يقف عضدا الى جانبى !

●

١٢ ابريل ١٩٣٦

هـذا عامنا الجامعى الاخير ، ولكنه عام العجائب والمعجزات ، ففيه تغيرت النفوس ، وفيه وقع ما لم يكن فى الحسبان . وليس أدل على صدق كلامى مما حدث .. فقد جاءنى سكرتير الـكلية منذ أيام يدعونى الى الاستعداد للعب التنس أمام آلة تصـوير شركة « القاهرة » للسينما ، وذلك لان الـكلية تعد اشرطة للدعاية عن أوجه نشاطها ونصيب الفتيات من النهضة الرياضية !

واليوم حدثت معجزة اخرى فقد كنت أوزع على زملائى رقاع دعوة الى العشاء لمناسبة قرب انتهاء حياتنا الجامعيـــة . وبعث العميـد فى استدعائى ، فذهبت الى حجرته خائفة ، ولم أزل أذكر ماحدث بيننا فى العـام الماضى .

ولكنه استقبلنى بثغر باسم وقال : « سمعت انك توزعين رقاع الدعوة لحفلة وداع تقيمينها فى بيتك » . قلت : « نعم فأنا على وشك أتخرج » . قال : « وقد احسنت صنعا بدعوتك ، ولكنك تجاهلتنى » . قلت : « أنا اتجاهلك؟ » . قال : « لماذا اذن لم تدعنى وانت تعلمين مبلغ تقديرى لكل اختلاط قويم ؟ » . قلت : « حضورك شرف عظيم ، فارجو أن تتقبل دعوتى الملحة » . قال : « شكرا لك ، وفى اى ساعة تحبين ان اجىء ؟ » . قلت : « فى الثامنة مساء وعنوانا كذا .. » .

واستأذنته فى الانصراف ، فودعنى الى الباب باسما !

●

١٠ ابريل ١٩٣٨

مضى على تخرجى عامان ، نسيت فيها او تناسيت تلك الحقبة التعسة من حياتى ، حتى خيل الى اننى نجحت تماما فى قطع كل صلة بالماضى ، ولكن الذكريات تسارعت الى ذهنى بشدة مباغتة وقوة مضاعفة !

حدث ذلك عندما تلقيت دعوة لحضور حفلة فى الكلية ، فلبيتها من باب الحنين . وكانت الحفلة مختلطة تتخللها آيات الاخوة الطاهرة بين الطلبة والطالبات . واشتركت البنات فى تمثيليات صغيرة بملابس حديثة زاهية الالوان ، ثم قامت مباراة فى التنس ، ابلت الطالبات فيها بلاء حسنا ، فكن كالغزلان يقفزن من مكان الى مكان « بالشورت » الذى يكشف عن جزء مذكور من سيقانهن اللدنة المستديرة !

واحسست وانا اقارن بين عهدى وعهدهن ، كأننى عجوز من القرن التاسع عشر ، بعثت من قبرها لترى مباهج المدنية الحديثة !

قلت فى نفسى اخاطبهن : « افرحن وامرحن ، فطريقكن معبد جميل ، تظله الورود والرياحين .. ولكن آه لو تعرفن اننى عبدته بسعادتى وهنائى ، وسقيت ازاهيره بدموعى واشجانى ! »

وطفح كأس الذكريات هذا الصباح ، عندما تسلمت خطابا مسجلا ، تدعونى ادارة الجامعة فيه الى الحضور لتسلم شارة ذهبية تقرر منحها لى اعترافا بجهودى فى تدعيم الروح الجامعية بين الفتيان والفتيات !

القيت الخطاب جانبا ، واقسمت الا اتسلم الشارة ، مادام صدرى غنيا بغيرها من شارات الذكريات !

اللهم اشهد اننى دخلت الجامعة طاهرة النفس شريفة المقاصد ، وخرجت منها ولم افقد من ارائى النبيل شيئا ، فان كنت قد تألمت ، فما ذلك لخطيئة اتيتها او جرم جنيته ، ولكنها ضريبة تدفعها الطلائع من اجل سعادة المجموع

وحانت منى التفاتة فرايت قردى العاجى راضيا مغتبطا ، فربت بيدى راسه شاكرة !

امينة السعيد

أزهار.. وأشواك

قيل لكنفوشيوس الفيلسوف الصينى مرة : « مارأيك فى مبدأ مقابلة العدوان والاساءة بالعطف والاحسان ؟ » . فأجاب قائلا : « اذا قابل المرء الاساءة بالاحسان فبماذا يقابل الاحسان ؟ ينبغى أن يعامل كل انسان بما تقتضيه العدالة ، وان يقابل العدوان بالعدوان والاحسان بالاحسان »

يتم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود فى هذا الشهر العام التاسع والستين من عمره المديد ، فقد ولد فى الرياض فى ديسمبر سنة ١٨٨٠ . وفى ديسمبر من عام ١٩٣٢ صدر مرسوم ملكى بتوحيد أجزاء المملكة النجدية وملحقاتها ، ومملكة الحجاز ، وامارة العسير ، وجعلها مملكة واحدة باسم المملكة العربية السعودية

لم تكن البطاطس معروفة فى مصر قبل عهد محمد على باشا . وهى تعد مصدرا طيبا لكل من فيتامينات «ب» و «ج» . وبها مقدار غير قليل من الفوسفور والكالسيوم والحديد . ولكن الانزيمات التى تهضمها تحتاج الى وسط قلوى ولذلك يستحسن عدم تناول الليمون أو الخل او الفاكهة الحمضية عند اكلها

زارت احدى السيدات مع زوجها احدى القلاع الاثرية فى اسكوتلاندا ، وقال لهما الدليل وهو يتنقل معهما فى ابهاء القلعة : « هذه القلعة ظلت سبعمائة عام لم تتناولها يد بتغيير أو تبديل » . فقالت الزوجة معقبة على ذلك : « ان صاحبها لايختلف كثيرا عن صاحب البيت الذى نقيم فيه ! »

من العادات المتبعة فى البرلمان الانجليزى ، انه فى يوم افتتاح الدورة الجديدة لمجلس العموم ، تتوجه ثلة من الحرس وهم يرتدون ثيابا من أزياء القرون الماضية وبيد كل منهم مصباح . لم يتقدمهم الى داخل المجلس رئيس التشريفات بقصر وستمنستر لتفتيش كل بهو من أبهائه وكل ركن من اركانه حتى المواقد والمداخن والانابيب وما شاكلها . وبعد الفراغ من مهمة التفتيش ، يقدم الحرس تقريرا الى الملك بخلو قاعة المجلس من كل « عدو أو خطر ! »

اسوة بامتحانات الشرف ، التى يترك فيها الطلاب بغير مراقب ، توجد مطاعم قليلة يحاسب فيها الآكل نفسه بدون رقيب . وهناك مطعم شهير فى مدينة « سيتل » بولاية واشنجطون ، يطلب فيه الشخص كل ما يريد من اطعمة ، ويعمل الحساب بنفسه ، ثم يضع النقود امام الصراف ويذهب لسبيله . ويوجد منذ زمن بعيد مطعم ذائع الصيت فى مدينة بروفيدنس بولاية رود ايلاند تملكه سيدة اسمها مسز « البرت ادريانيس » وهى تضع على المكتب آنية كبيرة من النحاس لكى يضع فيها « الزبون » ثمن ما اكل بعد ان يتولى وحده عمل الحساب ! وقد يلوح أن هذه مخاطرة ، ولكن الذى حدث ان آل ادريانيس قد اثروا من مطعمهم الى حد كبير !

فى مكتب أحد كبار رجال الاعمال فى الغرب لافتة علقت فى مكان بارز ، كتب عليها : « الذى يشتغل بيديه « عامل » ، والذى يشتغل بيديه وعقله « محترف » . أما من يشتغل بيديه وعقله وقلبه فهو « فنان »

ترى ماذا أسرت اليه الغزالة ، حتى انفجر باكياً ؟!

احيل اربعة رجال مثقفين الى المحاكمة، بتهمة الافراط فى السكر والعربدة فى طريق عام . وكان الحكم الذى قضت عليهم به المحكمة زيارة عدد كبير من معاهد التعليم العامة ، والقاء محاضرات على طلاب كل منها ، فى مضار السكر وعواقبه الوخيمة . وقد قوبلت محاضراتهم فى كل مكان بالحماسة والترحيب !

لاحظ صاحب «سرك» سرقة كميات من علف الحيوانات كل ليلة ، فكلف احد معاونيه بالتربص للسارق . وفى منتصف الليل ، شاهد فيلين يسرقان حزمتين كبيرتين من الحشائش ثم يسرعان الى حظيرتهما. ولما تبعهما الحارس بمصباحه ورآياه أضطجعا على الارض واغمضا عيونهما . ومع انه راح يضربهما بالسوط ليخرج الحزمتين من افواههما ، فقد ظلا يواصلان تظاهرهما بالنوم مدة طويلة !



اهى تسريحة جديدة أم « تورته »؟.. إنها « تقليعة » من باريس

اجرى اخيرا احد اساتذة علم النفس الامريكيين استفتاءا بين عدد كبير من شباب الجامعة ، ظهر منه ان ٣٧ ٪ من الطلبة لايوافقون على استعمال الفتيات احمر الشفاه ، وان خير الاعمال للفتاة فى رايهم هى بالترتيب : التعليم ، والتمريض ، والشؤون الاقتصادية ، والصيدلة ، وان متوسط السن التى يعتزمون فيها الزواج ٣٠ سنة ، وان متوسط عدد الاولاد الذين يرغبون فى انجابهم اربعة . اما الفتيات الجامعيات ، فقد وجد أن ٢٦ ٪ منهن لا يعارضن فى ان يدخن الشبان ، وان ٥٨ ٪ منهن يفضلن أن يكون أزواجهن اطباء ، و ٢٢ ٪ يردنهم مهندسين ، و ١٠ ٪ محامين ، والاخريات ذكرن مهنا مختلفة. وعندما سئلن عن العمر الذى يتمنين أن يتزوجن فيه ، كان متوسط الاعمار التى ذكرت ٢٥ ١/٢ سنة

يقول احد المتخصصين فى الامراض العقلية انه اذا كان الابوان مجنونين ، فانه يحتمل أن يكون ٦٦ ٪ من اطفالهما مجانين ، واذا كان أحدهما فقط ، الأب أو الام مجنونا ، فانه يحتمل أن يكون ٤٠ ٪ من النسل كذلك . أما اذا كان الابوان سليمين ، فان نسبة ظهور الجنون فى ذريتهما لا تتجاوز ١ ٪

منذ اربعين سنة ، كان فى بريطانيا ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ شخص تزيد أعمارهم على الستين . ويقدر عددهم الآن بنحو ٦٫٥٠٠٫٠٠٠ ويرى الاخصائيون ان عددهم سيبلغ فى عام ١٩٧١ نحوا من ٩٫٥٠٠٫٠٠٠

كان احد اساتذة كلية الطب يمر مع خمسة من طلبة السنة النهائية على المرضى بمستشفى الكلية . وكان يشرح للطلبة حالة كل مريض ، ثم يسألهم عن العلاج بقصد اختبارهم ، واتفق أن سألهم بعد أن شرح لهم حالة أحد المرضى وهم ملتفون حوله : « هل ينبغى أن نجرى جراحة لهذا المريض ؟ » . فأجابوا بالنفى . وعندئذ قال الاستاذ : « لقد أخطأتم . سوف اجرى لهذا المريض جراحة عاجلة بعد قليل » . فقفز المريض من فراشه وهو يقول غاضبا : « لا .. لن تجرى لي جراحة . لقد غيرت رأيي الآن .. لا بد من الاذعان لرأى الاغلبية ! »



استطاع هذا الحاوى أن يدهش المتفرجين بعد أن أغمد سيفه فى هذه السلة مرات ، ثم كشف غطاءها فاذا بها امرأة حية

جاء فى مقال لأحد علماء التربية الروس ، نشرته أخيرا احدى الصحف الروسية : « المهم تعليم الطلبة حب كل ما هو وطنى ، بحيث تذرف دموعهم فرحا اذا مر طيف الوطن فى الخيال . وبحيث يغلى الدم فى عروقهم — عندما يشبون عن الطوق — اذا مابدا لهم ، ولو فى حلم ، احتمال فقد وطنهم أو انتهاك حرمته . هذا هو أقل ما ينبغى أن تهدف اليه مهمتنا التربوية »



لم يهدأ حتى قربت من أذنه السماعة كي يصغي الى صوت حبيبته ويطمئن الى صحتها

درس احد العلماء المهتمين بالبحث فى تأثير الوراثة والبيئة فى عقل الطفل ونفسيته ، تاريخ احدى الاسر الامريكية ، فوجد فى ٢١٠٠ شخص منها : ١٨١ من مدمنى المسكرات ، و ١٧٠ متسولا ، و ١٢٩ عاطلا ، و ١١٨ مجرما . كما وجد أن ذكاء نصف أفراد الاسرة يقل عن المتوسط !

قال استاذ الرسم لتلامذته الصغار وهو يطوف معهم فى احد المعارض : « افرضوا ان النار اشتعلت فى قاعة المعرض ، وتهيأت لكم فرصة انقاذ خمس لوحات من الصور المعروضة هنا ، فما هى اللوحات التى تختارون منها ؟ » . فأجاب أحد التلاميذ على الفور قائلا : « اقرب اللوحات الى الباب ! »

نقص عدد سكان الامبراطورية البريطانية بسبب منح الاستقلال لعدة دول تابعة لها ، خلال العامين الماضيين ، من ٥٦٦ر٦٠٠ر٠٠٠ نسمة الى ١٤٥ر٧٠٠ر٠٠٠ نسمة . فأصبح عددهم يعادل تقريبا سكان الولايات المتحدة وتوابعها ، اذ أن عددهم ، حسب آخر احصاء ، ١٤٥ر٣٠٠ر٠٠٠

يعاني الالمان ازمة شديدة فى العقاقير بسبب توقف المعامل وانعدام الاجهزة الضرورية وعدم توافر المواد الاولية . وقد ابتكر علماؤهم اخيرا طريقة لاستخلاص البنسلين من بول المرضى الذين يعالجون بهذا العقار . فاصبحت المستشفيات – فى منطقة الاحتلال الامريكية – تحيل ابوال هؤلاء المرضى الى المعامل ، كي يستخلص منها العلماء الالمان البنسلين

تمكن اخيرا بعض علماء تشيكوسلوفاكيا من استنبات نوع من البطاطس يشبه التفاح فى مذاقه ، ويمكن اكله نيئا . ومن مزايا هذا النوع احتواؤه على نسبة عالية من فيتامين C وانه لا يفقد تاثيره بالغليان . وتصلح الاراضى الرملية لزراعة هذا النوع الجديد

لوحظ ان اضافة فيتامين C الى الاغذية المحفوظة والفواكه المثلجة يحول دون سمرة لونها مع مرور الزمن . ويرجع ذلك الى ان هذا الفيتامين مختزل قوى . ولذلك فانه يتحد مع الاكسيجين الموجود بالطعام او الفاكهة ، مما يقلل احتمال تغير لونهما

تدل الاحصاءات على ان الذكور تجرى لهم جراحات اكثر من الاناث بنسبة ١٥ ٪ ، وان ٦٠ ٪ من جراحات الاطفال تجرى لازالة اللوزتين ، و ٢٠ ٪ منها لازالة الزائدة الدودية

مر اعرابى بعامل يصنع سلة من سعف النخل ، فقال له : « هلا زدت فى سعفها بعض الشىء ؟ » فقال صانع السلال متعجبا : « ولم ؟ » . قال البدوى : « عسى أن يهدى لى فيها شىء ! »

يبلغ وزن الجلد فى جسم الانسان نحو ١٦ ٪ من وزن الجسم !

بالرغم من ان كثيرين من العلماء لا يتوقعون تغييرا كبيرا فى حجم اليد البشرية فى المليون سنة القادمة يشك صانعو القفازات فى صحة ذلك كثيرا ، لان مهندسى احدى الشركات الامريكية يقولون ان اكثر القفازات استعمالا قبل الحرب العالمية الماضية كانت رقم ٨ ، اما الآن فاكثرها استعمالا رقم ٥ و ٧

فى ٢ سبتمبر سنة ١٦٦٦ شب حريق فى منزل بمدينة لندن ، وظلت النيران متاججة ثلاثة ايام وثلاث ليال متواصلة ، اتت فيها على ١٣٢٠٠ منزل و٨٦ كنيسة ، وعدة بنوك ومستشفيات واربعة سجون فيها . وقد قدرت الخسائر بنحو ١١ مليون جنيه . اما الخسائر فى الارواح فانها لم تتجاوز ستة افراد !

« قد يأتي غاندى بين اعاظم المفكرين والساسة فى الصف الثانى اوالثالث ، ولكنه بين جبابرة الروح فى الرعيل الاول لامراء »



المهاتما غاندى

كتاب جديد للأستاذ عباس محمود العقاد

بقلم الأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

وجمت ، كالعقاد ، حين سمعت نعي غاندي . لا لأن الموت ليس حقا عليه كما هو حق على الخلائق اجمعين ، بل لأنه ـ كما يقول العقاد : « رجل وهب الهند حريتها ، فسلبته الهند حياته ، رجل اراد ان يمسح العدوان من ظهر الارض ، فمات معتدى عليه »

وتحيرت فى امر هذه الانسانية : يظهر فيها الانبياء والرسل والقديسون والمصلحون ، فيملأون الارض عدلا وخيرا ، ولكنها يظهر فيها ايضا امثال جنكيز خان ، ويزيد بن معاوية ، وهذا الـ «جودس» قاتل غاندي ـ وما اكثر امثال هؤلاء وما اشقى الدنيا بهم ـ فيملأون الارض ظلما وفسادا واضطرابا ، ويهوون بالبشرية الى الحضيض الاوهد

وما اظن الا أن الامر سيظل كذلك ، بين ارتفاع الى الاوج ، وهبوط الى الدرك الاسفل ، بضعة آلاف من السنين ، او بضع مئات الآلاف ، بل الملايين ، حتى يبلغ الجنس البشرى فى جملته الرشد . واحسب ان امثال غاندى من اصحاب الرسالات الروحية ، والدعاة الى السلام والمحبة والاخاء والمعدلة ، يسبقون البشرية بآلاف السنين ، او بعبارة اخرى بقدر بعدها او قربها من الرشد الذى لم تبلغه فى « جملتها »

وجاءت الانباء بان جثة غاندى احرقت ، وذرى رمادها فى النهر المقدس ، وذلك ولاشك اطهر ، وليت كل من مات يحرق ، فان من مات فقد انتهى امره ، ولا خير من « خزنه » فى التراب ليتم بلاه فيه ، وامتزاجه به . واى فرق فى النهاية بين احراق جثة ، واصارتها ترابا ، فى ساعة او بعض ساعة ، وبين دسها فى التراب لتصير اليه على الايام ؟ الا أن يقول عالم متحذلق ان الدفن اصلح للأرض واعون لها على

الخصب . كانما تزرع المقابر ، او كان الخلائق فى حياتها لا تزود الارض بما فيه الكفاية لاكساب الارض الخصب !

والفيتني اتساءل : غاندى كان . ثم هو الآن لا وجود له . لاشىء ، كانما لم تدب به الرجل على هذه الارض ، وكانما لم يكن صيامه اياما ، بل تهديده بالصيام ، يزعج الهندكلها ويردع العالم قاطبة ، فيسعى له زعماء قومه مستغفرين ، مستعطفين ، متوسلين اليه أن يعدل ويكف !

فما هذا الانسان : الذى يكون، ثم يموت فاذا هو « لاشىء » ؟ !

وتذكرت كتابا لقسيسي غاب عنى اسمه ، حشاه علما وتخريفا ، فأما الجانب العلمى منه ، فيبسط فيه الحقائق التى كشف عنها علم الطبيعة فى هذا الزمان . واما جانب التخريف ففى وصفه لما بعد الموت من مراحل التطور من حال الى حال فى الآخرة ، وهو يقرر ما يتخيل بلهجة الجزم كانما كان قد قطع تذكرة ذهاب واياب لرحلة بين العالمين ، او كانما اراد أن يقلد دانتي الذى قاس ابعاد الحجرات فى الجحيم بالمتر والشبر!

وانما ذكرت هذا الكتاب واسمه The wisdom of the overseli لأن قارىء القسم العلمى منه يخيل اليه ان هذا الكون المهول كله ، بكل ما فيه ليس مادة ، وانما هو نشاط منبعث من الكترونات ولا ادرى ماذا ايضا ، فانى لست من اهل العلم . اى اننا مظهر خادع ، نظن اننا شىء ، وما نحن بشىء ، وانما نحن حركة لا نشاط او « حسبة رياضية » كما يقول الاستاذ العقاد فى كتابه عن غاندى : « تدركها العقول ولا تتوقف على كثافة الاجسام » وعسير ان يقتنع الانسان المحس المدرك بأننا — فى حياتنا ومماتنا على السواء — « لاشىء » فى الحقيقة ، واننا لسنا سوى مظهر نشاط ، ولكنه العلم يظهر انه سيقرر ذلك وحينئذ تستوى الحياة والموت !

●

ولم اكن اتوقع ان يظهر كتاب للأستاذ العقاد عن غاندى بمثل هذه السرعة ، وان كنت لم استغرب ذلك ، فقد كتب عنه قبل عشرين سنة بحثا موجزا ، وكل ماجد من الحوادث بعد ذلك وما كان من سيرة غاندى ، جاء مؤيدا لرأيه فيه يومئذ . وقد استهل الكتاب بقصيدة له — للعقاد لا لغاندى — من الشعر الفلسفى الحكيم يقول فى مطلعها :

زاهد الهند نعى الدنيا وصام
أنا أنعاها ، ولكن لا أصوم
طامع الغرب رعى الدنيا وهام
أنا أرعاها ، ولكن لا أهيم
بين هذين ، لنا حد قوام
وليلم من كل حزب من يلوم

والذى لا يعرف راى العقاد الذى نشره قديما ، فى غاندى ، يستطيع حين يقرأ هذه القصيدة أن يتكهن برأيه فيه . ولقد انصفه اعظم انصاف واكرمه ، واحله محله الرفيع بين جبابرة العالم ، ولكنه لم يتجاوز عن مواطن

الضعف أو النقص فيه ، وعللها بما يجعلها تبدو طبيعية معقولة ، فهو يقول مثلا :

« فقد ياتى (اى غاندى) بين اعاظم المفكرين فى الصف الثانى او الثالث

« وقد ياتى فى الصف الثاني اوالثالث ايضا بين اعاظم الساسة وخطباء الجماهير

« ولكنه بين جبابرة الروح فى الرعيل الاول لا مراء »

ويقول فى موضع آخر: «ومثله بين المصلحين كمثل العازف الماهر الذى لايسمع وحده . ولكنه اذا سكت كانت كل فرقة موسيقية ناقصة بغيره

« ومكانه من العظمة انه يتمم هذا النقص

« وليس مكانه من العظمة انه خلا من كل نقص يعاب عليه

« وحسبه ذلك من مراتب الكمال التى تتاح للانسان »

●

ومن العسير تلخيص كتاب كهذا ، لا لضخامته ، بل لتشعب موضوعاته ، فهو يتكلم مثلا عن روح الهند ، وموافقة روح غاندى لها ، وعن نشاة الرجل ، وعقيدته ، وصلاته (بفتح الصاد) ثم يتناول بالبحث « الاهمسا » من الوجهة العلمية ، وثقافة غاندى ، وموقفه من الجيل الجديد ، ومن المراة ، الخ الخ . ولكنه لايتناول سيرة غاندى ليترجم له ، بل ليحلل شخصيته ، ويبين عناصرها . ويضع فى يدك مفتاح شخصيته ، ولايذكر من الحوادث التى وقعت له ، أو مما صدر عنه الا ماله فائدة فى التعريف بهذه الشخصية العظيمة . وقد سار فى كتابه عن غاندى على نفس النهج الذى آثره وانفرد به فى سلسلة « العبقريات » التى اخرجها .

فهو كتاب ادب وعلم وفلسفة وتاريخ ايضا ، لايقدر على مثله الا العقاد . ولست استغرب ان يعنى بغاندى ، فان للقيم الروحية عنده مقاما لايدانيها مقام . ثم ان له عناية خاصة ، لاشك ان القراء قد فطنوا اليها ، بشق العيون وفتحها ولو قسرا على صور البطولة ومظاهرها المختلفة ، واحسبه يريد فى قرارة نفسه ان يخلق لمصر والعرب جيلا جديدا فى ايامنا ، وقد بدات كتبه تحدث اثرها النفسى ، فضلا عن اثرها الادبى الذى بدا يظهر منذ اكثر من ثلاثين سنة

زاده الله من نعمائه ، ولاحرمنا بركة عبقريته ، و « عبقرياته ! »

ابراهيم عبد القادر المازنى



عندما يقف المحامى لاول مرة فى ساحة القضاء

مأزق حرج

بقلم الاستاذ حسن جلال

القاضى بالمحاكم المختلطة

لى صاحب يشغل اليوم مركزا من مراكز قضائنا العالى . ولكنه لاينفك يحدثني — كلما خلوت به فى جلسة خاصة — عن مأزقه التي وقع فيها كلما شرع يزاول عملا جديدا من الاعمال القضائية الكثيرة التى تقلب فيها

جلست اليه يوما فجرى بيننا الحديث عن مهنة المحامى بما لها وما عليها . فأثار هذا الحديث بعض ذكرياته القديمة . فرأيته يرجع فى كرسيه الى الوراء مستلقيا — شأنه كلما أراد أن يستعيد ذكر حادث من حوادث ماضيه . ثم بدأ يقص على حديث اول مازق فى مستهل حياته العملية — قال :

— بعد أن تخرجت فى مدرسة الحقوق — منذ أكثر من ثلاثين عاما — التحقت بمكتب احد كبار المحامين فى ذلك العهد . وكان له مكتب فرعى فى بلدة من البلاد القريبة من القاهرة يديره بالنيابة عنه فى اثناء غيابه وكيله هناك . فرأى ان يوفدني يوما للحضور بدلا منه فى القضايا التى ستعرض امام محكمة تلك البلدة لانه فى ذلك اليوم كان مشغولا بقضايا اخرى أكثر اهمية ستعرض امام دوائر محكمة مصر — ولما لفت نظره الى انى لم اقض فى مكتبه الا اياما معدودة ، وانى لم اذهب قط وحدى الى المحكمة ، ولم اقم بمرافعة ما فى اية قضية من القضايا اجابني فى خشونة :

— يا بنى انك لن تستطيع ان تتعلم السباحة وانت واقف على الشاطىء . وان كنت تطمع فى العوم فالق بنفسك فى الماء ! ..

قلت فى لجاجة الخائف المستميت :

— ولكنك لا تعلم الناس السباحة بالقائهم فى وسط المحيط مرة واحدة . ومن الصواب ان تبدأ بوضعهم أول الأمر قريبا من الشاطىء ! ..

قال ساخرا بغير اكتراث لما كان يبدو على من القلق والتبرم ازاء فكرة ارسالى وحدى الى المحكمة :

— ان هذا الذى تشير اليه حضرتك بسامى حكمتك هو الذى الهمنى تفكيرى المتواضع أن أعمله معك ! فانى لا القى بك فى وسط

المحيـط ، ولـكنى اخترت لك (بلاج) هـذه المحكمة الارضية البسيطة لتخبط فيه بذراعيك ورجليك ! . .

قلت فى استسلام وخضوع :

ـ انى اذهب يا سيدى نزولا على ارادتك . ولكنى غير مسئول عن مغبة ما يقع لى هناك ـ اقصد مايقع للقضـايا التى تكل امرها الى

قال فى فتور وهدوء :

ـ انى لا آكل اليك شيئا . فان لي هناك وكيلا يعرف كل صغيرة وكبيرة فى اعمال المكتب . وقد اتصل بي اليوم ليخبرني ان قضايا الغد ستعرض كلها للتأجيل لا للمرافعة ولا للمناقشة . ولهذا رأيت ان اكتفى بارسالك لتمثل امام المحكمـة بالنيـابة عني . . وستعرف انت من المكتب ارقام القضـايا واسماء الخصـوم ، ثم تقصـد الى المحكمة وتجلس فى قاعة الجلسـة وسط المحامين . وستسمع الحاجب بعدذلك ينادى باسم قضية من قضـايانا فتقوم انت من مجلسك بكل عظمة وتقول للقاضى بكل بلاغة : « انني ألتمس التأجيل » ثم تجلس مكانك كما كنت ، وتكون بهذه الطريقة قد اديت واجبك على اكمل وجه . فهل ترى نفسك بعد ذلك أيضا ملقي فى لجج المحيط أم متبطحـا فوق رمال الشاطىء ؟ !

فخجلت من نفسى ، ورأيتنى متسرعا فى كشـــف أوهامى وهواجسى ، وادركت انه كان من الخير لى لو تمهلت قليلا وظهرت امام استاذى بمظهر الرجل الكفء الواثق من نفسـه . فان ذلك كان ولا شك حريا بتحسين مركزى عنده وبث الطمأنينة فى نفسه الى ان هذا « المساعد » الذى ساقه الله اليه ليس من طينة « عبد المعين » الذى يتندر به العامة فى احاديثهم . وغصصت بريقى وانا أبلعه بعد ذلك البيان الذى شرح لى به استاذى ما سأقوم به من عمل هناك ، وانسحبت من حضرته على ان أسافر الى تلك البلدة فى الصباح

●

وعلى الرغم من الطمأنينة التى كان يبعثها فى نفسي شرحه لمهمتى هذه ، فانى لم انم تماما فى تلك الليلة . ولكنى ظللت بين النوم واليقظة ، افكر وانا نائم ، واحلم وانا يقظان ، حتى بدت خيوط الصبح الفضية الاولى فهببت من فراشى ، وتهيات للسفر فى سرعة رجال المطافىء وهم يلبون استغاثات الحريق ـ وكل ذلك حتى لا يفوتنى قطار الصبـاح مع أن موعد قيـامه بعد الثامنة بقليل !

●

وفى القطار قابلت صاحبا لى ، فسألنى عن وجهتى ، فقلت له فى فخار :

ـ عندى جلسـة فى بلدة . . !

قال :

ـ ولـكنى اراك لا تمسك فى يدك الا صحف الصباح . فاين قضاياك ؟

فعدت أحدثه بلهجة رجال الاعمال قائلا :

ـ قضاياى طبعا فى مكتبنا هناك ـ عند « الوكيل » ـ أنه رجل ماهر يعرف كل صغيرة وكبيرة فى المكتب ـ وما على حين اصل الا ان القى نظرة هنا ونظرة هناك لتصريف ما أعده لى من الاعمال، وللوقوف على موضوعات القضايا التى سنحضر فيها !

وسكت صاحبى. وكأنما اوحت الى هذه المحادثة بشىء من الثقة. فرايتنى مطمئنا فى مجلسى بعد القلق الذى كان يساورنى وانا فى طريقى وحدى بين منزلى وبين القطار

واخيرا وصلنا الى محطة وصولى . ولست ادرى كيف عرفنى وكيل المكتب الذى جاء لاستقبالى دون ان يرانى قط قبل ذلك . فلما سمعته يناديني باسمى وانا ما زلت فى نافذة القطار قبل أن يستقر فى محطته دهشت دهشة مصحوبة بشىء من الرضا والاطمئنان لأنى قلت بينى وبين نفسى :

ـ ان الانسان مع مثل هذا الوكيل الفطن يجب الا يخشى شيئا !

وسرت مع الوكيل الى المكتب اولا لألقى على الملفات تلك « النظرات » التى كنت احدث صاحبى عنها ونحن فى القطار ، فوجدت ملفات ضخمة لاتستوعبها « النظرات » ولكنها تحتاج الى دراسة ومعرفة عميقتين، فحولت « نظراتى » الى الوكيل استفسر منه كيف يمكن الحضور فى امثال هذه القضايا دون دراسة سابقة.

فقال الرجل فى شىء من البساطة « لتهوين الأمور » :

ـ انها كلها قضايا متفق بين الطرفين على ضرورة تأجيلها لأن بعضها كلفنا فيه بتقديم مستنداتنا ولم نوفق بعد لجمع هذه المستندات ـ وبعضها كان مؤجلا ليقوم الخبير المعين لفحص النزاع بتقديم تقريره عنه ـ ولما ينته الخبير بعد من اعداد تقريره . ولذلك لا مفر من موافقة المحكمة على طلبات التأجيل التى سنتقدم بها

وعلى الرغم من بساطة هذه الاسباب ووجاهتها ، فانى استعدتها منه مرة ومرة لاتقنها ، وابديها بدورى للمحكمة عن ثقة بصلاحيتها لتبرير طلبات التأجيل التى سافرت من اجل تقديمها !

وجاء وقت الذهاب الى المحكمة

فخرجنا من المكتب ـ الوكيل وانا ـ وانما ذكرت اسمه قبلى لأنه كان يسير امامى فعلا ليرشدنى ونحن فى طريقنا الى الدار التى كانت المحكمة تعقد جلساتها فيها . وكان هو يحمل فى احدى يديه قضايا المكتب ، ويحمل على ذراعه الاخرى « روب » الاستاذ المحامى الكبير الذى كنت ذاهبا لأمثله فى تلك الجلسة ، والذى كان على أن أستعمل « روبه » لأنى لم أكن اصطنعت لنفسى بعد « روبا » خاصا بى

ولما بلغنا غرفة المحامين ألبسنى الوكيل الروب الكبير ودفعنى الى

الغرفة لأنتظر فيها مع « زملائي » حتى يأذن حضرة القاضي بفتح الجلسة

ولم يطل انتظاري فقد جاءني الوكيل بعد قليل يقول :

ــ هيا يا أستاذ فانهم ينادون قضيتنا الأولى !

فقمت وراءه ، ودخلت قاعة الجلسة ، وجلست في مقاعد المحامين ، ولم أكد افعل حتى سمعت القاضي يقول :

ــ من هو المحامي الحاضر عن (فلان) المدعى ؟

فنظرت في الملفات التي أمامي فوجدت بينها اسم هذا المدعى ، فهببت واقفا وقلت :

ــ انا حاضر عن الاستاذ (ــ) عن المدعى

فقال القاضي :

ــ حسنا ! تفضل ترافع يا أستاذ !

قلت : لقد جئنا اليوم نطلب التأجيل

قال : وما سبب التأجيل ؟

فابطأجوابي عنه لاني في الواقع لم اكن قد تنبهت لضرورة كتابة ولو مذكرة صغيرة على كل ملف توضح السبب الذي من أجله تطلب التأجيل في موضوعه

ولكن ذلك الكاتب الفطن كان قابعا خلفي. فوسوس الى قائلا: « الخبيرلم يقدم تقريره» . فقلت للقاضي :

ــ يا افندم ! الخبير لم يقدم تقريره !

وكنت أعتقد ان هذا آخر مشاكلي بالقياس الى هذا الملف ، وان القاضي لن يجد أمامه مصرفا عن قبول طلب التأجيل ــ ولكني رأيت كاتب الجلسة يهب واقفا ليقول للقاضي وهو ينظر نحوي بجانب احدى عينيه

ــ ان الخبير قدم تقريره اخيرا وهو مودع في الملف

فكدت التفت ورائي التمس النجدة من « الوكيل » جهارا نهارا لولا اني اشفقت على نفسي من الحاضرين . وانتظرت جامدا في مكاني أترقب وصول هذه النجدة وصولاتلقائيا ، لأن الوكيل يعرف ولا شك انه اذا تركني وحدي في مثل هذا الموقف فاني سأظل على صمتي حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا !

ولكن النجدة لم تصل في موعدها . فاضطررت الى التطلع خلفي على مضض ، ولسوء حظي لم تقع عيني على الوكيل في مكانه. فكدت أسقط على الارض من هول المفاجأة. وتمنيت لواغمضت عيني ثم فتحتها لأرى نفسي في القاهرة من جديد بعيدا عن هذه المحكمة وقضاياها ، وعن جمهورها الذي بدات أنظاره تضرب حولي نطاقاكذلك الذي تضربه الاضواء الكشافة حول « الطائرة الغريبة»

وكأنما انكشفت حالي للقاضي ، وادرك ما انا فيه من حرج . ولعله لمح في وجهي الجديد عليه انه جديد ايضا على المهنة فتداركني برحمته قائلا :

ــ لعلك تطلب التأجيل يا أستاذ لتطلع على هذا التقرير الذي لم يقدمه الخبير الا في هذا

الاسبوع ؟ فانتشلنى بكلماته هذه ـ نشله الله ـ وتلقفت عذره هذا بكل جوارحي وصحت به :

ـ نعم . نعم .. انى اطلب التاجيل للاطلاع على هذا التقرير!

فرايته يميل على الورقة التى كانت أمامه وينطق بقرار التاجيل وهو يبتسم فى اكمامه ابتسامة خفية لم يفتنى مغزاها ، فانها افسدت يده عندى التى اسداها الي فى محنتي والتى كنت اعتزم حفظها له ماحييت .. ولم اكد استريح من اعقاب هذه الازمة الاولى التى صادفتنى فى جلستى الاولى حتى سمعت النداء باسم القضية الثانية من قضايا المكتب فى ذلك النهار ، فهببت واقفا من جديد ..

ورايت القاضي يوجه خطابه لى مرة ثانية قائلا :

ـ طلباتك يا استاذ ؟

قلت : اطلب التاجيل فى هذه القضية ايضا ، لان مستنداتنا لم يتم اعدادها بعد (وكنت قد تنبهت الي ان هذه القضية هي التى تنقصها المستندات) .



« رأيته يتقدم بالمستندات ساخراً الى منصة القاضى »

ولكنني لم أكد أفرغ من ابداء هذا الملاحظة حتى رأيت محاميا آخر على الجانب الثاني من المقعد الذي كنت أجلس فيه يهب واقفا في عصبية ظاهرة ليقول :

ـ يا حضرة القاضي . اني الفت نظر المحكمة بكل احترام الى مسلك خصومي معي . لقد كان طلبهم في الجلسة الماضية ان تؤجل الدعوى لتقديم هـــــذه المستندات الموعودة. وعلى الرغم من معارضتي الشديدة في تلك الجلسة والحاحي في ضرورة رفض طلب التأجيل لعلمي بأنه لا توجد تحت يدخصومي تلك المستندات المزعومة ، فانكم رأيتم أن تعطوهم فرصة اخيرة لكيلا تكون لهم علينا حجة بعد هذا الاجل. وقد انحنيت يومها أمام أرادتكم ، ولكني اليوم لا اسمح لنفسي أن ابقى العوبة في يد هؤلاء الخصوم ! اني مستعد للمرافعة واطلب الى المحكمة ان ترفض طلب التأجيل وان تكلف خصمي بابداء دفاعه الآن ! . .

كنت في مكاني استمع لهذه الثورة ، ولهذا الكلام المنطقي المعقول، لا كما يقف المحامي امام خصمه ، ولكن كما يتجمع الرجل المقعد تحت جدارتداعت قواعده وبدأت تتساقط اعاليه فتصيب رأس هذا العاجز وجسده حجرا حجرا . فلما انتهى من كلامه هززت رأسي كما لو كنت انفض عنه غبار تلك الاحجار التي أصابته . ولم ادر ماذا اقول . .

ونظر الى القاضي نظرة رحيمة اخرى جعلتني اغتفر له ابتسامته تلك التي كانت قد أحفظتني عليه. وقلت في نفسي : « لو انقذني هذه المرة ايضا فانى لن أنسى فضل هذا الرجل على مهما يسىء الى بعد ذلك ! »

ولم انس في محنتي هذه ذلك الوكيل اللعين الذي (وضعت بيضى كله في سلته) ـ كما يقول المثل الانجليزي ـ فتخلى عني وحطمه تحطيما . .

وبينما انا في مهب هذه الرياح المختلفة اذا بي أسمع صوته المبحوح يهمس بي من تحت كوعي : « ان المستندات حاضرة لاينقصنا الا وضعها في (حافظة) لتقديمها ! »

فالتفت اليه لفتة امتزج فيها يأسي منه بشكرى له ، ورأيت في يده اوراقا يلوح بهـــــا . فتشجعت . ووجهت خطابى الى المحكمة متجاهلا خصمي . وقلت وانا أصطنع كل ما عندى من الثبات :

ـ ان مستنداتنا حاضرة ـ ياحضرة القاضي ـ لاينقصنا الا وضعها في (حافظة) لتكون صالحة لتقديمها !

ثم التفت خلفي لفتة خاطفة واخذت الاوراق من يد الوكيل ، ولوحت بها في الفضاء لتكون شاهدا مفحما على صدق قولي وعلى فساد مزاعم خصمي ـ ذلك المحامي الآخر العصبي المزاج، السليط اللسان. فما راعني منه

الا أن تحداني لتقديمها كما هي الآن تفاديا من طلب التأجيل

فرايتني بكل سذاجة أبسط يدي بها اليه . فاختطفها منى ، وقلبها تحت عينه الفاحصة الخبيرة — لا كما فعلت انا حين قدمتها دون أن انظر الى ما فيها ثم رايته يتقدم بها ساخرا الى منصة القاضي ليلفت نظره الى ان هذه « المستندات » لم تكن الا لفافة من الورق الابيض بداخله مجموعة من صور « العرائض » القديمة أراد (الوكيل) الخبيث ان يموه بها من بعيد . وابيت انا ببساطتي وعدم خبرتي الا ان افضحه ، وأن أشترك معه في حمل فضيحته !

هناك سقط في يدي ، وادركت ان هذا سيكون آخر عهدي بمهنتي التي ظللت عمري أحلم بما سابلغه في ميادينها من شأو بفضل نزاهتي واستقامتي ، وكدت أشعر بجلد وجهي يسود وانا في مكاني — من سوء اثر هذه الصدمة ، فان الدم احتقن في راسي وادركت ان « سواد وجه الكاذب » ليس الا رمزا صحيحا لتصاعد الدم الازرق الفاسد الذي يشيع في وجهه عندما يضبط متلبسا بكذبته

ولكن ذلك القاضي الكريم تدخل في الوقت المناسب — شكر الله سعيه وجزاه عني خير الجزاء — فانه اخذ الاوراق من يد المحامي الآخر وردها الي في سماحة ولطف قائلا :

— أطلب الى المحامي الاصيل — بالأستاذ — ان يراجع مستنداته قبل ان يقدمها للمحكمة . وساعطيكم اجلا اخيرا ليقدمها هنا بنفسه في الجلسة القادمة ، وليحضر ايضا في بقية قضاياه — فاعطني اسماء موكليكم في بقية القضايا لاضعها كلها في جلسة واحدة تيسيرا لكم وحتى يستطيع الاستاذ ان يخصص لها يوما يحضر فيه بنفسه !

●

قال صاحبي وهو يسترسل في سرد تفصيلات ذلك اليوم المشهود :

— وكنت قد بلغ مني الحرج والضيق مبلغا جعلني ارحب بهذا الحل السعيد . دون ان اعير كبير اهتمام لذلك المعنى المؤلم الذي تنطوي عليه كلمة « بنفسه » التي رأى القاضي ان يكررها في مواجهتي مرتين . فاعطيته البيان الذي طلبه ، وانتظرت ريثما أخرج من قاعة الجلسة لالقى في وجه (الوكيل) بسوط سبابه السوداء ، وبتلك الوريقات الزائفة البيضاء . وركبت أول قطار يعود الى القاهرة لأبحث عن مكتب محام جديد يرضى أن ألقى مبادىء السباحة على يديه هو لا على يدي مثل ذلك الوكيل الاحمق الذي راى ان يذود عن وجهي ذبابة عابرة فحطم راسي بحجر . والذي رآني اغرق فوضع في يدي اغلالا أثقل من الحديد وهو يحسب انه يقدم لي منطقة من مناطق النجاة !

حسن جلال



قصة عن الكاتب الامريكى المعاصر جورج لوفريدج

بقلم الأستاذ حلمى مراد

- ١ -

اقترب موعد دق الجرس ايذانا بانتهاء الدرس الاخير فى ذلك اليوم ، وبدأت التلميذات يتململن ويتهامسن .. فألقت عليهن المدرسة البدينة العجوز « مس ويليامز » نظرة صارمة من فوق نظارتها ، وقالت بصوتها الجاف الذى لا يخلو من عطف مستور :

ــ ان الجرس لم يدق بعد .. والدرس لم ينته !

فخرست الاصوات واطبق على الغرفة السكون ..

ثم أردفت المدرسة :

ــ على التلميذة « مارتا أنيو » أن تبقى بعد موعد الانصراف

وعادت العجوز تنحنى على الورق الذى امامها وتكتب . وبعد لحظة دق الجرس ، فانطلقت الصبايا دفعة واحدة يتدافعن ويتزاحمن على باب الخروج .. عدا « مارتا » التى مشت بخطى بطيئة الى منصة أستاذتها ثم وقفت تنتظر ، ممسكة بكلتا يديها بالحقيبة التى احضرت فيها غداءها فى الصباح ..

كانت مارتا صبية فى الثانية عشرة ، ذات وجه دقيق ، وشعر اسود ، وعينين ساهمتين .. وحين القت اليها استاذتها بذلك التنبيه الجاف لم تفهم مارتا سببا لاستبقائها بعد انصراف زميلاتها ، فانها لم تفعل شيئا تستحق المؤاخذة عليه .. فما الامر اذن ؟ !

فرغت مس ويليامز من الكتابة فجففت ما كتبته بنشفة خضراء ثم ازاحته جانبا ونظرت الى مارتا .. وابتسمت ، قائلة :

ــ مارتا .. انك غير مجدة فى دراستك هذه السنة ، وهذا يدهشنى ، فلقد سمعت من مدرساتك فى السنوات الماضية ثناء عاطرا عليك .. فماذا دهاك ؟

لم تجب مارتا بكلمة !

وعادت المدرسة تسأل :

ــ هل تجدين صعوبة فى فهم دروسك ؟

ــ كلا ..

ــ اذن ما السبب ؟

ــ لست ادرى ..

ثبتت مس وليامز نظارتها على انفها ، وراحت ترقب الصبية عن كثب . ان بها شيئا لا تستطيع المدرسة تحديده ، شيئا يجعلها منطوية دائما على نفسها ، واميل الى الاجفال والانزواء .. شيئا يوحى بانها غير ناعمة البال .. ترى ما هو ؟ .. ان ثياب الصبية نظيفة لائقة ، فما هى اذن علة ذلك الانطواء والشرود ، ونحول الوجه ، وذلك الطابع الحزين الذى لا يبدو طبيعيا على صبية فى الثانية عشرة ؟

اخيرا حزمت مس وليامز امرها ، فقالت تضرب على وتر آخر :

— مارتا .. هل هناك ما ينغص حياتك فى البيت ؟
فهزت الصبية رأسها نفيا ..
— لا شىء مطلقا ؟
— أبدا ..
وأردفت قولها بنظرة صريحة وجهتها الى مستجوبتها .. فاستطردت هذه :
— حسنا .. لقد ظننت ان هناك شيئا على غير ما يرام ، لان جميع درجاتك فى العام الماضى كانت خيرا منها اليوم .. فضلا عن ان « مس هيث » قالت انك كنت من أذكى تلميذاتها ، وأنا واثقة انك مازلت كذلك ، لو أوليت واجباتك المدرسية مزيدا من العناية والالتفات .. فهل تعدينني بذلك ؟
— نعم ..
— حسنا جدا .. تستطيعين الانصراف الآن . واذا حدث لك ما يضايقك فصارحيني به فورا .. فقد أستطيع مساعدتك
أومأت الصبية برأسها موافقة ، ثم عادت الى مقعدها فجمعت كتبها وانصرفت من باب الغرفة الخلفى بغير أن تنظر الى الخلف ، جهة منصة التدريس .. ثم مضت بخطى حزينة بطيئة فى الممر الخارجى الطويل ، الساكن ، حتى بلغت السلم فهبطت درجاته الحجرية الى الطابق الاسفل ، حيث مرت بحجرات الدراسة الفارغة الصامتة ، المليئة بالمقاعد الشاغرة .. عبر ممر آخر طويل ، فسلم آخر ذى درجات عريضة من الجرانيت ، هبطتها وحدها ساهمة ، بعد أن كانت قبل لحظات مسرحا لاندفاع مئات التلميذات وتزاحمهن وضجيجهن ..
وفى النافذة العلوية وقفت مس وليامز ترقبها فى تأمل .. بدت الصبية من ذلك الارتفاع الشاهق أصغر حجما وأدق جسما ، وهى تعبر الفناء الكبير حاملة كتبها وحقيبة طعامها .. ترى ماذا يمضها ؟.. كم تتوق المدرسة الى معرفة سر شجنها ! ..
عندما كانت مس وليامز فى شبابها كانت تتولى التدريس فى مدرسة صغيرة من مدارس الاقاليم ، تحتشد تلميذاتها جميعا فى حجرة واحدة ، فكانت تعرف كلا منهن جيدا ، وتعرف أسراتهن ، وأسلوب المعيشة فى بيوتهن ، وأحوالهن المالية والعائلية .. أما الآن ، وهى فى مدرسة يربو عدد تلميذاتها على الالفين ، من كافة الطبقات والبيئات ، فمن المستحيل عليها أن تحيط بظروفهن ، بل بأسمائهن .. وانما هن بالنسبة لها غريبات تماما ، وهى غريبة فى انظارهن
ورأت مس وليامز « مارتا » تدلف الى الطريق العام ، ثم تختفى فى زحمته ، وحيدة بلا حول ولا طول وسط حشد من السيارات المندفعة بأقصى سرعتها .. فتنهدت العجوز اشفاقا على الصبية ، وهمست

لنفسها تقلب المسالة على وجوهها :
ـ من يدرى ، ربما لايكون فى الامر شىء .. وربما يكون فى الامر كل شىء .. فما أخطر ما يدور احيانا فى قلوب الاطفال وعقولهم !

- ٢ -

مضت مارتا فى الطريق متنقلة من حى الى حى .. كانت البيوت كلها فى بداية الشـارع أنيقـة تحيط بها حدائق صـغيرة ، تزدهر حشائشها وتلمع فى ضوء شمس أكتوبر المشرقة .. ثم تلتها بيوت اقل اناقة ، بعضها له حدائق وبعضها الآخر خلو منها .. ثم بيوت ليس لأى منها حديقة او شـبه حديقة .. ثم منطقة من الشارع تصطف على جانبيها دكاكين صغيرة ذات ابواب ونوافذ قذرة .. ثم منطقة المصانع والمبانى التابعة لها ، التى تمتد بحذائها ـ وراء سور عال ـ قضبان السكك الحديدية .. وأمامهـا الى اليسـار مساكن متواضعة كساها دخان القاطرات الذاهبة الآيبة سواد الفحم .. وخلف كل مسكن منها فناء حقير مقفر من الحشائش او الازهار ، يطل عليه من كل طابق حبلان ممتدان بين ساريتين ومعدان لتعليق الثياب المغسولة

فى اتجاه تلك المساكن اخذت الصبية طريقها ، وفى راسها اكثر من فكرة تشغل بالها : فكرت فى أن اخاها « شارلى » ، الذى فى العاشرة ، ربما قد عاد من المدرسة ثم خرج الى الشارع ليلعب مع الصبية بغير ان يغير ثيابه النظيفة .. ثم فكرت فى العشـاء الذى عليها أن تعده لأبيها .. لقد قضت فترة الدرسين الاخيرين باكملهما منصرفة عن تتبع دروس الموسيقى والعلوم الاجتماعية الى اجراء العمليات الحسابية فى ذهنها بخصوص بطاقات التموين ، وهل تكفى للحصول على لحم وزبد للعشاء أم لا تكفى ، فان صحف الليلة السابقة كانت قد اعلنت عن اجراء تعديلات فى قيم البطاقات ، الأمر الذى خلق لهـا مشكلة جديدة ، برغم براعتها فى الحساب

كان والدها يشتغل فى الليل .. وكان عمله يبدأ فى الساعة السادسة مساء ، فكان عليه اذن أن يتناول عشاءه فى الخامسة ، بعد عودة ابنته من المدرسـة بوقت قصـير .. فليت مس وليـامز تعنى بشؤونها الخاصة . وتكف عن التدخل فى شؤون الصبية وتأخيرها ـ باستجواباتها اللحوحة ـ عن العودة الى البيت

عندما وصلت مارتا فى تفكيرها الى هـذا الحد ازاحت خصلات شعرها الى الوراء فى ضيق وتبرم ، واسرعت فى سيرها .. وحين بلغت الصف الاول من المساكن المتواضعة لمحت اخاها فى الشـارع يركل كرة القدم مشتركا فى اللعب مع نفر من اصحابه ، فهتفت به :
ـ شارلى ، تعال هنا ..

وبرغم المسافة التي بينهما ، فقد استطاعت أن تميز ثيابه فترى انه لم يبدلها بعد العودة من المدرسة ، وانه يلعب الكرة فى الشارع القذر بالبنطلون البنى الجديد الذى اشترته له منذ اقل من اسبوع .

وأجابها شارلى من مكانه :

ــ لماذا تريديننى أن أحضر ؟

والواقع انه كان يعلم جيداً لماذا تناديه اخته .. فعادت تصيح به :

ــ اقول لك تعال ..

فصاح بها بدوره :

ــ كلا ، لن آتى ..

ترددت لحظة بين أن تطارده حتى تمسك به وبين ان تهمل أمره ، فهداها تقديرها الى انها لن تستطيع اللحاق به بحال ، ومن الاسلم لكرامتها ان تتجاهله ، فاستدارت ودلفت من فتحة كسر بابها وخلع منذ زمن بعيـــد ، مارة فى ممر معتم طويل تفوح فيه روائح الثوم والتبغ وأشياء أخرى ذات روائح كريهة .. لكنها لم تعبأ بذلك كله ، فقد اعتادته طيلة ثماني سنوات . والرائحة الوحيـدة التي لحظتهـا وتأففت منها هى رائحة دخان الفحم المتصاعد من القاطرات ، لأنها لم تكن تفوح على الدوام مثل بقية الروائح

صعدت مارتا درجات السلم المعتمة الضيقة الى الطابق الثانى ، فالثالث ، حيث أدارت أكرة باب فى مؤخرة البيت ، فوجدته مغلقا ، مما يعنى أن والدها لم يعد من الخارج بعد .. وكانت تعرف أنه اعتاد قضاء هذه الساعة من كل يوم فى حانة صغيرة مجاورة للبيت ، يحتسى بعض أقداح من البيرة ويتحدث مع من يصـادفه فيها .. لــكنها كانت تعرف أيضا أنه لم يكن يثمل قط ، فهو لايغنى ويتشاجر ويقسم الايمان المغلظة ويحطم حاجز السلم بفأسه .. مثل جاره « مانجفللى » الذى يقطن الطابق الاوسط

دست الصبية يدها فى صدر ثوبها فأخرجت منه مفتاحا مربوطا بشريط أحمر ، فتحت به البـاب ودخلت .. كانت الغرف مكتومة فاسدة الهواء ، وكانت الشقة مكونة من ثلاث غرف .. مطبخ يقود الى شرفة صغيرة تطل على فناء السكة الحديد ، وغرفة ينام فيهـا أبوها وأخوها شارلى ، وأخرى تنام فيها هى .. وقد سرى هـذا النظام منذ ماتت أمها ، اما قبل ذلك فكان شارلى يشارك اخته غرفتها ، والام تشارك الاب غرفته

وضعت مارتا كتبها فوق منضدة صغيرة ، ثم فتحت نوافذ الغرف الثلاث ، واطلت من نافذة المطبخ على عربة بضائع من نيويورك كانت فى طريقها الى « بوستون » فلوحت بيدها تحية للسـائق ، لــكنه لم يرها .. كان يندر أن يراها السائقون ، نظرا لارتفاع نافذتها ، لكنهم فى كل مرة كانوا يرونها فيها يردون لها تحيتها شاكرين

وقفلت بعد لحظة متراجعة من النافذة واتجهت الى غرفتها لتجلب كيس النقود الذي تنفق منه على المنزل ، وكانت تخبئه بين صفحات كتاب للقصص الخرافية موضوع فى أحد ادراج دولابها .. توقفت هناك لحظة تتأمل صورة صغيرة لأمها معلقة فوق الدولاب .. كانت الصورة لامرأة نحيفة الوجه ، ذات عينين ساهمتين لا تستطيع العين ان تفلت من اسارهما بسهولة ، وان كانت الصورة على وجه العموم لا توحى للغريب ـ الذى يراها لاول مرة ـ بجمال صاحبتها .. اما لو اتيح له أن يعرف اى نوع من النساء كانت ، وانها لم ترفع صوتها يوما بالشكوى أو التذمر من حياتها ، اذن لاطال وقفته أمام صورتها ، كما فعلت مارتا .. فقد كانت مارتا تعرف كل شيء . بل لقد حضرت وفاة أمها ، فى الغرفة ذاتها التي يحتلها ابوها وشارلى الآن .. رأتها تحتضر باسمة الثغر ، فى سهولة ويسر .. وكانت فى الرابعة والثلاثين !

وقال الطبيب يومئذ : « انها نامت ، اضناها التعب فاحوجها الى قسط من الراحة » .. ثم أردف عبارته بوضع احدى يديه فى رفق على رأس مارتا ، واليد الاخرى على رأس شارلى ، ورمى اباهما « سيد أجنيو » بنظرة ثابتة ذات معنى ، ردها له هذا فى مرارة .. !

واعتمادا على كلام الطبيب توقعت مارتا أن ترى امها يوما ما ، حين تصحو من رقادها .. وأيد الاب كلام الطبيب فوعد ابنته وابنه بيقظة امهما بعد حين .. ولم تستطع الجنازة ولا الحفرة التى فى الارض التى يدعونها بالقبر ان تزعزع يقين الصبية فى عودة امها .. فقد كانت مارتا يومئذ طفلة تتعثر فى عامها العاشر ! .. وحتى فيما بعد ، حين عرفت الصبية حقائق الامور ، ابت ان تطلق حلمها القديم ، فقد احست بغريزة الاطفال شيئا ينساه الناس عادة حين يكبرون ، هو أن الاحلام وحدها هى التى تتحقق ! .. وهكذا خبأت مارتا فى أعماق عقلها المشوش المضطرب فكرة ان الموت نهاية لارجعة فيها ، واحتلت محلها حفيظة وموجدة على الدنيا باسرها

لكنها فى بعض الاحيان ، كحالها اليوم ، كان ينتابها ضيق ونفاد صبر ، فتحس أنها لن تستطيع تحمل غيبة امها ساعة واحدة أخرى ، فلقد طالما حاولت ان تأخذ مكانها وتدير شئون البيت على ما يرام ، لكن كل شيء فى هذه الايام الاخيرة خاصة أخلف ظنها ومشى على رأسه ، مقلوب الاوضاع .. كانت أحيانا تستيقظ متأخرة فلا يتسع لها الوقت لاعداد طعام الافطار والغداء لها ولشارلى قبل أن تمضى الى المدرسة ، فضلا عن ترتيب أسرة النوم .. وأحيانا اخرى كان شارلى يحدث ضجيجا يوقظ اباها ، فينتهرها هذا على عدم اسكات أخيها وجعله يلتزم الصمت .. وبرغم هذا لم تكن تغضب من أبيها حين ينتهرها ، فانها كانت تعلم انه يعمل جادا طوال الليل فى المصنع وانه فى حاجة الى النوم فى النهار ، ومن ثم تلتمس له الاعذار .. لكنها

لم تكن تمنع نفسها أحيانا من ان تلومه فى سرها لأنه لم ينتهر شارلى نفسه بدلا منها ! ..

واليوم .. ذهبت الى المدرسة متعبة بعد ان قامت بواجبات البيت ، فأدركها النعاس فى حصة اللغة الانجليزية ، ثم امتحنت فى الحساب فكانت الدرجة التى حصلت عليها ٥٠ من مائة ، وهى اقل درجة حصلت عليها فى تاريخها .. واخيرا زاد الطينة بلة أن احتجزتها مس وليامز بعد موعد الانصراف وأنبتها بكلامها المسموم .. فهل تلام الآن اذا فاضت الدموع من عينيها تأثرا وهى تفكر فى هذا كله ؟

جففت مارتا دمعها ، ثم اخذت كيس النقود وبطاقات التموين ومضت الى حانوت البقال .. كانت الساعة قد بلغت الرابعة .. وكان شارلى وانداده ما يزالون يلعبون فى الشارع ، فتوقفت عندهم لحظة وامرت شارلى ان يعود الى البيت ويبدل بنطلونه .. فلم يكد اخوانه يسمعون هذا حتى ضجوا بالضحك والسخرية صائحين :

ـ شارلى ، عد لتغيير بنطلونك .. اختك تقول انك يجب أن تعود لتغيير البنطلون .. غير بنطلونك يا شارلى .. !

وهكذا قطعوا عليه سبيل اطاعة امر اخته ، حتى لو أراد .. فما بالك وهو لم يرد .. !

وصاح بها :

ـ اذهبى من هنا .. اذهبى الى الجحيم

ـ شارلى .. فكر فى انى سأقول لأبى ..

فصاح بقية الصبية ساخرين :

ـ سأقول لأبى .. سأقول لأبى ..

فمضت الى الحانوت منكسة الرأس ، وضجيج الاولاد وسخريتهم يثقبان اذنيها ويتبعانها ..

وابى البقال « ساندرسون » أن يعطيها اى قدر من الزبد .. لم يعطها سوى قطعة من السجق .. وابتسم وهو يراها تقتطع نصيبه من البطاقات وعلى وجهها هيئة الجد .. فقال لها :

ـ أتعرفين كم بطاقة يجب أن تعطينى ؟

فهزت رأسها بالموافقة بغير أن تبتسم ..

وفى هذه المرة حين مرت فى عودتها بصبية الشارع تجاهلتهم .. لكنهم صاحوا وراءها هازئين :

ـ سأقول لأبى .. سأقول لأبى ..

ولم يكن فى عزمها أن تقول لأبيها حرفا ، لسبب واحد هو علمها سلفا انه لن يفعل او يقول شيئا لشارلى .. فكل ما يفعله شارلى كان فى نظره سليما لا غبار عليه .. وحتى حين كان يؤنبه تأنيبا خفيفا بين

وقت وآخر كان الصبي يعرف انه لا يعني ما يقول ! .. واحيانا كان يحدث أن يوصي الأب ابنه بالذهاب الى الحانوت حين تريده مارتا ان يحضر لها شيئا .. لكنه لا يذهب قط ، وأبوه لا يعنفه او يضربه قط .. فما جدوى شكوى الصبية لابيها من شارلي ؟

- ٣ -

لم يكن لدى الصبيـة وقت حتى لغسل الاطبـاق المتخلفة من الافطار .. فوضعت قدرا مملوءا بالماء على موقد البترول والهبت ناره بقدر ما استطاعت .. لماذا لم تفكر في وضع الماء على النار في فترة ذهابهـا الى الحانوت ، كي توفر بعض الوقت ؟ .. ان متاعبهـا لن تنتهي ، ووقتها كله ضائع في الجد والعمل .. وحتى لو وجدت بعض الفراغ فليس في مقدورها أن تضيعه في اللهو .. في العـام المـاضي تسللت ذات ليلة بعد العشاء الى احدى دور السينما ، لـكنها ظلت طيلة الوقت وهي قابعة في الظلام تفكر في ان اخاها شارلي لن يستطيع المضي الى فراشـه وحده ، وانه قد يصاب بسوء في غيبتها ، وانها نسيت أن تغلق عليه الباب بالمفتاح كيلا ينزل الى الشارع ، وانها لم تضع فطيرة كعك في سلة عشاء أبيها .. الخ .. فلم تر أو تفهم من الفيلم شيئا ، وقبـل ان يعرض نصفه تركت السينما وعادت الى البيت لتتدارك اخطاءها ونسيانها .. فوجدت كل شيء في احسن حال .. حتى شارلي كان في فراشه مستغرقا في اشهى نعاس ، الامر الذي لم يحدث له بمثل هذه السهولة من قبل .. ! ومنذ تلك الليلة لم تدخل السينما مرة اخرى

وفيما كانت تنتظر غليان الماء فكرت ان تصلح اسرة النوم ، لكنها احست بعجزها عن الوقوف على قدميها .. فارجأت ذلك الى ما بعد العشاء ، أما الآن فهي في أمس الحاجة الى دقيقة أو اثنتين تستريح فيهما .. فجلست امام نافذة المطبخ واطلت على الافق الذي امامها ، حيث كانت الشمس تنحدر نحو المغيب وراء ابنية المخازن والمصانع .. وشرد فكرها برغمها الى امتحان الحساب . كيف امكن أن تحصل على مثل هذه الدرجة السيئة فيه ؟ وماذا كانت تقول امها لو عادت الى البيت ، أو لو لم تبارحه قط ؟ .. نظرت الصبية الى الارض خجلا .. وكان المـاء قد بدأ يغلي ويحدث صـوتا ، فنهضت مارتا وغسلت الاطباق ثم جففتها وأعدت المائدة .. وبعد ان وضعت الخبز على طبق بدأت تقطع السجق الى شطائر صغيرة كي تشويه على صفيحة الشواء .. ثم قسمته الى ثلاثة أجزاء : جزءين كبيرين لابيها واخيها وجزء متوسط لنفسها ، فقد علمتها امها أن تقنع دائما باقل نصيب من كل شيء ، كما كانت تفعل هي !

وانها لقانعة بالحياة المقبضة التي فرضها عليها ابوها ، الحياة الحافلة

بالمتاعب ، المجردة من الملذات .. فهو يبخل عليها حتى بجهاز صغير للراديو يؤنس وحدتها ، برغم ان ذلك في ميسوره الآن بفضل المرتب الكبير الذى يتقاضاه عن عمله .. وقد أوضح ذلك كله للصبية غداة موت امها بصراحة تامة . قال لها انه مضطر للبقاء فترة أخرى من الزمن في هذا البيت المتواضع ، بالرغم من تحسن موارده المالية ، لانه يريد ان يدخر ثروة صغيرة للطوارىء ، بعد أن علمته دروس الحياة أن يقدر قيمة كل درهم من النقود .. وأردف كلامه للصبية بسرد صفحة من ماضيه القديم لها .. لقد ادركه اليتم وهو في الرابعة من عمره ، وكان في قرية صغيرة من قرى ولاية « نيو انجلاند » ، فلما بلغ الثامنة اضطرته ظروفه لأن يكسب قوته بنفسه فاشتغل عند فلاح كان يضطره للنهوض من نومه في الساعة الرابعة صباحا كي يحلب اثنتى عشرة بقرة !.. ولم يكن يملك في ذلك الحين حذاء ينتعله ، وكان ينام في غرفة رطبة شديدة البرد في الشتاء .. ويجر عربة المزرعة المحملة بالاثقال ، ويقطع الاخشاب بالمنشار .. وحين ادخل المدرسة كان يمشى كل يوم على قدميه خمسة أميال حتى يصل الى مقرها ، ويقطع المسافة ذاتها في الاياب ! .. وعند ما بلغ الرابعة عشرة رحل الى المدينة حيث تعلم الاشغال الصناعية في احدى « الورش » ، وكان يتقاضى بنسا واحدا مقابل العمل الذى يستحق ريالا كاملا .. وهكذا شق طريقه في الحياة بنفسه ، بغير معونة أو عطف من أحد .. وكان اهم ما يفخر به انه لم يقترض يوما درهما واحدا من انسان أو يقبل أن يكون مدينا لانسان .. اللهم الا حين مرضت زوجه فصار مدينا للطبيب ثم .. للحانوتى ! .. وربما لو كان قد استدعى لها الطبيب مبكرا عاما أو بضعة اشهر لكانت .. ولكن لا داعى للتفكير في هذا الذى مضى وانقضى .. وهو فعلا لا يكاد يفكر فيه الا فيما ندر!

لقد تزوجا قبيل ازمة سنة ١٩٣٠ مباشرة .. فعرفا كيف يبيتان احيانا على الطوى ، فلا يجدان طعاما لنفسيهما وأطفالهما .. وكيف يعيشان في بيت حقير ، ويلبسان ثيابا ثقيلة تقيهما غائلة برد الشتاء .. وبالرغم من ذلك كله لم تشك زوجه يوما أو تتذمر .. لم يشك غير طفلهما شارلى ، ويومئذ اخذه أبوه بالشدة وقص عليه قصة حلب الابقار في الفجر والمعيشة في غرفة رطبة وبلا حذاء .. ثم طمأنه الى انه سيجتاز تلك الازمة بساعده كما اجتاز الأولى من قبل ، بغيرمعونة من احد.. وقد اجتازها فعلاواجتازتها معه اسرته كلها .. عدا زوجه ، التى سقطت قبل انتهائها صريعة المرض والفقر !

لذلك فهو يحرص الآن على الاقتصاد في النفقات ، وادخار اقصى ما يمكنه ادخاره من المال ، لانه يتوقع ان تعقب الحرب الثانية ضائقة مالية شبيهة بالاولى ، وهو لا يريد أن تفاجئه واولاده وهم لا يملكون مالا يقيهم شرها .. ومن ثم فهو يريد ان يبقى في بيته الحقير ومستواه



« توقعت مارتا أن ترى أمها يوماً ما .. حين تصحو من رقادها ! »

المتواضع ، ولتستمر مارتا فى تأدية أعمال البيت ، بدلا من ان يؤجر امرأة تؤدى عنها هذه المهمة .. فترة أخرى من الزمن ، حتى تجتمع لهم ثروة مناسبة تقيهم غائلة الأيام السود

ابتسم الأب وداعب ابنتـه وهو يشرح لهـا كل ذلك غداة موت أمها .. ثم أضاف انها فى العاشرة ، وفى رعاية أبيها ، فى حين اشتغل هو اشغالا أقسى وأمر وهو ما يزال فى الثامنة ، يتيما من الاب والام ، وحيدا فى دنياه الموحشة ! .. ثم سألها فى النهاية ان كانت تشعر أن فى استطاعتها القيام بمهام البيت ، فأجابت بأنها تستطيع .. وعندئذ صافحها مهللا كما لو كانت رجلا مثله يعاهده على شىء .. وقال لها : « كنت أعلم أنك فتـاة عاقلة .. » وابتسم ابتسامة مريرة بعينيه الضيقتين الذكيتين

ومنذ ذلك التاريخ صار يعطيها مبلغا من المـال كل اسبوع كي تنفق منه على البيت ، وفى نهاية الاسبوع يراجعان حسابه سويا .. فاذا وجد فيه عجزا انبها عليه بشدة ، قائلا انها يجب أن تتعلم كيف تدبر الأمور ، كى تصير زوجة ناجحة فى المستقبـل .. وأن تذكر

مرارة الفقر ومذلته ، حتى تحزم أمرها على تجنب الوقوع فى مخالبه حين تكبر .. !

- ٤ -

وضعت الصبية قليلا من شحم الخنزير على صفيحة الشواء وراحت ترقبها وهى تنسلى على النار .. كانت الساعة قد بلغت الخامسة الآن ، كما يشير « المنبه » الذى أمامها ، واقترب موعد عودة أبيها من عمله .. انه سيصل بالضبط فى الوقت الذى تكون فيه قد فرغت من اعداد اللحم له ، فانه دقيق فى مواعيد طعامه ، ومواعيد عمله أيضا ، لا يتأخر عن أيهما قط

والقت بعجينة السجق فى المسلى ، فبدأ يغلى ويحدث صوتا ، وتصاعدت منه رائحة شهية ، فقربت الصفيحة من أنفها واستمرات رائحتها بملء رئتيها .. ما أجل أن تعود أمها وتذوق الطعام الذى تطهيه ابنتها ! .. وتذكرت مارتا صبيحة يوم انقضاء عام كامل على موت أمها .. لقد استيقظت يومئذ من نومها وهى تتوقع أن تجد أمها قد عادت من غيبتها الطويلة ، كما يتوقع الشخص هدية يوم عيد ميلاده كل عام

لكنها صدمت بخيبة أملها ، ثم بخيبة حلمها القديم ووعد الطبيب وأبيها لها بعودة أمها ! .. فدفنت بعزم يائس حلمها ذاك الذى عاشت زمنا تهدهده وتربيه وتغذيه

□

وفجاة طغى على صوت تقليب اللحم فوق النار صوت ضجيج منبعث من خارج البيت . أصغت له مارتا برغمها لحظة فتحققت منه ، لكنها لم تذهب لترى ما هنالك .. وبعد حين سمعت أحدهم يبكى ويصرخ ، وآخر يحدث ضجيجا ، فأيقنت أن جارهم «مانجاناللى» لابد قد عاد ثملا كعادته يصخب ويضج ، ويضرب ابنه فيبكى ويصرخ .. ولو أنه اعتاد أن يندم بعد ذلك على ضربه فيشترى له المثلجات .. !

على أن الصوت ازداد علوا واقترابا ، ولم يتوقف عند الطابق الاوسط الذى يقطنه مانجاناللى ، بل استمر فى الصعود حتى سمعت مارتا طرقا على بابها فاصفر وجهها وكاد قلبها يتوقف عن الخفقان .. ترى هل جاء بعض السكارى يتهجمون على البيت ؟ .. لكنها لم تلبث أن تبينت فى صوت الصبى الذى يبكى ما يشبه صوت أخيها شارلى ، فخفت الى الباب وفتحته .. فاذا مستر مانجاناللى يحمل شارلى على ذراعيه وهو يتمتم شيئا كالصلاة بالايطالية ، وخلفه زوجه وجمع من نسوة العمارة وأطفالها

اندفع الجمع الى الداخل ، بينما توجه مانجاناللى الى غرفة الصبى رأسا فأرقده على فراشه ، وكان وجه شارلى قذرا وبكاؤه حادا عنيفا

كانه لا ينوى ان ينقطع .. وبرغم ما بدا من جدية الموقف فقد احست مارتا بالخجل من ان يرى الجيران أسرة البيت غير مفروشة او مرتبة حتى الساعة الخامسة بعد الظهر ، وان يكن الاغلب أن اكثرهم كانوا من الذين لا يعنون بترتيب اسرتهم على الاطلاق

وقالت مارتا للايطالي ملهوفة :

— ماذا جرى ؟ .. هل أصيب شارلى العزيز بسوء ؟

فصاح هذا :

— لقد صدمته سيارة ، وبرغم هذا فان سائقها لم يقف .. النذل الـ ....

نطق الكلمة الاخيرة بالايطالية ، فلم تستطع مارتا أن تفهمها .. وصاحت باخيها :

— شارلى ، شارلى ..

وفى تلك اللحظة دخل ابوها ، فانزاح الجميع من طريقه ، وتقدم من فراش ابنه فانحنى عليه :

— شارلى .. هل اصبت بسوء ؟

فغمغم الصبى :

— لست أدرى ..

ففحصه والده بقدر استطاعته وفهمه ، ثم التفت الى مانجاناللى قائلا :

— شكرا يا عزيزى .. الم يتمكن احد من معرفة رقم السيارة ؟

— كلا ..

— اعتقد ان من الاصوب ان تتفضلوا جميعا بالخروج من الغرفة كى يستنشق الصبى هواء نقيا .. وانت يا عزيزى مانجاناللى ، هل لك أن تستدعى له طبيبا ؟

وخرج الجمع من غرفة شارلى فتفرقوا ، كل الى مسكنه ، ما عدا زوجة الايطالى التى شمت رائحة احتراق اللحم على النار فهرعت الى المطبخ لتنقذ ما يمكن انقاذه منه ، لكنها وصلت متأخرة .. وحين رات وعاء الماء الساخن اغترفت بعضه فغسلت به وجه الصبى ويديه

وقال الاب يستفسر من ابنه :

— هل انت بخير يا شارلى ؟

فكف هذا عن البكاء واجابه :

— اظن ذلك ..

— كم مرة نبهتك الا تلعب الكرة فى الشارع ؟

وعند هذا لم يجب الصبى .. بينما لم تستطع مارتا أن تقمع اهتمامها بهندام أخيها ، فقالت لأبيها :

— انظر ، لقد تمزق بنطلونه الجديد ، وقد ابى ان يسمع نصيحتى له بخلعه

فقال أبوه متحيزا ، كعادته :
ـ من حسن الحظ أن المسألة اقتصرت على هذا الحد ..
ثم جاء الطبيب ففحص الغلام ، لكنه لم يجد به غير بضعة رضوض بسيطة ، ونقده الاب ثلاثة ريالات ..
ثم جلس هذا الى مائدة العشاء ، وكان اللحم قد احترق ، فلم يجد ما يأكله سوى سلطة بطاطس متخلفة من اليوم السابق .. وقبل أن يخرج الى عمله أوصى مارتا قائلا :
ـ اذا ساءت حال الغلام فاطلبى من جارنا مانجاناللى ان يستدعى له الطبيب ..
فأومأت برأسها موافقة
ـ وكيف حالك فى المدرسة ؟
ـ على ما يرام ..
وكانت كاذبة ، فانها لم تجرؤ أن تصارحه بنبأ الدرجة التىحصلت عليها فى الحساب ..
وحين ذهب أبوها ، أحست مارتا بضيق صدر وعصبية ، فلم تأكل شيئا ، أما شارلى فنهض من فراشه وأتى على كل ما تبقى على المائدة ، بعد ان انبها بشدة وبألفاظ فظة على تركها اللحم يحترق .. ففاضت بها كأس آلامها النفسية واستخرطت فى البكاء .. بينما جلس شارلى على المقعد المريح الوحيد فى البيت ، وجعل يقرأ فى مجلة هزلية ..

ـ ٥ ـ

وفات موعد نوم الصبى ، فطلبت منه مارتا أن ينهض لينام ، لكنه أبى أن يفعل الا اذا قرأت له أخته قصة مسلية ، فرضخت لطلبه وأحضرت له من درجها كتاب القصص الخرافية ، وفيما هى تقرأ له منه قصة شائقة بطلتها امرأة تدعى « جريتيل » سألها الصبى :
ـ لم تكن أمنا مثل هذه المرأة .. أليس كذلك ؟
ـ بلى ..
ـ أنها لن تعود أبدا ..
ـ من قال لك ذلك ؟
ـ الاولاد قالوا لى ..
فقالت غاضبة :
ـ أنهم لا يعرفون شيئا ..
ـ اذن فانت تعتقدين أنها سوف تعود الينا ؟
ـ بالتأكيد ..
ـ متى ؟
ـ لست أدرى .. هذا ما لا يعلمه أحد ..

وغلبه النعاس قبل أن تتم القصة ، فتسللت من الغرفة فى هدوء واغلقت الباب .. ما الذ أن تخلو بنفسها بعض الوقت .. منذ متى لم تتح لها هـذه الفرصة ؟ .. ومرقت بها أفكارها الى درجتها الضعيفة فى الحساب ، واللحم المحروق ، والبطاقات ، والنقود التى دفعتها فيه فذهبت هباء .. وشتى هموم حياتها .. ومر فى تلك اللحظة قطار سريع اهتز له بناء البيت ، فنهضت متعبة الى حيث احضرت بنطلون شارلى وجعلت ترتق قطوعه ، وهى تفرك عينيها المتعبتين بين الوقت والآخر .. واحست برغبة فى البكاء .. انها لم تستطع ان تتقن حياكة الخروق بحيث يبدو القماش كالجديد تماما .. كما كانت تفعل امها .. آه لو عادت امها .. !

ثم عكفت على نقودها تعدها ، فلما لم تجد بها عجزا تنفست الصعداء ، واعادتها الى مخبئها بين صفحات كتاب القصص الخرافية .. ثم مضت تكمل واجباتها المنزلية المرهقة المملة ، وهى تحس كأنها تؤديها منذ مائة عام على التوالى .. آه لو عادت امها ، اذن لاستراحت من هذا العبء الثقيل الذى ألقى على عاتقها الغض .. ولوجدت على الاقل من تتحدث اليه .. انها لاتستطيع الافضاء الى شارلى بمتاعبها ، ووالدها لا تكاد تراه الا لماما ، وبرغم عطفه عليها وتسميته اياها « بالام الصغيرة » فان من العسير عليها ان تكشف له دخيلتها ..

ولكن ، كلا .. انها ستساله فى أول فرصة عن امها ، متى تعود ؟

وارادت ان تطمئن على شارلى ففتحت بابه وتسللت الى غرفته .. كان يغط فى نوم هادىء .. وهناك ، فى ظلام الغرفة ، شعرت كأن والدتها قريبة منها ، فحدقت فى عتمة المكان ، لكنها لم تر أحدا ..

وقفلت راجعة الى غرفتها ، فطالعتها كتبها المنثورة على المنضدة .. ما أسعد الكبار الذين ليست عليهم واجبات مدرسية يؤدونها فى البيت ! انها فى الماضى كانت مولعة بالدرس ، أما اليوم فهى لا تأنس من نفسها ميلا الى ذلك . وفتحت كتاب التاريخ ، لكنها قبل ان تقرأ فيه كلمة واحدة كرت راجعة بافكارها الى درجتها المخزية فى امتحان الحساب . بعد اسبوعين سوف توزع المدرسة شهادات الفترة السابقة من العام الدراسى ، ويومئذ سيعلم أبوها كل شىء .. لكنها لن تطلعه على الشهادة قط ، وانما ستوقع باسمه عليها بنفسها ، فلقد سمعت ان بعض زميلاتها يفعلن ذلك ، وما دامت درجاتها سيئة فلا مفر لها من أن تفعل كما يفعلن

واجالت نظرها فى الغرفة التى تحتويها ، فى الجدران العارية التى تترامى عليها الظلال .. انها لتسمع أصواتا خافتة واخرى صاخبة من الاثنتى عشرة اسرة التى تقطن العمـارة ، كان احدهم يعزف على القيثارة ، ما اعذب سماع الموسيقى ، وان كانت انغامها بعيدة لا تكاد تبلغ اذنيها ..

تنهدت ، وعادت الى كتبها .. وانطبقت عيناها برغمها ، ففتحتهما ثانية ومضت تقرأ ..

لكنها الليلة لا تعبأ بنظام الاقطاع فى القرون الوسطى .. بالسادة فى قصورهم ، والكهنة فى معابدهم ، والعبيد فى أرض غيرهم ، يشقون فى فلاحتهـا بغير أمل ويتعذبون فى أكواخهم الحقيرة .. فانهم جميعا يمتون الى حقبة من التاريخ سحيقة بالنسـبة لها ، وهم ليسوا فى اهمية .. امها !

ووضعت كتاب التاريخ جانبا ومشت الى المطبخ فجلست الى نافذته .. فى الظلام ! .. انها أحيانا ، وهى عائدة من مدرستها ، كانت تبحث عن أمها بين السحب ، بعد أن طالما سمعت انها فى مكان يمت بصلة الى السماء .. وهى تنظر الآن الى أديم الجو، فوق رأسها ، فترى نجوما كثيرة .. وتحس انها قريبة من امها .. !

وطالت جلستها حيث هى ، حتى شمل البيت السكون ، وفكرت فى اشياء كثيرة .. فى أن شيئا من احوالها لن يصلح حتى تعود امها .. فلماذا لم تعد ؟ .. لعلها فقدت ، او ضلت طريقهـا ، او أحوجتهـا الظروف الى دليل يرشدها الى البيت .. لا بد أن الامر كذلك ، او شىء من ذلك ، والا لعادت امها منذ زمن بعيد .. !

عجبا .. لماذا لم تفكر فى هذا من قبل ؟ .. فى أن تهجر جميـع متاعبها ، وتذهب للبحث عن أمها ، التى لا يمكن أن تكون بعيدة .. أو لم تحس مرارا قربها منها .. ؟

ووجدت الفكرة رائعة ، فى جمال وروعة قوس قزح ، بحيث ملأت قلبها نشـوة وسعادة .. كاللتين شعرت بهما بطلة القصة الخرافية « جريتيل » حين اهتدت الى الممر الذى سيخرجها من قلب الغابة الرهيبة .. !

وفى غرفتها عكفت مارتا على جمع حوائجها الضرورية فى حقيبـة كبيرة من الورق ، وضعت فيهـا ثوبها الآخر ، ودمية صينية كانت امها قد اهدتها اياها فى عيد الميلاد وهى فى السادسة ، واصبع من احمر الشفاه اشترته سرا ولم تستعمله قط .. وصورة امها التى فوق الدولاب ، ثم منديلين أو ثلاثة ، ومشطا ، وقلم الحبر .. الخ .. وسرت البرودة فى جسدها من غرابة الفكرة وجرأتها .. !

ثم وضعت الحقيبة جانبا ، فوق المنضدة .. واخرجت منها قلم الحبر ، وشرعت تكتب على ورقة من دفترها .. وكانت وهى تكتب تتوقف برهة لتفكر .. وتسقط رأسها .. فترفعها ، وتفرك عينيها ، وتستأنف الكتابة .. !

– ٦ –

لمح « سيد أجنيو » وهو ينحدر الى منزله فى الفجر الباكر ، نور غرفة ابنته مارتا مضاء .. لعل شارلى قد ساءت حالته ؟ .. وهرع

نحو البيت بخطى سريعة .. أم ربما تركت الصبية النور عمدا لكى لا تحس خوفا من وحدتها ؟ .. أنها تفعل ذلك احيانا ، وهو امر يضايقه ، لأنه ينفق مزيدا من الكهرباء ، وقد طالما حاول هو أن يعلمها ألا تبذر فى شىء ، ولا تخاف من شىء ..

وصعد السلم عدوا .. حتى الباب لم يكن مقفلا . وفى خطوتين كان داخل غرفة الصبية .. ووقف مشدوها ! .. رآها متكئة على المنضدة ، ورأسها فوق ذراعيها ، والى جوارها حقيبة ، وقلم حبر ! اغلق الباب خلفه فى هدوء ، وفيما هو يهم بأن يلمس كتفها لمح كلمتى « أبى العزيز » على ورقة تحت يدها .. فسحب الورقة فى حذر .. وقرأ :

« ابى العزيز ..

« انى ذاهبة للبحث عن امى .. فقد ساءت حالى فى المدرسة ، وصرت احس دائما انى متعبة ، وشارلى لا يطيعنى حين أوصيه بخلع بنطلونه الجديد وارتداء القديم عند ما يريد أن يلعب .. وقد حاولت أن ارتق قطوع البنطلون فلم أوفق .. وحرقت اللحم .. ولم اعد أصلح لشىء . لهذا أنا ذاهبة للبحث عن امى ، كى تنصلح الامور ..

ملحوظة : حاولت كثيرا ان أجد فى عملى مثلك حين كنت صغيرا ، لكنى فشلت ، وانى آسفة .. وربما كان السبب انك كنت ولدا ، اما انا فبنت ! ..

« ارجو ...... »

وتلت ذلك نقطة من الحبر .. ثم لا شىء !

حمل الاب ابنته الى فراشها فى رفق ، ونزع عنها حذاءيها ، ثم دثرها بالغطاء .. ونظر الى وجهها الهادىء .. واطفأ النور ووقف امام نافذة المطبخ يتطلع الى الفضاء ..

كانت النجوم كلها قد انطفأت ، وذاب الظلام ببطء فى تباشير الضياء .. وعند أقصى الافق ، فى قمة برج مراقبة القطارات ، اخذ الزجاج نارا من الشمس فاشتعل لونه ..

على أن « سيد أجتيو » لم ير شيئا من هذا كله .. فان العينين اللتين منذ الطفولة لم تهتز أهدابهما اجفالا من كل مصاعب الحياة ، قد تحولتا الى استبطان أعماق صاحبهما .. والتحديق فى جوفه ..

وصاح فى قلبه صوت مباغت :

— لقد قتلت امها ، فهل تنوى قتلها هى أيضا ؟

واستدار عن النافذة .. رأى المائدة معدة بعناية لافطاره .. الاطباق نظيفة ، والطعام شهيا ، والشراب ميسرا ..

ولاول مرة .. لم يستطع ان يأكل شيئا .. !

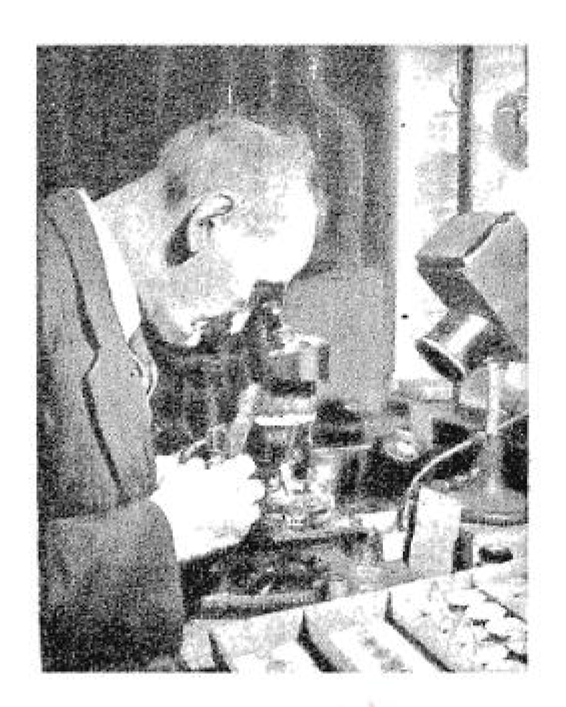
حلمى مراد



عالم يكرس حياته لدراسة العناكب والعقارب

في جامعة « ييل » بأمريكا أستاذ لعلم الحشرات يدعى البروفسور «الكسندر بترونكفتش» أغرم بدراسة العناكب والعقارب وأشباهها Arachnids فجمع منها أكثر من عشرة آلاف حشرة متعددة الانواع والالوان والاحجام من مختلف أرجاء العالم.. وهو يحتفظ بها الآن في معمله ؛ بعضها حي وبعضها محنط

وقد ولد هذا العالم في روسيا ودرس في المانيا.. وظل فيها الى ان تولى هتلر مقاليد الامور، فهجرها الى امريكا ، حيث اسندت اليه مهمة التدريس في بعض الجامعات الامريكية وبالرغم من شغفه بالشعر والفلسفة في مستهل حياته ، فقد أولع بدراسة الحشرات، واتجهت ميوله بصفة خاصة نحو العناكب، التي يقول ان دراستها



يقضى هذا العالم معظم أوقاته فى دراسة المناكب . وهى عنده خير من كل ما فى الحياة من متع ومباهج

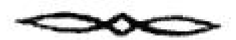


نماذج من عناكب ذات ألوان وأحجام مختلفة ، جمعها البروفيسور بترونكفتش من عدة أرجاء

غدت عنده خيرا من كل ما فى الحياة من متع ومباهج . وهو الآن فى الثامنة والستين من عمره .. وينوى ان يعتزل العمل فى الجامعة ليكرس كل وقته لدراسة العناكب وجمعها

وقد قال فى حديث له : « انمعظم أنواع العناكب لا تؤذى الانسان الا اذا هوجمت .. وهى لا تنقل الامراض بل على النقيض من ذلك تقتل الكثير من الحشرات الناقلة للمرض . وقد أمكن استخدام نسيج العنكبوت ابان الحرب الاخيرة فى بعض الاغراض الطبية

ويعتزم البروفسور الكسندر ان يصدر قريبا كتابا من ثلاثة أجزاء يتضمن ما استخلصه من معلومات خلال دراسته الطويلة لفصيلة العنكبوت . ويتتلمذ عليه الآن عدد كبير من الطلبة الذين ينوون التخصص فى دراسة الحشرات



قضت كاتبة هـذا المقال وقتا طويلا فى احتراف قراءة الكف .. وهى هنا تفضي بالكثير من « أسرار » المهنة ..!

اعترافات قارئة كف

« فى عمارة اندروز بميدان الملك جورج تجدين اقدر قارئة للكف. ينبغى استشارتها ولو مرة .. لقد ترددت عليها انا ولفيف من صديقاتى ، فصرحت لنا بأمور كثيرة تحقق اكثرها .. »



تلك هى النصيحة التى نسمع امثالها من صديقاتنا فى مختلف المناسبات ، وقد يلح بعضهن ولا يهدان الا اذا نفذت نصائحهن فى الحال !

على اننى كلما سمعت هذه النصيحة ، ضحكت وعجبت من استطاعة المنجمين ومدعى قراءة المستقبل — حتى فى هذا العصر — ان يخدعوا الناس ويلعبوا بالبابهم ولو كانوا على قسط كبير من الثقافة والعلم !

لقد اتت على حقبة من العمر اتخذت فيها « قراءة الكف » صناعة اكسب منها عيشى. فبعد ان اتممت مرحلة التعليم الثانوى، اضطرتنى ظروف الخاصة الى الانقطاع عن التعليم .. وظللت اشهرا ابحث بغير جدوى عن عمل أعيش منه .. وكنت — للضيق الشديد الذى انتابنى فى ذلك الحين — اتقدم لاية وظيفة اقرا عنها ، ولو لم تتفق ومؤهلاتى ، بل ولو لم اكن أصلح لها مطلقا

وحدث ان قرات مرة فى احدى الصحف اعلانا يطلب اصحابه « امراة مثقفة فى منتصف العمر تجيد قيادة السيارات ، لوظيفة تقتضي السفر الى بلدان نائية ». ومع اننى لم اكن جاوزت العشرين، ولم اكن اعرف شيئا عن قيادة السيارات .. فقد قدمت طلبا للالتحاق بالوظيفة . وفى مرة اخرى قرات اعلانا عن وظيفة « مدلكة » .. فلم احجم عن التقدم لها مع اننى لم اكن اعرف عن صناعة التدليك اى شيء !

وطبيعى اننى لم اظفر باحدى الوظيفتين .. على ان ذلك لم

يحل دون تقدمي الى وظيفة أخرى قرات عنها يوما اعلانا فى احدى الصحف ، وكانت وظيفة « قارئة كف يشترط أن تكون ذات خبرة سابقة ممتازة لكى تعمل فى مؤسسة كبيرة بالمرتب الذى تريده ! »

ولم يفتنى فى الطلب الذى قدمته ان أصف باسهاب براعتي فى قراءة الكف ، وطلبت مرتبا لاباس به . وشد مادهشت اذ تلقيت فى اليوم التالى خطابا من مدير تلك المؤسسة يحدد لى فيه موعدا لمقابلته فى نفس اليوم . فلبست قبعة قديمة توحى بأننى حقا من قارئات الكف ، وتوجهت الى المؤسسة فى الموعد المحدد حيث استقبلني المدير استقبالا طيبا لم يسبق أن شهدته من قبل ، ثم قال لى انهم لاحظوا فى الايام الأخيرة قلة الاقبال على المؤسسة رغم رخص بضائعها وجودة انتاجها . فقرروا ان يلحقوا بها احدى قارئات الكف الممتازات ؛ لتقوم للمشترين بقراءة اكفهم مجانا .. ثم صرح لى بأن طلبى قد قبل ، وبأن على أن احضر فى اليوم التالى لأبدا مهمتى

وخرجت من مكتب المدير وأنا احس أن الارض تميد تحت قدمي ، ورأيتني اهذي كالمحمومة واسائل نفسي كيف اندفعت الى هذا المأزق الحرج فى حين ليست لدى اية فكرة عن قراءة الكف ؟ وماذا يكون موقفى لو كشف أمرى ؟ ولكن شيطان الحاجة الذى حفزنى الى هذا الصنيع ، همس فى اذنى :

« تشجعى .. سيرى فى طريقك قدما .. لامجال للتراجع .. هيا العبى دورك بدقة وشجاعة . لا تضيعى وقتك فى الاوهام ، وواجهى الحقائق .. وليكن ما يكون » . وشرعت أعد ثوبا يليق « بمقام » الوظيفة التى لا ادري عنها شيئا .. فأعددت « بلوزة » سوداء و « جوب » احمر ، وشريطا أسود أضعه على جبهتى ، وقرطا طويلا من ماس صناعى

وفى امسية ذلك اليوم توجهت الى مكتبة قريبة ، وقلت للبائعة فى عصبية عجزت عن كتمانها : « اريد كتابا فى فن قراءة الكف » . فتفرست فى ، ثم قالت : « ليس عندنا كتب فى هذا الفن ياسيدتى .. ولكن احدى المجلات التى صدرت هذا الاسبوع ، نشرت مقالا عنه ، قد تجدين فيه بغيتك » . وقدمت لى نسخة من تلك المجلة فاشتريتها وعدت الى البيت مسرعة . وقرات المقال فلم أجد فيه مايشفى غلتى . ولم افهم منه سوى أن خطوط راحة اليد لها أسماء معينة ، فهذا خط القلب ، او الرأس ، وهذا خط المشترى أو زحل ، وهكذا

وبعد ليلة لم تغمض فيها عيناى دقيقة واحدة ، ارتديت ثوبى واتجهت نحو مقر عملى .. فوجدت أحد الموظفين ينتظرنى ، وما ان رآنى حتى حيانى ، ثم ارشدنى الى غرفة فسيحة فى الطابق الثانى ، أثثت بمفروشات فاخرة وزينت جدرها بلوحات

جيـــلة ، ووضعت على بابها ونوافذها ستائر حريرية ثمينة . وقال لى انها غرفتى الخاصـة ، فدخلتها وانا لا اكاد ابصر ماتقع عليه عيناى لشدة الارتبـاك والخوف ، ثم ارتميت على المقعد والعرق يتصبب من وجهى .. وظللت منتظرة الزبون الاول وانا اخشى ان اصاب بنوبة اغماء

واخيرا .. تحركت ستائر الباب ورايت امامى رجلا فارع الطول عريض المنكبين فى نحو الاربعين من عمره . ولمحت على معطفه آثار اسمنت .. فحيانى ثم جلس قبالتى . وقال فى صوت اجش : « اى يد تريدين .. اليد اليسرى ام اليمنى ؟ » . فسكت برهة وانا لا ادرى ماذا اقول .. ثم قلت فى صوت مضطرب : «حسنا .. اعطنى يدك اليمنى» . ومد الرجل يدا ضخمة متحجرة لم اميز فيها شيئا مما قراته فى المقال عن خطوط القلب والراس وما اليها . وكان لزاما على ان اقول شيئا بسرعة .. فتظاهرت بتدقيق النظر فى راحة يده ، ثم قلت وقد لمحت آثار جروح فى رقبته : « انت عامل فى مصنع للاسمنت .. وقد اصبت بحادث فى المدة الاخيرة ! »

فاشرقت أسارير وجهه ، وقال فى صوت مرتفع : «نعم يا ابنتى .. هـذا صحيح » وشجعنى ذلك على ان اتمالك نفسى واستعيد بعض هدوئى واواصل الاستنتاج وتحليل نفسيته من حركاته وملامح وجهه .. فدخلت فى تفصيلات الحادث ، ثم انتقلت الى الحديث عن طباعه وخلقه والسبب فى عدم زواجه .. واعجب الرجل بماقلت له ــ وكان لحسن الحظ ساذجا ــ فقال بعد ان فرغت من اقوالى : « انت مدهشة يا سيدتى »

وخرج الرجل .. فتنفست الصعداء واحسست ان كابوسا ثقيلا تزحزح عنى . ولكن زيارته شجعتنى ومكنتنى من استقبال الزبائن الآخرين وقد استعدت الكثير من الثقة فى نفسى

●

ومضت الايام .. فرسخت قدمى فى هذه الصناعة ، وتعلمت اشياء كثيرة ، فاصبحت ادرك مثلا انه لاخوف من القول لاية امراة : « ان خطوط يدك تدل على ان امراة اخرى تغار منك وتعمل فى السر ضدك » . فهذا قول صحيح يصدق فى كل الاحوال. وهو الى ذلك ، افتتاح طيب للحديث مع النساء ، أو لاستدراجهن حتى يظهرن ما يضمرن. وعرفت كيف أرقب بسرعة كل صغيرة وكبيرة فى ملابس الزبون وحركاته وتعبيرات وجهه وطريقة حديثه

كنت اتظاهر بدراسة اليد بعد ان اكون قد درست كل شىء فى الرجل أو السيدة فى دقيقة أو دقيقتين ، واستخلصت من هذه الدراسة خلقه وطباعه وفلسفته ، ثم كنت اتكلم بعد ذلك فى ثقة

وقد استطعت بالتدريج ان اجسر على التصريح باشياء تبدو

للناس غريبة .. كنت اقول للمتزوجات حديثا : « بعد اشهر سوف تدخلين المستشفى او يستدعى الطبيب لاجراء جراحة لك فى المنزل » . فتسأل الواحدة منهن فى لهفة : « وهل تكلل هذه الجراحة بالنجاح ؟ » . فأجيب : « نعم ، ستنجح . ولكن ذلك لا يعنى انك لن تصادق بعض المتاعب . وعلى كل حال اذا عنيت بنفسك فان كل شيء سيسير على ما يرام .. اما اذا اهملت ، فقد تكون العاقبة وخيمة .. ومهما يكن من امر ، فانك سيدة سعيدة الحظ »

وكان فريق من المترددين يظهرون عدم المبالاة بما اقول .. كانوا يظلون صامتين هادئين طول الوقت ، فيتعذر على ان اقرا شيئا فى عيونهم .. فكنت حينذاك اقول للواحد منهم : « انك شخص شديد التحفظ وانت تكتم امورا كثيرة فى قرارة نفسك .. ينبغى ان تحذر عاقبة كتمان هذه الاشياء وتركها تغلى فى اعماق نفسك .. انك تبدو هادئا .. ولكنك اذا اثرت لسبب من الاسباب ، غدوت عصبيا شديد الهياج » . وكثيرا ما كان التحفظ والصمت يذوبان بعد هذه الديباجة

●

وكان كل زبون يعطى فرصة ، بعد ان اتم قراءة كفه ، كى يسأل سؤالا . فكنت احسب لهذه الاسئلة الف حساب .. اذ كان الكثير منها محرجا يصعب الرد عليه . سألتنى مرة احدى الفتيات : « اين تخفى جدتى اموالها ؟ .. انها تظل فى فراشها طول اليوم ، ولا تدعنى امس حاجاتها .. وانا على يقين ان عندها مالا كثيرا » فقلت على الفور : « ارى حظا سيئا يقترن باموال جدتك .. فحذار ان تفكرى فيها والا اصابك سوء » . وقالت لى اخرى : « ينتابنى صداع شديد من حين الى حين .. وقد تورمت ساقى منذ اسبوع . فما سبب هذا المرض وكيف يعالج ؟ » . فاجبتها ـ وانا امعن النظر فى كفها ـ وكانى سأقول شيئا خطيرا جديدا : « ارى مرضا عضويا اصابك .. وعليك ان تستشيرى اخصائيا ماهرا فى الحال .. فاذا ذهبت اليه مباشرة واستمعت لنصائحه .. فانك سوف تحسنين عاجلا » وكان البعض يسألنى : « هل ابيع عزبتى ؟ » . « هل تزدهر تجارتى وهل ترتفع الاسعار ؟ » . هل اكسب القضية التى بينى وبين فلان ؟ » . وهنا كنت لا اجد مفرا من الحدس وخاصة اذا لمست من شغف السائل ان الاجابة « المائعة » التى تحمل الوجهين لا ترضيه

وحضرت الى مرة امراة نحيلة ذات شعر اشيب متهدل ـ لم اكن اعرفها قبلا ـ ولمحت فى عينيها لاول وهلة ، نظرة الغضب والرغبة فى الانتقام .. فنظرت الى راحة يدها ، وقلت فى هدوء : « فى يدك شذوذ واضح .. انها

تختلف عن الايدى العادية .. اعطنى فرصة لدراستها .. فانها تتطلب وقتا لقراءتها »

ولكنها صرخت في وجهي قائلة : « الست ترين اننى استطيع شفاء المرضى ؟ » .. فاجبت في هدوء : « لا .. ولكننى ارى انك تعاونين عددا كبيرا من الناس على الشفاء . ويبدو لي انك تنتمين الى نفس الطائفة التى انتمي اليها »

وقد علمت ان ادعياء الطب ـ ومنهم هذه السيدة ـ والذين يزعمون ان في وسعهم الاتصال بالارواح وقراءة البخت ، قل ايرادهم بسبب ظهورى بينهم .. فراحوا يأتون الى الواحد بعد الآخر للتجسس على وايقاعى .. ولكننى اتخذت الحيطة واصبحت اراقبهم جيدا .. واستخدمت ذكائى فى ايقاعهم والبدء بالهجوم عليهم قبل ان يبدأوا هم بذلك . فكنت اتخلص منهم احيانا بالقول : « عزيزى .. احس بتعب شديد اليوم ، ورغبة في ان تقرأ لى انت كفى .. وأنا واثقة انك الشخص الوحيد الكفء الذى يستطيع ان يفعل ذلك . فهل تشرفنى بهذا الصنيع ؟ »

●

ولم تمض بضعة اشهر حتى اصبحت معروفة فى جميع انحاء الولاية .. واصبح الناس يتحدثون عن تنبؤاتى الصحيحة لهم ، ومقدرتى التى لا تعدلها مقدرة . واخذوا يتوافدون على يوميا فى كثرة حفزت اصحاب المؤسسة الى زيادة مرتبى زيادة كبيرة

وفى ذروة النجاح ، ثار ضميرى ثورة جامحة ، وراح يلهبنى بسياطه .. فكانت تتراءى أمام ناظرى ـ عندما آوى الى مضجعى ـ صور «الزبائن» الذين قابلتهم خلال اليوم وتتوارد فى ذهنى الاقوال الكاذبة التى سردتها ، فيجفونى النوم وينتابنى الارق واظل كذلك حتى الصباح ، فأنهض منهكة الاعصاب مكدودة الذهن

وحرصا على صحتى التحقت بوظيفة اخرى وقطعت صلتى بقراءة الكف

[عن « مجازين دايجست »]

----

٥ سرعة اهل هذا العصر فى هدم الاخلاق اكبر من سرعتهم فى تحصيلها

٥ التسامح ممكن بين الافراد ، ومتعذر بين الامم

٥ السعيد نفور من مرأى التعاسة . وقلما تدوم المحبة بين شقى وسعيد

[جوستاف لوبون]



الامبراطورة جوزفين

تأليف روجيه ريجيس

وضع روجيه ريجيس سلسلة من المؤلفات عن « ملكات فرنسا » ـ المتوجات منهن وغير المتوجات ـ وقد سبق أن لخصنا احد كتبه عن حياة بولين فوريس، الملكة غير المتوجة، وعشيقة نابوليون بونابرت فى مصر ، التى لو تزوجها لكانت إمبراطورة . ولكن الاقدار شاءت ان يعود القائد الى فرنسا ، ولا يطلق زوجه جوزفين بل يضع التاج على راسها .. ويقص علينا المؤلف هنا حياة هذه الامبراطورة الفاتنة

فى وسع المؤرخ الآن أن يقص حياة جوزفين ، زوجة نابوليون ، ويستخلص منها العبر ، بغير أن يتأثر بالمحيط الذى عاشت فيه تلك المرأة المحظوظة . فقد قيلت عنها أشياء كثيرة .. حسنة وسيئة . والحقيقة ان جوزفين لم تكن امرأة خالية من العيوب . بل بالعكس ، كانت عيوبها كثيرة ، كميلها الى المرح والملذات ، وطيشها ، وعدم وفائها لزوجها ، وتبذيرها للمال بلا حساب .. الخ . ولكنها بالرغم من ذلك كانت طيبة القلب ، لا ترفض لأحد طلبا .. ولقد دفعت ثمن ضعفها وطيشها غاليا ، وكفرت عن ذنوبها اذ تعذبت كثيرا

وقد تضاربت الآراء والاقوال فى وصف جوزفين وجمالها . ويغلب على الظن ان أقرب الاوصاف الى الحقيقة ما كتبه عنها كونستان ، خادم نابوليون الامين الذى عاش بالقرب منها .. يقول كونستان فى مذكراته : « كانت معتدلة القامة ، متناسقة الاعضاء ، خفيفة الروح ، شديدة التأثر ، زرقاء العينين ، ساحرة النظرات ، طويلة الشعر ، عذبة الصوت » . ويضيف كونستان الى هذا قوله : « انه لم يكن فى وسع رجل ان يقاوم جاذبية هذه المرأة الحسناء الرائعة الجمال »

زهرة فى جزيرة

ولدت « مارى جوزيف روز » فى ٢٣ يونيو ١٧٦٣ ، فى جزيرة مادانينا من جزر الأنتيل ، وهى التى أطلق عليها الاوربيون الغزاة اسم « مارتينيك » . وكما ان اسم الجزيرة التى ولدت فيها مارى جوزيف روز قد تغير فيما بعد ، فان اسم الفتاة أيضا تغير أكثر من مرة مع الايام . . مارى جوزيف ، ثم مارى روز ، ثم جوزفين . ولكن اهل الجزيرة كانوا ينادونها « يايبت »

كان أبوها « جسبار تاشر دى لاباجرى » يملك مزرعة فى الجزيرة يدير شؤونها وشؤون سكانها البيض والسود كأنه ملك فى دولة صغيرة . وهو سليل أسرة فرنسية نبيلة ، من تلك الأسر الكثيرة التى هاجرت الى العالم الجديد سعيا وراء الرزق والثروة . وقد تزوج جسبار فتاة من أسرة نبيلة مثل أسرته ، هى « روز كلير دى سانوا »، ولكنه لم يحقق لها السعادة والهناء . فان جسبار كان غريب الاطوار، سريع الغضب ، سىء الخلق ، مما جعل الحياة فى المزرعة مصحوبة بالمتاعب والخلافات . وزاد الطين بلة أن هبت عاصفة هوجاء على الجزيرة فخربت المزرعة واصيبت اسرة لاباجرى بخسائر فادحة

رزق جسبار وزوجته ابنتهما يايبت . ثم جاءت اختها كاترين ديزيريه بعدها بسنتين ، ثم تبعتها الأخت الثالثة مارى فرانواز أو مانيت ، بعد اربعة اعوام

ثلاث بنات ! ان هذا كان كافيا لكى يفقد جسبار البقية الباقية فيه من صبر وحلم وحكمة !

عاشت الأخوات الثلاث فى أحضان الطبيعة ، وفى رعاية المربية الزنجية ماريون ، بلا تفكير فى المستقبل ، وكن يقضين أوقاتهن فى اللعب مع اطفال الزنوج من عمال المزرعة وفلاحيها

وعندما بلغت يابيت الخامسة من عمرها ، وقعت حادثة « النبوءة » التى اشتهرت فيما بعد ودونها المؤرخون وعلقوا عليها . ففي ذات يوم ، بينما كانت يابيت تسير فى الغابة مع مربيتها ماريون ، وقع نظر الطفلة على امراة زنجية ممزقة الثياب ، فما كان منها الا ان أخذت من ماريون قطعة من النقود واعطتها لتلك المسكينة . فطلبت منها المراة ان تريها كفها لتقرا لها المستقبل . وبعد أن تفرست الزنجية فى كف يابيت ، قالت : « الخطوط لا تكذب . سوف تتزوجين قريبا . ولن يكون زواجك سعيدا . وبعد ان يموت زوجك وتترملين سيتحقق لك كل ما ترغبين فيه ، وستكونين يا ابنتى اكبر من ملكة ! »

اكبر من ملكة ! هذه نبوءة الزنجية التى لم يكن شيء فى ذلك الوقت يبشر بامكان تحققها ، ولكنها تحققت فيما بعد مع الايام

دخلت يابيت احد الاديرة فى مدينة بوروبال . وعندما بلغت الخامسة عشرة من العمر ، ماتت اختها ديزيريه ، فاخرجت يابيت من الدير واعيدت الى البيت . واوشكت فى وقت من الاوقات أن تتزوج شابا انجليزيا يدعى وليم . ولو حدث هذا لسافرت الى لندن وأصبحت زوجة ضابط بريطانى خامل . ولكن الزواج لم يتم . . وتقدم طالب آخر ، هو كلود ترسيه الفرنسى ، فاحبته ورضيت بان تتزوجه . ولكن هذا الزواج ايضا لم يتم . واما ترسيه ، فقد انخرط فى الجندية وأصبح ضابطا برتبة « جنرال » واشترك فى مؤامرات ضد نابوليون . وعندما جلست يابيت ــ اى جوزفين ــ على عرش فرنسا ، ادعى الرجل انه كان عشيقها فى جزيرة مارتينيك !

وبعد فشل مشروعات الزواج فى الجزيرة ، تقرر أن تسافر يابيت الى فرنسا ، حيث كانت تقيم عمتها مدام رنودان ، التى مهدت السبيل لابنة اخيها لكى تتزوج شابا من أسرة نبيلة معروفة يعرف باسم « الكسندر دى بوهارنيه »

وفى صيف ١٧٧٩ ، سافر جسبار مع ابنته يابيت الى فرنسا . وفى السنة ذاتها ، سافر ايضا الى فرنسا ، من جزيرة كورسيكا ، صبى فى العاشرة من العمر ، يدعى نابوليون بونابرت ، كان يطمع فى ان يصبح ضابطا فى الجيش الفرنسى

وكانت يابيت فى السادسة عشرة من العمر

زواج غير موفق

عقد الزواج فى ١٣ ديسمبر من تلك السنة . وكان الكسندر فى التاسعة عشرة من عمره. واصبحت يابيت «فيكونتس دى بوهارنيه» ولكن مساوىء الزوج الشاب تجلت لها بعد وقت قصير . فقد كان الكسندر طائشا ، لا يعرف الوفاء ولا يدرك واجبات الزوج . وجعل منذ الاسبوع الاول يهمل عروسه الفاتنة . ولم تؤثر فيه نصائح ابيه الكونت ، وصديقة ابيه مدام دى رنودان ، عمة يابيت

وفى ٣ سبتمبر ١٧٨١ ، رزق الزوجان ولدا سمياه «اوجين روز» . ولكن مجىء هذا المولود الاول لم يحمل الزوج على تغيير مسلكه ، فظل يتنقل من مكان الى مكان ، ومن عشيقة الى اخرى ، مما ب يابيت تقول فى كثير من المرارة : « منذ زواجنا ، لم اقم انا وزوجى تحت سقف واحد ! »

وفى سنة ١٧٨٢ ، سافر الكسندر الى جزر الأنتيل ، موطن زوجه ولكن برفقة احدى عشيقاته ، تاركا الزوجة المهملة فى باريس ، تنتظر مولودا جديدا

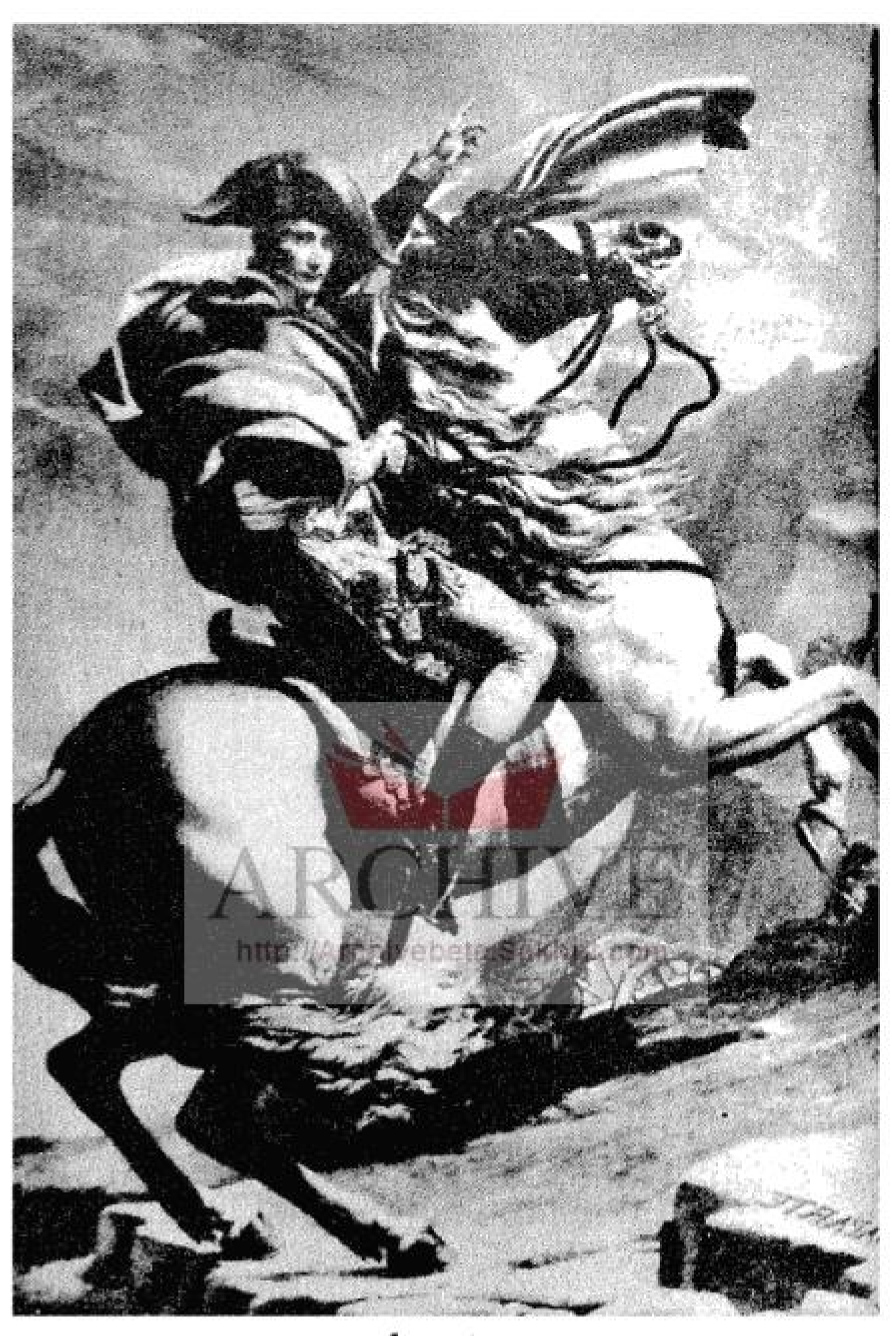
وفى ١٠ ابريل ١٧٨٣ ، وضعت يابيت طفلة سمتها « هورتانس أوجينى » . ولكن الزوج الطائش لم يعد اليها بعد هذا الحادث السعيد

وبدات سلسلة جديدة من المتاعب والمعاكسات فقد وردت اخبار من الأنتيل بان الكسندر يستغرق فى اللهو والملذات . ثم اختلف مع عشيقته ، فتركته وعادت الى فرنسا . وساءت حالة الزوجة المالية لانقطاع الموارد عنها . وفجاة ، عاد الزوج من الجزر البعيدة ، ولم يبق امامه غير الفراق ، بعد ما بلغ الجفاء بينه وبين يابيت اقصاه . واتهم الكسندر زوجه بالخيانة زورا وبهتانا ، وانتهى الامر بينهما بالفراق التام . ومرض جسبار دى لاباجرى فسافر عائدا الى جزيرته ، حيث ساءت ايضا صحة مدام دى لاباجرى وابنتها الثانية ماتيت . فقررت الزوجة الشابة أن تترك ابنهـا أوجين فى احدى المدارس ، وتلحق بأبيها وامها فى جزيرة مارتينيك

وفى يوليو ١٧٨٨ ، سافرت الأم والفتاة ومكثتا فى الجزيرة سنتين كاملتين . وهناك بلغتهما الاخبار المقلقة عن قيام ثورة فى فرنسا . فرات يابيت ان عودتها اصبحت ضرورية . وفى سنة ١٧٩٠ ، ركبت السفينة مع هورتانس . . .

ونزلت فى ميناء طولون !

وفى ذلك الوقت ، كان الضابط بونابرت فى طولون ايضـا ، يخطو الخطوات الاولى نحو المجد . ونحو تحقيق النبوءة التى ذكرتها الزنجية فى الجزيرة الصغيرة : « ستصبحين اكبر من ملكة ! »



« ترك بونابرت زوجته وانطلق على رأس جيشه إلى ايطاليا »

الثورة وعهد الارهاب

عادت يابيت ـ أو ماري روز ـ الى فرنسا ، وهي فى السابعة والعشرين ، أى فى السن التي تكتمل فيها صفات المرأة الجميلة . وقد ألفت جميع أنواع التبرج والاغواء ، وكشفت أسرار الحياة ، وعرفت كيف يجب ان تسلك المرأة فى مجتمعات باريس للتأثير فى الرجال وحملهم على اجابة مطالبها . وقررت أن تشق لنفسها طريقا فى معترك الحياة ، معتمدة على ما حباها الله من سحر وجمال . وكانت علاقاتها قد انقطعت بزوجها الكسندر ، وان كان أبوه قد ظل يعطف عليها ويوالي نصحه لها ، مع العمة رنودان

أما الكسندر ، فقد ألقى بنفسه فى غمار السياسة ، وانتخب عضوا فى مجلس النواب ، ثم رئيسا للجمعية التأسيسية التيوضعت نصوص الدستور سنة ١٧٩١ . وعاد الى الجيش . وكان سلوكه قد زاد سوءا ومن وقت الى آخر ، كان الرجل يزور ولديه ، فيلتقى بزوجته السابقة ، ولكن الصلة بينهما لم تلتئم مرة أخرى

وتلقت ماري روز بحزن شديد خبر وفاة أبيها فىجزيرة مارتينيك، عام ١٧٩٠ ، ثم وفاة أختها مانيت فى العام التالى ، وكانت أمها قد سبقتهما الى العالم الآخر ، فاصبحت ماري روز الوحيدة التى بقيت على قيد الحياة من الاسرة النبيلة الصغيرة

ومن أظهر دلائل الطيبة عند هذه المرأة العجيبة ، دفاعها عن زوجها السابق الكسندر ، عندما اعتقل بتهمة التآمر على سلامة الجمهورية ، فقد بذلت جهدا عظيما لاخراجه من السجن ، ولكنها فشلت ، وألقى القبض عليها ، هى أيضا ، بناء على وشاية دنيئة . ومن أغرب المصادفات انها ارسلت الى المعتقل الذى كان زوجها السابق سجينا فيه . وفى هذا المعتقل أيضا ، عرفت ماري روز « لازار هوش » الذى احبها واحبته ، وهناك أكثر من دليل واحد على علاقاتهما الغرامية

وتمكنت ماري روز من اثبات براءتها من التهمة الموجهة اليها ، فخرجت من المعتقل . ولكن الكسندر لم يعرف التوبة فى ميدان السياسة كما أنه لم يعرف التوبة فى مضمار الزواج . وقد حوكم وحكم عليه بالاعدام فى عهد الطاغية روبسبيير ، واعدم مع ٤٥ شخصا من شركائه فى المؤامرات ، ولم تعلم ماري روز بخبر اعدامه الا بعد أربعة أيام ، عندما سقط روبسبيير عن عرشه . وقد كتب الكسندر الى زوجه السابقة ، قبل موته ، خطابا يودعها فيه ويودع ولده وابنته، ويعترف باخطائه الفائتة !

فى عهد باراس

خرجت « مدام بوهارنيه لاباجرى » كما كانت تسمى نفسها ، من

سجن « الكارم » في ٦ اغسطس سنة ١٧٩٤ . وذهبت الى الدار التى تركت فيها ابنها اوجين وابنتها هورتانس مع صديقتها مدام ديلانوا . ووجدت نفسها في حالة من البؤس تدعو الى اليأس . فان املاك زوجها قد صودرت ، ومواردها من الجزر انقطعت ، وليس لها أحد تعتمد عليه من الاهل . وفي هذه الظروف الحرجة ، وجدت ماري روز امامها رجلين عرضا عليها مساعدتهما المادية والادبية : لازار هوش، الذي احبته في السجن، والذي عين قائدا عاما لجيش«الفانديه». وصديقا قديما يدعى ايمري ، صاحب مصرف في مدينة دنكرك. وكانت مساعدة هذين الرجلين قيمة بالنسبة اليها ، لانها مكنتها من الانفاق على نفسها وعلى ولديها ، ريثما تنجح المساعي التى بذلتها لالغاء امر مصادرة املاك زوجها التى آلت اليها والى ولديها

وعرفت ماري روز ، في صالونات باريس ، معظم اولئك الذين كانوا يديرون شؤون فرنسا في ذلك الوقت ، ومن بينهم بونابرت ، وتاليان وزوجه تيريزا الجميلة ، وباراس ، وغيرهم . وفي سنة ١٧٩٥ ، كانت مدام دي بوهارنيه قد أصبحت عشيقة لأقوى الفرنسيين نفوذا ، وهو باراس . وقد عاشت معه عيشة زوجية ، على مرأى من الجميع ، ولم يكن أحد يجهل نوع العلاقة القائمة بينهما . وقد أجمع الذين دونوا حوادث الثورة الفرنسية الكبرى ، على القول بأن ماري روز خدمت أصدقاءها ومعارفها واهلها وجميع ذوي الحاجات الذين قصدوها ، لدى عشيقها باراس ، وكانت كثيرة الالحاح عليه لقضاء ما تطلبه خدمة للغير

وعاشت مدام دي بوهارنيه ، بفضل باراس ، عيشة بذخ وترف . ولكن هذا العهد لم يدم طويلا . فان باراس ـ وكان قد جاوز الاربعين ـ جعل يميل الى تيريزا الجميلة ، زوجة صديقه تاليان. وكانت تيريزا من احب صديقات ماري روز اليها . وكان الاقدار شاءت الا أن تلقى في طريق مدام دي بوهارنيه ، في الوقت الذي اهملها فيه باراس ، رجلا آخر يتولى العناية بها ، وهو الجنرال بونابرت . فقد عرفته ماري روز في نهاية السنة التي فتر فيها شعور باراس نحوها

ويغلب على الظن أن التعارف قد تم بين القائد الشاب والكونتس الجميلة ، في صالونات باراس وتاليان . ولم تعر المرأة التفاتا في بادىء الامر الى الضابط بونابرت ، الفقير ، الذي لا يعرفه غير القليلين من المشتغلين بالشؤون السياسية والحربية . ولكن حدث فيما بعد أن عهد اليه صديقه باراس ، وهو حاكم فرنسا الفعلي ، باعادة النظام الى باريس ، على أثر فتنة قامت بها بعض العناصر المشاغبة ، فنجح القائد في مهمته نجاحا فائقا ، واصبح بين يوم وليلة من اشهر قواد فرنسا على الاطلاق . فقد انقذ الجمهورية من الانهيار ، وتطلعت اليه الانظار

من جميع انحاء فرنسا . وأدركت مارى روز ان هذا الرجل سيلعب دورا كبيرا فى المستقبل ، فعولت على مصادقته

وفطن باراس الى ذلك فمهد السبيل للاثنين كى يجتمعا فى داره .

وحدث بعد احدى السهرات ، أن عرض الضابط بونابرت على مارى روز وابنتها مرافقتهما الى بيتهما . وعندما ودعهما عائدا فى آخر الليل ، ألحت عليه مارى روز أن يزورها قريبا . فقبل ونفذ وعده . ومنذ ذلك الوقت ، ارتبط مصير القائد الذى سيصبح أمبراطورا ، بمصير المرأة التى جاءت مثله من جزيرة نائية ! فقد واصل بونابرت زياراته ، وأحب تلك المرأة حبا جما ، لم تبادله مارى روز بمثله . ولكنها شجعته على المضى فى مغامرته ، رغبة منها فى أن يستقر بها الحال ، وأملا فى أن يصبح هذا القائد المحظوظ زوجها فى المستقبل

وعاشرها بونابرت معاشرة الزوج لزوجه . وهو الذى أطلق عليها اسم « جوزفين » بدلا من مارى روز أو يابيت ! ومنذ ذلك العهد يبدأ تاريخ الرسائل الغرامية الفريدة ، التى كان يكتبها اليهـا من باريس ومن البلدان التى غزاها بجيوشه : « ... اننى أصحو من نومى وصورتك امام ناظرى ... أنت يا من لا مثيل لها بين النساء .. لقد تركت على شفتى أثرا من نار تحرقنى ... ان فمى ، وقلبى ، وكل شىء فى يلتهب !.. ابعث اليك بألف قبلة ، ولكن ارجو الا تقبلينى انت ، لان قبلاتك تجعل دمى يغلى فى عروقى ! »

زوجة الجنرال بونابرت

كان يسميها « جوزفين » فى خلوته بها .. ثم أطلق عليها هـذا الاسم علنا أمام الناس . وكانت تسميه « بونابرت » باسم أسرته . وظلت تناديه بهذا الاسم حتى بعد ارتقائه العرش ووضع تاج الملك على رأسه ورأسها ...

الجنرال يقيم فى دار فخمة بشارع كابوسين . وجوزفين تقيم فى بيتها المتواضع بشارع شانترين . ولكن بونابرت لا يمكث فى بيته غير الوقت اللازم لقضاء أعماله ، لان مركز قيادته هناك . ثم يفلت مسرعا الى بيت عشيقته . وهو غيور شديد الغيرة ، لا يطيق أن يرمق احدا من معارفه وأصدقائه تلك المرأة التى احبها ، بابتسامة او نظرة . واذا حالت أشغاله الكثيرة دون زيارة جوزفين يوما واحدا ، فانه يبعث اليها باحدى تلك الرسائل الملتهبة ، المفعمة وجدا وهياما ...

وقد ذهب بعض المـؤرخين الى ادعاء ان بونابرت لم يكن يحب جوزفين حبا خالصا من الاغراض . ولكن هذا الادعاء كاذب . فلم يكن هناك شىء واحد يدفع القائد الى أحضان امراة تكبره سنا ، ولها

ولدان من زوج سابق ، ولا تتمتع بسمعة خالية من الشوائب ، غير الحب الاعمى الذى لا يحسب حسابا لغير العاطفة

تطورت العلاقات بين الرجل والمرأة تطورا سريعا ، فجعل بونابرت يفكر فى تدعيم هذه العلاقات وربطها برباط الزوجيــة . وساعده باراس فى ذلك ، املا منه فى ان يتخلص نهائيا من المرأة التى كانت من قبل عشيقته . ولكن جوزفين كانت تتردد ، متسائلة : هل الحكمة تقضى عليها بأن تتخذ بونابرت زوجا ، او تبقيه عشيقا ؟

انه فى السادسة والعشرين ، وهى فى الثالثة والثلاثين. .افلا يجمل بها اذن ان تفكر طويلا قبل الاقدام على الخطوة النهائية ، والارتباط بعهد لا انفصام له ؟

غير أن باراس كان يبدد مخاوفها قائلا : « لا تخشى شيئا .. فلكل حالة من الحالات علاجها . وسنتخذ لكل احتمال عدته ! »

وكانت جوزفين من ناحية اخرى تكثر من الوقوف امام المرآة ، وامعان النظر فى ملامح وجهها ، فتدرك أن الوقت قد حان لوضع حد لحياتها المضطربة ، فترد قائلة لنفسها : « يجب ان اتزوج اليوم .. قبل أن يفوت الوقت ! »

ولم يكن هناك غير رجل واحد من اصدقائها لا يوافق على هــذا الزواج ، وهو الاســتاذ راجيدو كاتب العقود ، الذى كان يرى ان الزوج رجــل عسكرى لا امل له فى الوصــول الى حالة من الثراء والوجاهة تكفل لزوجه عيشا رغدا ..!

وفى ٨ مارس ١٧٩٦ ، كتب عقد الزواج وانتهى الامر ، واصبحت مارى روز دى لاباجرى ، كونتس دى بوهارنيــه ، تدعى « مدام الجنرال بونابرت ! » ودون فى العقد أن الزوجة ولدت فى ٢٣ يونيو ١٧٦٨ ، وأن الزوج ولد فى ٢٤ يونيو ١٧٦٧ ، أى ان نابوليون اكبر من جوزفين بسنة واحدة ، فى حين أنها فى الواقع اكبر منه بسبع سنوات

ولم يدم « شهر العسل » غير يومين وليلة !.. فان بونابرت ترك زوجه للانطلاق على رأس جيشه الى ايطاليا ، حيثأحرز انتصاراته الخالدة الاولى . وبدأت جوزفين تتساءل اذا كانت قد احسنت صنعا بعقد هذا الزواج ام اخطأت . ولم يكن فى وسعها أن تدرك ، وهى العصفور الصغير الذى جاء من الجزر الامريكية البعيدة ، الى اى طبقة من طبقات الجو يستطيع النسر ان يحلق ! وكل ما شعرت به ، امام انطلاق زوجها فى طريق المجد والشهرة ، هو ان الرجل الذى تزوجته قد ابتعد عنها بعد الزواج بيومين !

وبدأت مرحلة من مراحل القلق والاضطراب ، وهى مرحلة ندرك اسبابها اذا تعمقنا فى دراسة طباع المرأة وعقليتها وميلها الى الزهو

من ايطاليا ، كتب بونابرت الى زوجه سلسلة من تلك الرسائل الغرامية التي اشرنا اليها، والتي تعد من روائع هذا النوع من المراسلة. وكان يبعث اليها رسالة كل ثلاثة ايام ، مع رسول خاص ، أو مع زميل من زملائه ، أو جندي من جنوده العائدين الى الوطن . اما هي، فلم تكن ترد على رسائله بانتظام ، بل انها لم ترد عليها الا نادرا ، وبكلمات مقتضبة عادية . وكان بعد كل معركة ، وبعد كل نصر ، يزداد شوقا اليها ويعدها بانه سيرسل في طلبها لكي توافيه الى ايطاليا . غير ان هذه الفكرة لم تعجبها ، بل بعثت الخوف الى نفسها.. فالسفر بعيد شاق ، .وما الداعي الى اللحاق ببونابرت ؟ الانه زوجها ؟

كتب اليها عشرات الرسائل ... وهذا ما جاء في بعضها :

« كل لحظة تطيل الشقة بيني وبينك . وكل لحظة تفقدني بعض القوة على احتمال هذا البعاد ...

« لم يمر بي يوم واحد لم أشعر فيه بأنني احبك ... ولم تمر بي ليلة واحدة لم اضمك فيها بين ذراعي ...

« ان رسالتك الاخيرة باردة كالصداقة . فانني لم أجد فيها النار التي تشعل النظرات ، والتي خيل الي في وقت من الاوقات انني رأيتها في عينيك ...

« تعالي ... تعالي ... ان مجرد التفكير في انك ستجيئين الى يملأني فرحا ... ان حبي يزداد مع الايام ، واذا كان الفراق يشفي الانسان من الحب الضعيف ، فانه يزيد الحب القوي اشتعالا »

ولكن ، اين كانت جوزفين ، وماذا كانت تصنع ، بينما كان زوجها يخوض غمار المعارك ويكتب اليها هذه الرسائل الغرامية ، ويلح عليها باللحاق به الى ميلانو ؟

كانت تنتقل من ناد الى ناد ، ومن مجتمع الى مجتمع ، وتصغى بارتياح وسرور الى ما يغدقه عليها الناس من آيات المديح والثناء . فهي زوجة البطل الذي رفع سمعة فرنسا واعاد الى الجيش تقاليده المجيدة . وهي المرأة التي بدأ الناس يتزلفون اليها لانها زوجة ذلك القائد العظيم ...

وتتابعت الرسائل :

« ستصلين قريبا الى هنا .. سأضمك الى قلبي .. سأقبلك.. تعالي ! طيري في الحال !

« انه يوم سعيد ، ذلك اليوم الذي تجتازين فيه جبال الألب في طريقك الي. ان مجيئك هو اعظم مكافأة اتمناها لما أحرزته من انتصارات وتحملته من متاعب ! »

ولكنها لا تريد أن تسافر .. لا تريد أن تلحق به . ولكي تضع حدا لالحاحه ، وتنتحل عذرا لترددها وامتناعها ، عمدت الى حيلة فيها ما فيها من مكر وكذب وخداع . فقد ادعت أنها تنتظر حادثا سعيدا ، وان السفر يتعبها ... وكيف تسافر وهي تحمل في احشائها ثمرة حب الرجل الذي يلح عليها بالسفر ؟

صدق نابوليون ان زوجه حامل . وطار فرحا لهذا النبأ السار ، فقد كانت امنيته أن يكون له ولد يشبه امه جوزفين !

فكتب يقول :

« أصحيح ما قيل لي ؟ أصحيح هذا ؟ اذن ، اعمدي الى الراحة .. ستلدين ولدا جميلا مثل امه ، يحبك مثل ابيه ! »

لم تكن جوزفين حاملا ، بل كانت منغمسة في حب اليم ، مع ضابط يدعي شارل هيبوليت ، لم يكن فيه شيء من الصفات التي يمتاز بها بونابرت . وكل ما يعرف عنه ، انه يغشي المجتمعات ويروى النوادر والنكات للنساء الجميلات

غير انها لم تستطع تجنب السفر الى النهاية ، وعلى الخصوص بعد أن علمت ان بونابرت ادرك انها ليست حاملا ، وبعد ما بلغها من انباء غضبه وثورته . وقد تدخل باراس ، صديقها السابق في الامر ، واقنعها بوجوب الرحيل للحاق بزوجها ، فسافرت في ٢٥ يونيو ١٧٩٦ ومعها جوزيف بونابرت ، اخو نابوليون ، وجونو ، وخادمها ، وكلبها ، وعشيقها شارل هيبوليت !

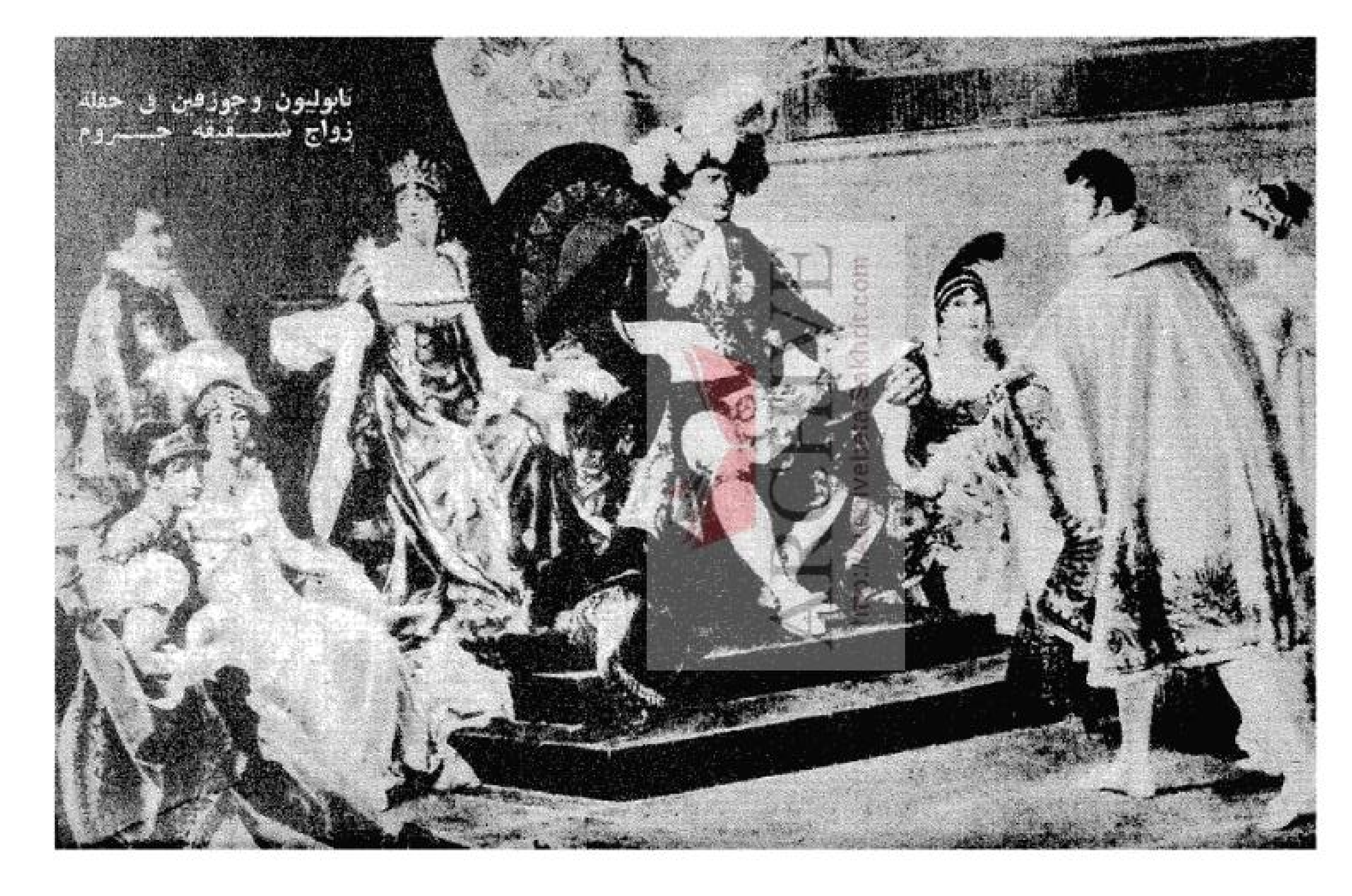
نزلت في قصر سربيلوني بميلانو ، وكان زوجها يقاتل في مانتوا . فغادر الميدان للقاء زوجه وقضاء ساعات معها . ورفضت ان تذهب الى ابعد من ميلانو ، فتركها نابوليون في قصرها وعاد الى جيشه ، حيث قاده الى معارك جديدة وانتصارات جديدة

وليس هناك ما يثبت أن بونابرت علم بعلاقة شارل هيبوليت بزوجه . ولكنه تضايق من تردد هذا الضابط عليها ، ومن الحاحها المستمر بوجوب مساعدته وتسهيل اعماله . واخيرا ، أقدم شارل على ارتكاب سرقة في ادارة تموين الجيش ، فقبض عليه . وكل ما استطاعت جوزفين أن تصنعه هو ان تنقذه من الاعدام وتعيده الى باريس

وبعد قضاء اسابيع في مدن ايطاليا ، عادت جوزفين الى العاصمة ، وعاد اليها بونابرت أيضا ولكن من طريق آخر . والتقى الزوجان في باريس ، حيث أقاما في بيت جوزفين بشارع شانترين

حملة مصر

بدأ نابوليون يظهر عدم ارتياحه لسلوك زوجه ، ويؤنبها على عدم الاصغاء الى نصائحه وارشاداته والخضوع لاوامره . ولكن الظروف



نابوليون وجوزفين في حفلة
زواج شــقيقه جــروم

لم تترك له الوقت الكافى لمحاولة اصلاح العيوب التى لمسها فيها .. ففى شهر مايو سنة ١٧٩٨ ، سافر على راس حملة فرنسية الى مصر، تاركا جوزفين مرة اخرى وحدها فريسة لميولها وغرائزها

وعادت المراة الى سابق سيرتها . وعاذ اليها شارل هيبوليت مسترحما قائلا ان معاملة بونابرت له القته فى احضان البؤس والفاقة . فساعدته جوزفين ، وحلت باراس على التدخل لاعادته الى الجيش ، ثم جعل الشاب يتردد عليها فى قصر مالميزون الذى اشترته واقامت فيه ، وما مرت أسابيع حتى كانت علاقتها قد عادت الى ما كانت عليه من قبل ، مع الضابط المهرج !

اما بونابرت ، فانه لم يكثر من الكتابة اليها من مصر ، كما كان يفعل وهو فى ايطاليا . ولم تكن الرسائل القليلة التى كتبها اليها مفعمة بعبارات الحب وعواطف الهيام كسابقاتها . ذلك لأن القائد لم يعد فى وفائه واخلاصه ذلك الزوج المتيم الذى عرفته جوزفين . فقد أدرك أن عيوب زوجه لا سبيل الى اصلاحها ، وانها لا تقابل حبه بمثله ــ علاوة على انه وجد فى مصر من ينسيه البعاد ! فقد علق بونابرت بحب « بولين » زوجة الضابط فوريس ، المعروفة باسم « بليلوت » ونقلها الى قصره بالازبكية ، حيث عاش معها على مراى من رجال الجيش

ثم ان الأنباء التى وصلته من فرنسا عن سلوك زوجه ، وانغماسها فى الضلال ، وعدم وفائها له ، جعلته يفكر فى طلاقها وهو فى مصر ، ومن غرائب المصادفات، ان بعض اصدقاء جوزفين فى فرنسا، أشاروا عليها أيضا بأن تطلب الطلاق ، لان زوجها يخونها فى مصر . وقد راقت لها الفكرة فى بادىء الامر ، وأوشكت أن تعقد اتفاقا مع شارل هيبوليت ، على أن تتزوجه بعد طلاقها ! اما بونابرت ، فقد فكر فى اتخاذ بولين فوريس زوجة له ، بعد طلاقها من زوجها !

غير أن هذه المشروعات كلها لم تنفذ ، لا من هذا الجانب ولا من ذاك . ولو نفذت ، لاصبحت بولين فوريس أمبراطورة فرنسا ، ولأصبحت جوزفين مدام هيبوليت !

ولكن ، كيف يمكن أن يتم هذا ، والزنجية الامريكية قد تنبأت للفتاة الصغيرة يايت ، فى جزيرة المارتينيك ، بأنها ستصبح « أكبر من ملكة ! »

العودة من مصر

فى أحد ليالى أكتوبر ١٧٩٩ ، دعيت جوزفين لتناول العشاء عند باراس ، وشكت اليه انقطاع الاخبار عن زوجها ، وانه لم يكتب لها منذ سبعة أشهر . فقال باراس :

ــ تريدين اخبارا عن زوجك ؟ لقد تلقينا منذ لحظة نبا عودته الى

فرنسا . فقد وصل الى ميناء فريجوس أمس الاول .. وبعد يومين سيصل الى باريس !

واستولى القلق على جوزفين .. انها تجهل الاسباب الحقيقية التي حملت بونابرت على العودة فجاة الى فرنسا ، ولم تدرك أن انهزام الجيوش الفرنسية في المانيا ، وتعقد الأزمة الداخلية ، وعدم استقرار الحكم في باريس ، كل ذلك يثير اهتمام القائد ، ويستحثه على العودة الى العاصمة لمعالجة الحالة . ولهذا فقد اعتقدت ان زوجها لم يترك مصر خلسة ، ولم يرجع مسرعا الى فرنسا ، الا لكي يقتص منها ويعاقبها على طيشها وعدم وفائها !

وارادت أن تقطع عليه الطريق وأن تسرع الى لقائه قبل أن يصل الى باريس . فاصطحبت معها ابنتها هورتانس ، وانطلقت الى فريجوس . ولكنها ، عندما وصلت الى ليون ، علمت أن بونابرت سلك الى باريس طريقا غير الذي سلكته . فعادت على أعقابها ، ووصلت الى باريس بعد أن كان بونابرت قد وصل اليها !

أما نابوليون ، فانه اعتقد ، عندما نزل من مركبته ولم يجد زوجه في انتظاره ، انها غائبة في مكان ما مع أحد عشاقها ، لانه كان قد استوثق من صحة الاخبار التي وردت اليه عنها وعن علاقاتها الأثيمة بغيره من الرجال ، ولانه بدأ يشعر بأنه لم يعد يحبها

ورفض أن يقابلها ، وأعرب لأصدقائه عن رغبته في طلب الطلاق . ولكن هورتانس وأوجيني بكيا أمامه . وكولو ، أحد أصدقائه الاوفياء، قاوم فكرة الطلاق قائلا : ان الوقت غير مناسب لتنفيذها ، وان الرجل الذي يرى المستقبل الباهر الذي ينتظره ، والذي جاء من مصر ليقطف في باريس ثمرة انتصاراته في الحروب ، لا يقدم على عمل قد يؤثر في سمعته .

لكن بونابرت كان عنيدا .. فقد رضى بأن يؤجل طلب الطلاق . على شرط أن تظل زوجه بعيدة عنه لانه لا يريد أن يراها . غير ان المراة كثيرة الحيلة .. فقد أخذت جوزفين ابنها وابنتها الى بونابرت ، وظلت تطرق بابه وتبكي مع ولديها ، حتى رق قلب الرجل وفتح الباب ! عفا بونابرت عن جوزفين !

حصر فكره في الاهداف السياسية التي جاء يسعى اليها . وراح يمهد السبيل لاحداث الانقلاب المعروف بانقلاب « ١٨ برومير » . ونجحت خطته وخطة اعوانه ، وعلى راسهم اخوه لوسيان بونابرت

وأصبح القائد الشاب « القنصل الاول » مع زميليه سيايس ودوكو وقال لزوجه وهو ينبئها بما حدث :

ـ غدا سننام في قصر لكسمبورج !

قصر لكسمبورج ؟ أن جوزفين تعرفه ، لان صديقها باراس كان

يدعوها اليه . والاقامة فى قصر لكسمبورج معناها الظهور بمظهر الملكات !

انها الخطوات الاخيرة نحو العرش !

سلم العرش

فى ١٩ فبراير سنة ١٨٠٠ ، انتقل بونابرت ، القنصل الأول ، الى قصر لكسمبورج مع زوجه جوزفين وولديها . ومنذ ذلك اليوم ، جعل بونابرت يقسو عليها ويضايقها ، ويراقبها ، لكى تنفذ بدقة وامعان كل ما يمليه عليها . وطرا على جوزفين تغيير تام ، كأن الانقلاب السياسى قد أحدث فى نفسها ايضا انقلابا خلقيا وعاطفيا . فقد حرصت منذ انتقالها الى لكسمبورج على تحقيق رغبات زوجها بلا تردد . واحاطت نفسها بالحاشية التى اختارها لها ، وانصرفت الى اعمال الاحسان ، والى العناية بالشؤون الخاصة والعامة على الوجه الذى اشار به نابوليون . وحسنت علاقاتها باسرة زوجها التى لم تكن تحبها ، وفكرت فى ان تجد بين اخوة نابوليون زوجا لابنتها هورتانس ، وقد بلغت السابعة عشرة من العمر

واشرفت جوزفين على اعداد ردهات القصر للاقامة . كما اعدت قصر تويلرى، مقر ملوك فرنسا، للانتقال اليه مع نابوليون والقنصلين سيايس ودوكو

ولعبت جوزفين الدور الذى املاه عليها زوجها على احسن وجه ، وعادت العلاقات الودية بينهما ، شيئا فشيئا ، الى ما كانت عليه من قبل . ونسى نابوليون أو تناسى ، لأغراض سياسية ، اخطاء زوجه الماضية

وفى ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٠٠ ، وقع حادث الاعتداء على نابوليون ، المعروف بحادث « الجهاز الجهنمى » والذى نجا منه القنصل الاول باعجوبة . وعندما جلس مع زوجه فى مقصورته الخاصة ، بدار الاوبرا ، بعد وقوع الحادث بدقائق ، مال على جوزفين ، وهمس فى اذنها : « أنت نجمى السعيد ! »

كان نابوليون يعتقد أن جوزفين جلبت له الحظ وظل على اعتقاده هذا ، حتى بعد أن طلقها وتزوج مارى لويز النمساوية

وفى ٤ يناير ١٨٠٢ ، احتفل بزواج هورتانس دى بوهارنيه ، ابنة جوزفين من زوجها الاول ، والكولونيل لويس بونابرت ، شقيق نابوليون.ولم يكن هذا الزواج موفقا .. فقد عاش لويس وهورتانس فى شقاق دائم . ولكن الاقدار شاءت أن يصبح احد أبنائهما ، لويس نابوليون ، امبراطورا على فرنسا باسم نابوليون الثالث ، سنة ١٨٥٩ ومما جعل نابوليون يسدل نهائيا ستار النسيان على الماضى ، عودة

السلام الى فرنسا . فقد انتهت الحروب جميعها فى عهد القنصلية ، وانصرف نابوليون الى انجاز اعمال الاصلاح الداخلى التى كان يفكر فيها ، وكان يقول : « ان هذا كله بفضل جوزفين نجم السعادة ! »

الحياة العائلية

اراد نابوليون أن يكون له « بيت ريفى » يقضى فيه ساعات الراحة والهدوء . فوقع اختيار جوزفين على قصر مالميزون، وابتاعه بونابرت نزولا على رغبتها ، فانصرفت الى اعداده بكل ما اوتيت من ذوق سليم . وكان القنصل الاول وزوجه يقضيان جزءا من الاسبوع فى ذلك المقر الهادىء ، بين احضان الطبيعة ، ووسط الاشجار والازهار والرياحين ، ويدعوان أصدقاءهما لينزلوا ضيوفا عليهما فى مالميزون

وطلب سكان سان كلو من القنصل أن يقيم من وقت الى آخر فى القصر المعروف باسم بلدتهم ، والذى كان من قبل مقرا لملوك فرنسا ، فاجابهم بونابرت الى طلبهم ، وعهد الى جوزفين ايضا باعداد هذا القصر كما أعدت قصر مالميزون

وفى القصرين ، كان القنصل وزوجه يعيشان عيشة عائلية ، وحولهما الاصدقاء الاوفياء . غير أن قصر سان كلو ، كان مخصصا لمعظم الحفلات الرسمية ، والمآدب التى يحييها القنصل عملا بالتقاليد ومقتضيات المنصب . اما مالميزون ، فانه كان يعد فى نظر نابوليون وجوزفين « البيت » الذى يعيشان فيه بوصفهما زوجين ، لا قنصلا وزوجة قنصل

وقد انفقت جوزفين اموالا طائلة لتوسيع أملاكها حول قصر مالميزون .. وقد أعدت فيها الحدائق الغناء ، وجلبت الازهار النادرة من جميع أنحاء العالم ، والطيور المغردة من الشرق والغرب ، فحولت القصر الى جنة يكتنفها جو من الجمال والسحر

وكان نابوليون يدعو أصدقاءه الى الصيد فى غابات مالميزون ...

ولكن عاطفة الحب لم ترجع فى صدره الى سابق عنفها ، فى حين ان هذه العاطفة ، التى كانت ضعيفة عند جوزفين ، جعلت تتحول شيئا فشيئا الى أتون متاجج ...

هذه أحكام القدر .. حب يموت فى صدر ، وحب يحيا فى صدر آخر ...

كان نابوليون عاشقا ، وكانت جوزفين صديقة له . وها هو ذا نابوليون يتحول الى صديق ، وجوزفين تنقلب عاشقة مغرمة !

وفى تلك الفترة من الزمن ، لم يكتب بونابرت لزوجه رسائل غرامية كالتى كان يبعث بها من قبل ، عندما يبتعد عنها أياما أو شهورا .

ولكن جوزفين ارسلت اليه ، فى شهر نوفمبر ١٨٠٣ ، خطابا يعد كخطابات نابوليون ، آية من آيات المراسلة الغرامية بين حبيبين !

واذا دل هذا الخطاب على شىء ، فانما يدل على ان الخوف قد خالج قلب المرأة ، وانها ادركت اخطاءها السابقة ، وخشيت ان تكون توبتها قد جاءت بعد الاوان !

لقد عرفت جوزفين العذاب ، والبكاء .. وكان عذابها وبكاؤها يغذيان فيها خوفها من المستقبل : انها لم تحسن الاحتفاظ بقلب زوجها المفعم حبا ، فهل تستطيع الآن ان تحتفظ بهذا القلب وقد اصبح خاليا من الحب ؟

دموع جوزفين

كانت جوزفين تتألم لانها شعرت بالغيرة ، كما تألم زوجها من قبل عندما عضته الغيرة بأنيابها . ولكن الزوجة الغيور لم يكن فى وسعها ان تثور فى وجه الزوج . ذلك لان اتفاقا تم بين الاثنين ، على ان يمنحها عفوه ، وينسى ما فات ، على شرط الا تحاسبه هى فى المستقبل ، على ما يبدو منه فى مضمار الوفاء الزوجى « واحدة بواحدة ! » . على هذا الاساس نسى بونابرت الماضى . ولكنه اراد ان يحتفظ لنفسه بالحرية التامة فى علاقاته مع النساء !

انها لشروط قاسية . وقد تحتملها الزوجة فى بادىء الامر صاغرة . ولكنها تثور مع الايام اذا ما توالت الخيانات من الزوج !

ولم تكن خيانات نابوليون القنصل ، ثم نابوليون الامبراطور ، قليلة تافهة !

فقد احب بولين فوريس فى مصر ، واحب جيوزيبا جراسينى فى ايطاليا ، واحب لورجونو ، زوجة صديقه الجنرال جونو ، فى ماليزون . واحب مدام دى ريموزا ، وصيفة زوجه ، فى بلجيكا . واحب الممثلة مدموازيل جورج فى باريس . وبعد هذه الممثلة ، احب اثنتين من زميلاتها .. مدموازيل بورجوان ومدموازيل دوشنوا . ولم يهمل نساء القصر من وصيفات وغيرهن ، كمدام دوشاتل ، ومدام دى فورى ، ومدموازيل لونجروا ، ومدموازيل لاكوست ، واليونور دونويل ، التى رزق منها ابنا عرف فيما بعد باسم « الكونت ليون » . وجاء بعد اليونور رهط آخر من النساء الجميلات : كارلوتا جازينى ، ومدموازيل جيبو ، ومدام بالابرا ، الذى رزق منها ابنا آخر ، ومدام بارال ، ومدام ماتيس ، واخيرا مارى فالفسكا البولونية ، وهى أشهر عشيقاته ، وأم ابنه الثالث غير الشرعى ...

هؤلاء هن عشيقات نابوليون ، وهناك غيرهن ممن لم نذكرهن لقلة شانهن . وهذه العلاقات الأثيمة بين الرجل السائر فى طريق المجد ،

ونساء تناولهن فى طريقة حسب الظروف والاحوال ، جعلته يفكر فى أمر كان وما زال يشغل باله .. ان جوزفين لم تلد . وليس الذنب ذنبه هو ، ما دام قد رزق أبناء من عشيقاته . فالذنب اذن ذنبها
يجب أن تلد له جوزفين ابنا يحمل اسمه بلا وجل ولا عيب ، ويرث مجده من بعده ...
وشعرت جوزفين بما يخامر صدر زوجها من سلوك ومخاوف ومشاعر . وتضاعفت فى صدرها الغيرة القاتلة ، وراحت تتساءل اذا كان نابوليون سيعود الى فكرته السابقة ، فيطلقها ليتزوج غيرها من النساء اللواتى حملن منه وولدن ابناء !
وشعرت أيضا بأنه يسعى الى الملك ، ويطمع فى أن يرث ملوك فرنسا ويضع تاجهم على راسه . وادركت ان هذا — اذا تم — سيكون الضربة القاضية عليها ، لان زوجها الملك سيسلك جميع الطرق لحصر وراثة العرش فى سلالته ، اى فى أبنائه .. وهى لم تنجب له أبناء !..
وعندما اتضح لها من اعماله انه منصرف الى تحقيق هذا المطمع ، وبلوغ هذا الهدف ، بكت بكاء مرا ، وألقت بنفسها على قدميه صائحة :
« بونابرت ! ارجوك ! لا تجلس على العرش ! لا تجعل نفسك ملكا ! »
فالملك اذن كان يخيفها . والعرش كان يبعث الرعب فى نفسها . ولكن ، الا يجب ان تتحقق نبوءة الزنجية فى جزيرة مارتينيك ، فتصبح جوزفين « أكثر من ملكة ؟ »
ففى ١٨ مايو ١٨٠٤ ، عقد مجلس الشيوخ جلسته التاريخية ، ونادى بنابوليون بونابرت امبراطورا على الفرنسيين ، باسم نابوليون الاول ...
وتحققت النبوءة ..!
وفى مساء ذلك اليوم ، اختلت الأم بولديها ، وراح الثلاثة يفكرون فيما وصلوا اليه : جوزفين امبراطورة فرنسا ، وهورتانس صاحبة سمو ، وأوجين أمير أمبراطورى بلقب فارس عظيم !

التاجان

بعد أن قضى الامر ، خشيت جوزفين ان يقرر نابوليون ، قبل الاحتفال بتتويجه ، أبعادها عن العرش واتخاذ زوجة اخرى تتوج معه امبراطورة . ولكن مخاوفها تبددت عندما قال لها زوجها :
— سيجىء البابا بيوس السابع الى باريس ، ليتوجنى وليتوجك . فاستعدى لهذه الحفلة !
وعندما وصل البابا الى العاصمة ، كشفت له جوزفين عن سر كتمته فى صدرها ، وهو أن زواجها بنابوليون لم يكن زواجا دينيا ، وانها ما رضيت بالارتباط فقط بعقد مدنى ، الا لأن الظروف قد

نوليون وزوجته الثانية مارى
ابنة امبراطور النمسا



أرغمتها على ذلك . فهدأ بيوس السابع روعها ، وعهد الى الكردينال فيش ، عم نابوليون ، بان يبارك الزواج ويربطه بالرابطة الدينية . فتم ذلك فى حفلة عائلية لم يحضرها غير بضعة اشخاص من أقارب الزوجين

واطمأنت جوزفين ! فان نابوليون لن يطلقها بعد الآن ، ما دام الزواج المدنى قد أصبح دينيا ، غير قابل للنقض !

واحتفل بتتويج الامبراطور والامبراطورة فى كتيبة نوتردام ، واراد نابوليون فى تلك الحفلة ، ان يثبت للعالم انه لم يرث التاج عن أحد ، ولم يأخذه من يد أحد ، بل اكتسبه بحد السيف ، فلم يوافق على أن يتوجه البابا ويتوج معه الامبراطورة ، بل تناول التاج بيده ، ووضعه على راسه ، ثم تناول التاج الثانى ، المعد لجوزفين ، ووضعه بيده على راس زوجه . وكان البابا يراس الاحتفال بوصفه شاهدا فقط ، ثم نهض والقى كلمة بارك بها التتويج والتاجين والمتوجين !

وتوالت الحفلات والاستقبالات فى جميع أنحاء فرنسا . . .

وبعد شهرين ، سافر نابوليون الى ايطاليا ، ليتوج نفسه ملكا عليها ، ويضع على راسه تاجا ثانيا ، هو تاج ملوك لومبارديا التاريخى . ولم تتوج جوزفين معه فى ميلانو . ولكنها بكت عندما أعلن نابوليون تعيين ابنها أوجين نائبا للملك فى ايطاليا ، وحاكما عاما لهذه البلاد باسم الامبراطور الملك

وعاد الزوجان المتوجان الى فرنسا . . .

وعاد نابوليون الى اهمال جوزفين الزوجة ، والتلهى بالنساء الحائمات حوله . ولكن جوزفين ، بعد أن اطمأنت على ارتباط زوجها بالعقد الدينى ، كانت تقول : « ليذهب الى حيث يريد ، ما دمت واثقة انه سيعود الى ! »

خمس سنوات فقط

جلست جوزفين التى اصبحت « اكثر من ملكة » خمس سنوات على العرش . ولكن هذه السنوات الخمس كانت كافية لجعل اسم الامبراطورة الجميلة يتلألأ بين ألمع اسماء الملكات . فقد رفع نابوليون مجد فرنسا الى أوجه . وكانت جوزفين جديرة بالمنصب الذى شغلته ، والذى ملأته بصورة تدعو الى الاعجاب . . .

كان عمرها عندما توجت ٤١ سنة . وعندما طلقها نابوليون ٤٦ سنة !

احاطها زوجها بجميع مظاهر الابهة والعظمة ، ومقتضيات الملك وبذخه . وفتح لها اعتمادات مالية كبيرة لشراء كل ما ترغب فيه

من ثياب وحلى وغير ذلك مما تحتاج اليه امراة ، بل امبراطورة متوجة ..

كانت نفقاتها ٣٦٠. الف فرنك فى السنة الاولى ، فرفعها الامبراطور الى ٤٥٠ الفا فى السنة التالية . ولكن هذا المبلغ لم يكفها . فقد كانت مسرفة الى ابعد حدود الاسراف . واذا كانت جوزفين لم تحسب المال حسابا وهى فقيرة ، فهل تتعب نفسها فى حساب مثل هذا وهى امبراطورة فرنسا ؟

قابلت جوزفين ملوكا وملكات ، وامراء واميرات . ولم تخل يوما واحدا بواجب المكانة السامية التى رفعها زوجها اليها . ولم يأخذ عليها نابوليون خروجها قيد انملة عن الخطة التى رسمها لها والطريق التى فتحها امامها . ولكنه ظل يأخذ عليها عقمها . فهو يريد وارثا للعرش من بعده . فهل تعطيه جوزفين ما يريد ؟

خمس سنوات انقضت ، وجوزفين لم تشعر فيها يوما واحدا براحة البال التامة . فالمجد ، والاكرام ، والثناء ، وحرق البخور أمامها كل ذلك لم يبدد مخاوفها ، ولم يهدىء روعها

ووقع فى النهاية ما كان مرتقبا : فقد أوفد اليها الامبراطور ثعلبا من ثعالب السياسة فى عهده ، وهو جوزيف فوشيه مدير البوليس ، ليعرض عليها التنازل من تلقاء نفسها عن رابطة الزواج ، وقضاء بقية حياتها فى قصر ماليزون ، وترك الحرية للامبراطور فى أن يتخذ زوجة غيرها ، تنجب له ولدا يرث عرشه ، لان الامة الفرنسية باسرها ترغب فى الا يظل العرش بلا ولى عهد !

لكن جوزفين رفضت اجابة هذا الطلب . وافهمت الامبراطور انها لن تطلب الطلاق من تلقاء نفسها ، لان فى هذا شؤما عليه وعليها . وانها تخضع لارادته اذا اراد هو أن يطلقها وينزع التاج عن رأسها

وجاء عام ١٨٠٩ ونابوليون فى أوج مجده ، بعد معركة واجرام ، وجوزفين تودع التاج الوداع الاخير !

الطلاق

فى شهر اكتوبر ١٨٠٩ ، تلقت جوزفين من الامبراطور الرسالة المقتضبة الآتية :

« صديقتى .. أنا مسافر بعد ساعة . ساصل الى فونتينبلو فى ٢٦ او ٢٧ . يمكنك ان تذهبى الى هناك مع بعض وصيفاتك »

وصل الامبراطور الى القصر فى صباح يوم ٢٦ اكتوبر . فلم يجد جوزفين التى وصلت عند الساعة السادسة مساء

كان نابوليون مقطب الجبين ، فعاتبها على تأخيرها .. ثم سكت . وعلى المائدة لم يفه بكلمة واحدة . ومكث فى فونتينبلو خمسة عشر

يوما تجنب خلالها الاجتماع بزوجته ، وكان يخرج مع أخته بولين . ثم عادت الأسرة المالكة الى باريس ، فركب نابوليون حصانه ، كيلا يجلس مع زوجه في مركبة واحدة . وادرك الجميع انه وطد العزم على الطلاق

وفجاة قال لها بلهجة عنيفة قاسية انه يريد قطع كل صلة بها . . فاجابت جوزفين انها طوع أمره !

وبكت . ولكن الامبراطور قال لها بصوت ثابت :

ــ لا تحاولي التاثير في بدموعك . انني احبك . ولكن السياسة لا قلب لها . السياسة لها رأس تفكر به فقط !

وارسل نابوليون في طلب أوجين من ايطاليا ليكون بالقرب من امه في هذا الظرف العصيب .

وفي احدى الليالي اختلى الامبراطور بزوجه ، ولم يعلم أحد ما دار بينهما من حديث . ولكن نابوليون فتح فجاة باب الحجرة التي تمت الخلوة فيها ، ونادى بوسيه ، من رجال القصر ، الذي دخل الحجرة فوجد جوزفين مستلقية على سريرها ، تجهش بالبكاء وتتمتم قائلة : « لن اعيش بعد هذا اليوم ! »

وقال نابوليون لبوسيه :

ــ لقد ضغطت قلبي . . . واصبح الطلاق امرا لا مفر منه . . !

وطلب اليه ان يعنى بها

وعاد أوجين من ايطاليا ، واسرع مع أخته الى حيث كانت جوزفين تنتظر رجوع ابنها . وامتزجت دموع الثلاثة مرة اخرى ، ولكنها كانت في هذه المرة دموع حزن لا دموع فرح !

وفي ١٥ ديسمبر ، أعلن الطلاق المدني في الساعة التاسعة مساء ، في قاعة العرش بقصر التويلري ، امام اعضاء الاسرة جميعا ، ورجال القصر والحاشية المدنية والعسكرية

وخطب نابوليون قائلا انه يقدم على هذا العمل مضطرا وبالرغم منه . وخطبت جوزفين قائلة أنها تخضع لارادة الامبراطور وتحرص على سعادته وهنائه

وذهبت جوزفين للاقامة في قصر ماليزون ، « البيت الريفي » كما كانت تسميه ، والذي عرفت فيه ، من ناحيتها ، ذلك الهناء وتلك السعادة

وبالرغم من كل ما حدث ، لم ينقطع نابوليون عن زيارة زوجه السابقة ، ولم تنقطع جوزفين عن الذهاب الى قصور الامبراطور الاخرى ، اجابة لدعوته

ولكنها لزمت العزلة التامة في ماليزون عندما علمت ان امبراطور النمسا قد وافق على اعطاء ابنته ماري لويز زوجة لنابوليون الاول !


ذوق رفيع يرضيك
تمتاز ساعاتنا بالمتانة والجمال فضلاً عن
ذوقها الرفيع وأسعارها التي تنفرد بها:
مرجريت تشابمان
نجمة كولمبيا
جواهرات
عكاد
٤٢ شارع سليمان باشا
ت ٤٨٦٦٢ - ٥٦٠٨٣
تشكيلة فاخرة من الساعات للرجال والسيدات ذهب. قشرة ذهب. صلب

بين الورود

فى ٢٧ فبراير ١٨١٠ ، أعلن نابوليون فى مجلس الشيوخ عزمه على الزواج بمارى لويز ابنة امبراطور النمسا . فابتعدت جوزفين ولجأت الى قصر نافار الذى وضعه الامبراطور تحت تصرفها

وفى ٢ ابريل ، سمعت الامبراطورة السابقة قصف المدافع ، وعلمت ان نابوليون يحتفل فى تلك الساعة بزواجه ، فى كنيسة نوتردام ، بباريس ... فلم تستطع أن تمنع نفسها من البكاء ..

ولكنها تذرعت بالصبر ، وراحت تتنقل من مكان الى مكان ، محاولة أن تجد السلوى والعزاء ...

وفى السنة التالية ، قصفت المدافع ايضا معلنة مولد ولى العهد ، الذى منحه أبوه لقب ملك روما ، نكاية بالبابا الذى رفض الموافقة على طلاقه

وفى شهر ابريل ١٨١٣ ، حمل نابوليون ابنه الصغير الى جوزفين ، لكى تراه !

فأخذته على ركبتيها ، وقبلته بلهفة ، وقالت والدموع تنهمر من عينيها :

ــ أيها الطفل العزيز ! سوف تعلم يوما من الايام كم كلفتنى من عذاب !

وقالت للامبراطور :

ــ يا صاحب الجلالة ، اننى سعيدة جدا !

ودارت الايام دورتها ، ودارت معها عجلة الحظ !.. فهل افل نجم نابليون لانه افترق عن « نجمه السعيد » كما كان يسمى زوجه ؟

عاد الجيش الفرنسى فى سنة ١٨١٢ من روسيا ، وتوالت عليه الهزائم فى المانيا ، ودخلت جيوش الحلفاء أرض فرنسا سنة ١٨١٤ ، وعندما عادت جوزفين من رحلاتها ، ومن قصر نافار البعيد ، الى ماليزون « البيت الريفى » كانت الامبراطورية تتمايل وكان العرش ينهار !

وقالت الامبراطورة السابقة ، عندما بلغتها اخبار الهزيمة وسقوط باريس وفرار الامبراطور : « لماذا رضيت بتركه ؟ لو بقيت معه ، لشاركته الآن عذاب المنفى ! »

سـقطت باريس فى ٣١ مارس ١٨١٤ . وفى ١٣ ابريل حاول الامبراطور أن ينتحر بالسم ، وقال للجنرال كولنكور : « قل لجوزفين اننى فكرت فيها قبل أن أفارق الحياة ! »

وعندما لجأ نابوليون الى جزيرة البا ، كتبت اليه جوزفين تشجعه، وتأسف لان القوة القاهرة تمنعها من اللحاق به فى منفاه

أما زوجه الثانيـة ، مارى لويز ، فقد تخلت عنـه وعادت الى

اهلها ! ولكن نابوليون لم يكن قد علم بعد بما فعلت الامبراطورة الثانية ، وكان لا يزال يعتقد انها وفية له أمينة على عهده !

وبعد دخول الحلفاء الى باريس ، اتصل اسكندر امبراطور روسيا بالامبراطورة المطلقة ، فى مالميزون ، وعرض عليها خدماته بالحاح . فطلبت منه جوزفين السماح لها بالبقاء فى قصرها ، ومعاملة ابنها وابنتها معاملة مشبعة بروح التسامح ، فوافقها الامبراطور على ما طلبت. وقد عاب بعض المؤرخين على جوزفين اتصالها بالذين هزموا نابوليون . ولكن ، الم يكن هذا خيرا لها واوفى من الارتماء فى احضان اسرة بوربون ، التى عادت فيما بعد الى فرنسا ، واسترجعت عرشها الذى اغتصبه نابوليون ؟

لقد أدركت جوزفين أن زوجها خسر كل شىء ، فأرادت ان تضمن البقاء لولديها ، وأن تمنع عنهما انتقام البوربون وأنصار الملكية !

ومن سخريات القدر ، الا تعيش جوزفين ، لترى بعينيها عودة نابوليون من جزيرة البا ، ومحاولته استرجاع عرشه ، وهزيمته فى واترلو ، واستسلامه للانجليز ، وارساله سجينا الى جزيرة سانت ايلين . .

فقد ماتت قبل أن يغادر الامبراطور جزيرة البا ، وعندما بلغه الخبر، حزن وبكى . . !

وبعد عودته الى فرنسا ، فى خلال « الايام المائة » التى انتهت بهزيمة واترلو ، كان يسال جميع الذين احاطوا بها يوم وفاتها ، عن المرض الذى شكت منه ، وعن ساعاتها الاخيرة

وقد سال مرة الطبيب الذى عالجها :

ــ هل بقيت بجانبها طول مرضها ؟

ــ نعم يا صاحب الجلالة !

ــ وما هو سبب موتها ؟

ــ الحزن وخيبة الامل يا صاحب الجلالة !

ــ اى حزن ، واية خيبة ؟

ــ الحزن مما حدث . . . من حالتك أنت يا صاحب الجلالة

ــ آه !. . كانت اذن تتحدث عنى ؟

ــ كثيرا ، كثيرا جدا . .

ــ يا للمراة الطيبة !. . لقد كانت تحبنى !

وبعد أن فقد الامبراطور كل شىء ، ذهب الى مالميزون للمرة الاخيرة، وودع ذكرى زوجه ، ثم ابتعد الى حيث ينتظره النفى والموت . . .

وقبل أن يسلم نفسه للانجليز ، قال لرفاقه :

ــ لو كانت جوزفين باقية على قيد الحياة ، لتألمت كثيرا . . لم نتشاجر فى حياتنا الا على مسالة واحدة : ديونها الكثيرة !. . ان قلب جوزفين أطيب قلب عرفته !

استشارات طبية

تفضل بالاجابة عن أسئلة هذا العدد حضرات الدكاترة : ابراهيم ناجى مدير مستشفى الخازندار ، وفتحى الشاذلى طبيب أمراض النساء بمستشفى فؤاد الأول للولادة ، وكامل يعقوب ، وعزيز ميخائيل بشاى المتخصصين فى الأمراض الباطنية ، وفتح الله محمد حسن الطبيب بوزارة الأوقاف

الروماتيزم

■ ما هى أسباب الاصابة بالروماتزم ، وأى أعضاء الجسم تصاب به ؟ وما علاجه ؟

احمد مصطفى — شبرا

— هناك جملة أنواع من الروماتزم ، أهمها وأشدها خطورة هو الروماتزم المفصلى الحاد ، وهو يصيب الاحداث والشبان بصفة خاصة . ويمتاز بوجود الحمى والعرق والألم والورم المفصلى الشديد ، الذى ينتقل من مفصل الى آخر . وسببه فى الغالب يرجع الى نوع خاص من الميكروبات النسيجية . ووجه خطورته ان المصاب به قد يتعرض للاصابة بمرض صمامات القلب المزمن ، فيلازمه طوال حياته . وهذا النوع من الروماتزم يعالج بنجاح باستعمال مركبات ساليسيلات الصودا . أما النوع الثانى فهو الروماتزم المفصلى المزمن الذى يصيب الكهول ، وهو نتيجة التهابات بطيئة مزمنة فى المفاصل . وترجع فى أغلب الاحيان الى بيوريا الاسنان أو التهابات اللوزتين أو وجود أى بؤرة عفنة فى الجسم . والنوع الثالث هو الروماتزم النقرسى الذى يصيب ذوى السمنة المفرطة والبطون المتكرشة من طول المكث حول موائد الطعام والشراب . وسببه يرجع الى وجود زيادة فى الحامض البولى . ويعالج بالاقلال من اللحوم والاطعمة الدسمة وتعاطى الادوية المذيبة للحامض البولى . وأخيرا يأتى الروماتزم العضلى أو اللمباجو . وهو لا يصيب العضلات نفسها وانما يصيب الانسجة الليفية التى تكسوها ، ويحدث ألما شديدا عند الحركة . وسببه هو التعرض للبرد أو الرطوبة . وعلاجه بالتدفئة والدهانات المسكنة



شتاء أيضاً
ستحبها
أكثر فأكثر
كوكاكولا
DRINK
Coca-Cola
ليس للظمأ
موسم
معبأة في القطر المصري

نزيف الانف

■ ما هى أسباب البلغم ونزيف الانف والزلال ؟ وما علاج كل منها ؟

ا٠س٠ش ـ طالب

ـ البلغم هو ما يخرجه الانسان من حلقه من مخرج الخاء كما يقول اللغويون ٠ وهو قد ينشأ من التهاب فى الحلق أو الحنجرة أو القصبة الهوائية أو الشعب ، وذلك بسبب التعرض للبرد والرطوبة والاصابة ببعض الميكروبات٠ ويعالج باستعمال الادوية المطهرة للمسالك الهوائية والطاردة للبلغم

أما النزيف الانفى فقد يكون نتيجة أسباب محلية ، مثل وجود زوائد أو تقرحات فى الانف ، وقد يكون نتيجة أسباب عامة مثل ضغط الدم العالى أو مرض القلب أو الانيميا ٠ وكثيرا ما يحدث لصغار التلاميذ نتيجة الجرى والتعرض لأشعة الشمس ٠ واذا حدث نزيف الانف للمصاب بضغط الدم المرتفع ،كان ذلك فى مصلحته٠ وكثيرا ما يكون سببا فى انقاذ المريض فى الوقت المناسب من نزيف المخ ومرض النقطة

والزلال فى البول قد يكون مصحوبا باسطوانات بولية ، فيكون نتيجة التهاب حاد أو مزمن فى الكليتين،ويجب فى هذه الحالة الامتناع عن تعاطى المواد الزلالية فى الطعام مثل البيض واللحوم٠ واذا كان وجود الزلال غير مصحوب باسطوانات بولية، كان نتيجة الاصابة بالحميات أو أمراض القلب ٠ وقد يوجد مثل هذا الزلال عند الشبان الاصحاء فيما بين الخامسة عشرة والثلاثين من العمر ، دون ان يكون له أى تأثير ضار فى الصحة ٠ على انه كثيرا ما يسبب لهم القلق والاضطراب عند فحصهم الطبى بمعرفة «القومسيون» وذلك عند طلب الالتحاق باحدى الوظائف

الحيض

■ أوشكت ان أتم الخامسة عشرة من عمرى ، ولكنى لم « أبلغ » الا منذ أربعة أشهر فقط ، ومواعيد الحيض عندى غير منتظمة ٠ فماذا أصنع ؟

مشتركة

ـ يكون البلوغ عادة بين الحادية عشرة والثالثة عشرة، وقد يكون تأخر بلوغك وراثة عن احدى أسرتى والديك، أو بسبب ضعف غددك الصماء ٠ أما اختلاف مواعيد الحيض فعلاجه أن تلزمى الفراش فى أيام الحيض، ولاسيما الاولى منها ٠ ثم عليك بالرياضة البدنية والمشى فى الهواء الطلق ٠ وأكثرى من أكل الفاكهة الطازجة والخضر ٠ وتجنبى الامساك ٠ وقوى جسمك بمركبات الحديد

الدوسنتاريا

■ أصبت منذ عشر سنين بالزحار الأميبي (الدوسنتاريا الاميبية) ولم أجد أية فائدة من الادوية المعروفة

عبد الوهاب الماشطة

— لا تؤكد أنك مريض بالدوسنتاريا الأميبية منذ سنوات ، الا اذا كان الفحص الميكروسكوبي للبراز قد أثبت وجود الأميبا أو أكياسها . فما من شك في أن هناك حالات أخرى من الدوسنتاريا مسببة عن جراثيم أو طفيليات أخرى خلاف الأميبا . وما من شك كذلك في أن هناك أعراضا معوية تشتبه كثيرا مع أعراض الدوسنتاريا المزمنة ، ويكون سببها عسر الهضم أو قصور الكبد أو التهاب القولون أو غير ذلك . ويظل المريض يتعاطى الادوية المضادة للدوسنتاريا الاميبية دون فائدة . فاذا ثبت من الفحص الميكروسكوبي وجود أميبا حية متحركة في البراز ، كان العلاج الناجع بحقن الاميتين تحت الجلد . واذا ثبت وجود أكياس الاميبا في البراز ، فتستعمل مشتقات الياترين أقراصا تؤخذ بالفم أو حقنا من الشرج . وتؤخذ كذلك المركبات الزرنيخية مثل حبوب الستوفارسول وغيرها ، وذلك باشراف الطبيب المعالج . أما اذا ثبت من الفحص الميكروسكوبي خلو البراز من الاميبا وأكياسها ، فعليك بالبحث عن سبب آخر خلاف الاميبا لاضطراب أمعائك

عرق النسا

■ ما هو مرض « عرق النسا » وما هي الطريقة المثلى لعلاجه ؟

خضر ابراهيم

— مرض عرق النسا هو التهاب عصب الفخذ نتيجة لما يتجمع حوله من سموم تأتي من بؤرة خاصة في الجسم ، كصديد الاسنان والاملاح والسموم الناشئة من أمراض السكر والزهري والسيلان . وانما يكون ظهوره عقب التعرض للرطوبة ، ومع الاستعداد الخاص في البنية . وقد ينشأ عن سموم تأتي من خارج الجسم ولكن هذا نادر الوقوع . ولابد من معرفة سببه لاتخاذ العلاج المناسب له ، مع الراحة التامة في الفراش ، وايصال الحرارة الى العضو المصاب بوساطة الكهرباء و « اللبخات » والدهانات المسكنة مثل « مروخ الكافور » والتدليك ، واستعمال مركبات اليود ، وحقن المحلول الملحي بكمية كبيرة في العصب ، وإعطاء حقن فيتامين «ب» المركز في العضل .

بين الهلال وقرائه

نقص الجير فى الدم

س — اننى شاب فى العشرين من عمرى يبلغ وزنى ٦٣ كيلو فى المتوسط ، اذا جاء فصل الشتاء شعرت ببرودة شديدة فى الاطراف. اما فى الصيف فينتابنى نزيف دموى ينزل من أنفى بكثرة ، مسببا لى أنيميا شديدة وآلاما مبرحة ؟ ص. طالب جامعى

ج — يغلب على الظن أن مرضكم ناشىء من قلة الجير فى الدم ، أو بعبارة أخرى من قلة فيتامين « د » ، فان برودة الاطراف فى الشتاء ظاهرة مرضية لتحسن بتناول الكالسيوم ، كما ان النزيف الانفى كثيرا ما يكون سببه كذلك قلة الجير فى الدم ، فعليكم بالعلاج بالكالسيوم سواء فى صورة شراب أو حقن

النبات تحت سطح الماء

س — ان النبات ينبت على سطح الارض . ولكن منه ما ينبت تحت سطح الماء ، وفى البحيرات والبحار ، فهل يمتد نمو النبات الى قيعان عمقها ثمانية امتار ، أم ثمانون مترا ؟ قارىء

ج — هذا يتوقف على مقدار نفاذ الضوء فى الماء . فالنبات لابد له من ضوء الشمس . وضوء الشمس يتوقف نفاذه على عكر الماء وصفائه . وفى المياه العكرة قد يمتد نمو النبات الى ٢٥ مترا ، وقد يمتد الى عشرة فقط

اما فى الماء الصافى فقد يمتد النبات الى نحو ثمانين مترا ، لأن الضوء بعد هذا العمق يضعف فلا يحيا عليه نبات

احلام الحب

س — قرأت فى كتاب « تفسير الاحلام » المقتبس عن المخطوطات الهيروغليفية ان أحلام الحب تدل على ضعف الارادة ، وانها دليل على المتاعب فى شؤون الحب. فهل هذا صحيح

حسنى محمد حسن — الاسكندرية

ج — ان صح ان احلام الحب ، ضعف فى الارادة ، فهذا يكون للذى فيها من حب لا للذى فيها من أحلام . فالحب فى الاحلام ، من حيث علاقته بالارادة ، كالحب على اليقظة . والحب على اليقظة لابد فيه من طالب ومطلوب . والحب لايكون على السهولة المفرطة ، والا ما كان حبا . لابد فى الحب من امتناع وتمنع . وهو امتناع وتمنع لاتقتحم أسوارهما اغتصابا . لابد فيها من التودد والتذلل ، حتى والبكاء عند ذى الدمع القريب .

كتبت كتابي ما اقيم حروفه
لشــدة اعوالي وطول نحيبي
اخط وامحو ما خططت بعبرة
تسح على القرطاس سح غروب

ولا تحسب ان رجلا هانت عليه نفسه فتودد وتذلل، أو هان عليه دمعه فانسكب ، هو عند التذلل او عند البكاء ذو ارادة قوية

بل ان المحب ليحمد من نفسه زوال الارادة فى حضرة حبيبه ، ويلذ له التفانى :

اراميتى ، كل السهام مصيبة
وانت لى الرامى ، فكلى مقاتل

والعقل ، الذى هو مناط الارادة، يتهوش، والمنطق يزول:

يضل على القول ان زرت دارها
ويعزب عنى وجه ما انا فاعل
وحجتها العليا على كل حالة
فباطلها حق وحقى باطل

فهل بعد هذا ضعف ارادة ، بل ذهاب ارادة

اما ان احلام الحب دليل على المتاعب فى شؤون الحب ، فالرأى ان الاحلام لا تخلق من امور صاحبها جديدا . انها صور معكوسة من امور حياته الواقعة ، بعد أن يزول عن النفس مع النوم الحياء والخشية من التعرى. فقد تحلو احلام الحب فتكون ترديدا لما فى اليقظة من حلاوة حب ، او ترديدا لامل فى اليقظة ان يكون الحب ناجحا موفقا . وقد تسوء احلام الحب على النوم فتكون ترديدا لمثلها فى الحياة ، أو ترديدا لخشية خفية فى قلب محب سعيد، الا يدوم الحب فيشقى صاحبه

هذه الحياة

س — صدمت حسيا ، فتاملت باطنيا ، فاستوى الياس عندى والرجاء . وطال الوقت فكدت اضرب عن السعى فى الحياة ، واشرفت على الانهيار ، فهل من حيلة ؟

مأزوم مثقف

ج — لست اول مصدوم ، ولست اول متامل . ولن تكون آخر مصدوم أو آخر متامل او متالم . والحياة كما تصف ، من فكر فيها يكاد يضرب عن العمل فيها . وكثيرا ما تطوف بالناس هذه الطائفة من غير صدمة فى الحياة . يكفى ان يدرك الانسان ان صباحه هذا كصباحه ذاك ، وان مساءه هذا كمسائه ذاك ، وان الحياة نوم وصحو لا يختلفان على الايام . ثم يأتى الضعف وتأتى الشيخوخة وينزل المرء الى حفرة كل الناس نازلوها . وعندئذ يتساءل صاحب العيش: « لم كان كل هذا ؟ » ، وهو لا يجد جوابا فى غير حوافزه الباطنية ، التى هى بعضه ، تدفعه الى السير على الأمل ، وهو أمل يحيا فيه على الرغم منه ، ويدور به فى العيش كما تدور الشمس وتدور النجوم ، ولا احسب انها هى ايضا تعرف لها من غاية .

ومع هذا ، فانت وانا ، وهذه الجموع البشرية ، وهذه الجموع الحيوانية ، وهذه الارض وهذه الافلاك — اى حفل الحياة الضخم — ليس يعقل بالفطرة أن يقعد عنه

من الاحيـاء قاعد . لابد لهذا الموكب الهائل من غاية ، ولا بد لـكينونته من حكمـة نحن غير مدركيها ، وسـوف ندرك منها يوما ، حتى بعد فناء ، ما نحسب انه الادراك . ان لهذه الدنياجالا، من وجوهه اجماع اشيائهاواحيائها على الشيء الواحد ، أن تسير ، وأن تدور ، فلا تتعطل . والذي يتعطل بنفسه عمـدا يسيء الى جمال هذا الاجماع ، ويخون عهد الجماعة

عش يا صاحبي الحياة على الكد ، وتداو من الهموم التي في نفسك بالكد لغيرك . اضرب عن السعي للحياة ، ان شئت ، لنفسك . ولكن اسع فيها للناس. اسع فيها للضعفاء والايامى واليتامى . عندئذ تشفي نفسا ، وتحمد دنياك ، وتحمد ما يأتي من بعدها

العلم والخمر

س ــ العلم ككأس الخمر يزيد الحسن حسنا ، والسيء سيئا ، هـذا ما قرأت ، فكيف يكون ذلك ؟

السيد البهلول ــ شربين

ج ــ الخمر وقاك الله تكشف الستر . انهـا تحجب الوعي ، وتشـل الوعي ، وتمنع الوعي أن يقوم بواجب من اهم واجباته في المجتمع ، ذلك خبء ما في النفس عن اعين الناظرين ، والهرب به بعيدا عن تطلع المتطلعـين . انك تقعـد مع جليسك ، وتدور في ذهنك الافكار من كل صنف ، مما قد يحب صديقك أو يكره ، وهو لا يعلم من امرك شيئا . وقد تفكر في قتله هو ، وهو يجهل ما يقوم بخاطرك . وقد تجول في ضميرك الفكرة القذرة ، ومع هـذا يظل مظهرك في عينه طاهرا . لان الوعي ربط لسانك ، واللسان مفتـاح الأنفس ، فلم يقـل شيئا . ان اللسان على الوعي لا ينطق الا بما تحب الآذان

الا أن تكون خمر ، فهذه تذهب بالوعي فتحل اللسان المعقـود ، فيكشف من النفس كل خبيء . ان المخمور يهذي ، ولكنه في هذيانه لا يقول الا حقـا . انها رغبـات النفس الدخيلة ، من حسـنة وسـيئة ، تصبح على الخمر مفضوحة . فهي تظهر ما في الرجل من خير ، وتظهر ما به من شر . فعلى الخمر يزداد جود الجواد ، وعلى الخمر يظهر اشتهاء المشتهي ويزيد استهتار المستهتر وجرم المجرم

والعلم اداة تزيد الرجال قوة ، ويصبح العـاجز به قادرا . والعجز كالصحو ، يخفي من الاشرار شرهم ، كمـا يخفي من الاخيار خيرهم . والقدرة ، بالعلم ، كالخمر ، تكشف كـل خبيء من النوازع

ان العـلم وسيلة الى العمـار ووسيلة الى الدمار . وهو العربة السريعة التي تسرع بالنـاس في طريق البركة الى الجنـة ، أو في طريق اللعنة الى النار

ايمان ابي العلاء

س ـ هل ابو العلاء ملحد ام مؤمن ، وما هي الاسباب التي ادت الى اتهامه بالالحاد ؟

حسين بازرعة ـ بسنكات

ج ـ اختلف الناس في عقيدة ابي العلاء اختلافا كبيرا ، فمنهم من يرى انه مؤمن شديد الايمان ، اذ يقول :

خلق الناس للبقاء فضلت
امة يحسبونهم للنفاد
انما ينقلون من دار اعما
ل الى دار شقوة او رشاد

ومنهم من يرى انه ملحد شديد الالحاد اذ يقول :

عجبت لكسرى واشياعه
وغسل الوجوه ببول البقر
وقول النصارى اله يضام
ويظلم حيا ولا ينتصر
وقول اليهود اله يحب
رشاش الدماء وريح القتر
وقوم اتوا من اقاصي البلاد
لرمي الجمار ولثم الحجر
فواعجبا من مقالاتهم
ايعمى عن الحق كل البشر ؟

والذين يقولون انه مؤمن شديد الايمان ينكرون انه قائل هذا الشعر ، ويقولون انه مدسوس عليه ويؤازرهم في ذلك ان كثيرا من الشعر دس على كثير من الشعراء . والناس دساسون غيارون في كل زمان ، والذي رأى من الدس في العصور الحاضرة ، والتقول على الناس وهم احياء ، يدرك ان الافتراء على الناس في تلك العصور الغابرة لا بد كان له من السهولة ما له في هذه العصور الحاضرة . وابو العلاء كان له من المكانة ما يغري بالاساءة اليه ، فهكذا طبع الخلق

على انه لماذا نفترض ان الرجل يكون مؤمنا دائما ، او ملحدا متشككا دائما . انا افهم ان العجائز تؤمن ابدا ، ولا تكفر ولا تلحد ولا تتشكك ابدا ، لانها لا تفكر ابدا . ايمانها ايمان قلب لا يستجرىء العقل على تفحصه فتعكيره . ولكن غير ذلك ايمان الرجال العقلاء . انهم يفكرون ، ثم يحللون ويستخرجون ويستنبطون . والعقول لا يمكن ان تهتدى الى الشيء الواحد ، وتجمع عليه اجماعا . لان العقول من التجارب ، والتجارب ليست واحدة . والعقول مراتب ، وهي مراتب متفاوتة . فالمؤمن المفكر قد تعتريه سويعات يتسلط الشك فيها على يقينه ، ينطق بما ينطق ، ولا يكون ذلك دليلا على ما في حياته الطويلة من عقيدة حسنة وايمان دخيل . ان الشيطان هو الذي يركب لسان المرء عندما يعجز عقله فيضل ، والا فما عمل الشياطين ؟ !

فلنحكم على ابي العلاء ، ان كان حقا قال ما قال ، بالذي قاله هو في ايامه الطويلة المتزنة الرزينة ، لا بالذي قاله عنه شيطانه في يوم غامت فيه البصيرة وشالت مثاقيل الامور

ابو حازم